القادسية

امرأة عادل كنان

هوار النفاش
جِمْعُ المُقْتَوِيُّ يُحْفَوَظَة
الطبعة الأولى : 1393 هـ. 1973 م
الطبعة التاسعة : 1409 هـ. 1988 م

© حوار النحات
العنوان: شنتار فراران
بناية الصباح وصوان الليلين
هاتف: 194-811
رقية: د. نعمة کوضي 142/14
مكتب ورود - مكة
الأهداء

إلى كل مخلص لله يعمل لإنقاذ هذه الأمة

ما هي فيه ...
تقديم

ليس أسعد لقلب كاتب من أن يحس بالتجاب بين قراءه وبين من يكتب. ولقد حدث هذا منذ اللحظات الأولى التي وصل فيها كتابنا، الطريق إلى المدينة، إلى أيدي القراء. كانت تسكنني كثيرًا تلك ساعات الطوال السليمة من نقاشاتهم حول الطريق إلى المدينة. وكذلك كتبنا الذين قرّوا به أو قدموا إلى قراء العربية على صفحات الجرائد والمجلات أو على موجات الإذاعات العربية أو في نشرات بعض الجيوش العربية إلى ضباطها، فأفادوا من المديح والثناء ما أسأل الله أن يكون مستحقاً له.

ولقد تناولنا الطريق إلى المدينة، من فتح العراق عامي 26 و 1973، فشملتnos مانع السباعي وحمادة أبي عبيد بن مسعود الثقفي وحمادة المثنى بن حارثة الشيباني. ووقدنا من تلك الأحداث على قرار المثنى بالانسحاب من جميع أراض العراق بعد أربعة أعوام. ثم اتساح اثر معركة الكوب في الأسباب التي أوضحناها، وهنا في هذا الكتاب القادسيّة، نستطرد من حيث وقفنا هناك، فهو استكمال
متصل لأحداث التاريخ الحربي وخططات الفتح الإسلامي للفترة التي بدأناها في الطريق إلى المدنين. كان الطريق إلى المدنين ثلاثة أجزاء صدرت في مجلد واحد شملت المقدمات الجزء الأول منها، وما الفاسدة، إلا الجزء الرابع من سفر هذا التاريخ العظيم. لذلك فإن نجاح هنا مقدمات جديدة، وكل ما نشير إليه في هذا الشأن أن النهج واضح في الكتاب.

هـذـا التاريخ نقدمه إلى أمتنا في وقت هـي أشد ما تكون حاجة له، فإننا في صراعنا المعاصر لا نبدأ من فراغ، وليس على سطح الأرض اليوم لا في أمريكا ولا في أوروبا ولا في روسيا ولا في غيرها أمة لها ما للمسلمين من جذور عميقة في التاريخ وفي الأصول الحضارية الصالحة وفي منهج الحياة... كشجرة طيبة أصلها ثابت وفروعها في السماء. ولكن أثرى على هـذه الأمة خريف أسوط ما عليها من ورق ولم ير الراوح عليها ما اعتدوا من أطيار الثمار، وأقبل صبيان التاريخ يتفافون على فروعها ويعتلون منها، فإن من طبائع الأمة الحاضرة لسنة الله أن تُلقى جذورها من جديد بما سبق أرب أمتها به من قبل فتعود مشرفة مورقة تستظل البشرية بظلها، وأن يصح شأن هذه الأمة إلا بما صلح به أولاً.

هـ الفاسدة، نقدمه شاكرين لكل من استجاب لدراسته خليص الله، ولكن قارئه زودنا بتوجيه أو إرشاد أو نقد.

وقد الله الموفق والمستعان.. هو يقول الحق .. وهو يهدى السبيل.

أحمد عادل كلال
الباب الأول

القياسية في التاريخ

المعارك الحاسمة:

يتترك الإنسان بصماته على ما يضع أصابعه عليه من أشياء فتبقي هذه البصمات كثيرة أو قليلة حتى يزيلها الناس أو يعفي عليها الزمن. ومن المعارك مما يضع بصياته على سطح الأرض فتبقي آثارها على التاريخ ما بقي كوبينا لأنها لم تكن ذات أثر محض يذوب مع الزمن أو لم تكن فعلًا ينفضه رد فعل في الأجل المناسب، وإنما كانت فعلًا اكتسب من استطراده المحروم ما استحال معه إيقافه أو إزالة آثاره.

وعلى ذلك يعتبرون معركة واترو من المعارك الحاسمة في تاريخ العالم، فلو ظل نابليون بوتارت يواصل انتصاراته لما استطاع أحد أن يتصور خريطة العالم اليوم. ويعتبرون معركة ستالينجراد معركة حاسمة استطاعت عندما روسيا البلشفية أن توقف تقدمه، ولولا ذلك لم له غزو روسيا ولبدت الشيوعية وأرتفعت على أنفها النازية، ويعتبرون معركة العمليين من المعارك الحاسمة، فلولا أن انتصر الإنجليز فيها لدخلت القوات الألمانية مصر واحتقرت الشرق الأوسط وانقلب ميزارا الموارد والقوى في الحرب العالمية الثانية لصالح المانيا. ولا يعتبرون سقوط فرنسا وباريس تحت أقدام هتلر من المعارك الحاسمة لأنها لم يكن لها ذلك الأثر المعتمد مع التاريخ.
وليس أغني من التاريخ الإسلامي بالتجارب الخاسئة، ليس فقط بعدم تلك المعالم على مداها، ولكن بفقدان ما صاحبها من أثر وحسم. وليس على سبيل الحصر أن نذكر أن صلاح الدين استطاع في حنين أن يضع نهاية للنفوذ الصليبي في الشرق الأوسط فعندما واجه المتصرفية الإسلامية تؤدي دورها لقرن أخرى، واستطاع فُضع أن يقهر النصارى في عين جالوت فوقع المغولي الحرب بعد أن أكتسب الشرق كله حتى بلغ حدود مصر الشرقية. ثم يرد مرة أخرى في حيث جاء في هزائم متلاحقة.

القادسية معركة خاسحة:

ولا شك أن القادسية - ومقاربها البيروك - تقع على قمة قائمة المعارك الجاسمة في تاريخ العالم، فهي التي افتتحت على آثارها أوباء العراق، ومن وراء العراق فارس كلها، وهي التي من عندها استطاع نصر المسلمين، فاستطاع معه السقوط الساساني من الناحية الدينية، والسقوط الجموشي من الناحية الدينية، والسدام من الناحية الثقافية. ومن هنا اتساح الدين الإسلامي في العالم الشرقي، ولولا ذلك ظلم محصوراً في جزيرة العرب لا يتغذى القبائل الباشورية في صحرائها وحواضها القبلية. كان الإسلام جديداً، فهو ما زال في فتوته، فإن لم يكسب المسلمون إنجازاتهم حينذاك، ودينهم حي في قلوبهم بصرف أعمامهم لأدرك أثمرها الحرم والسياحة ونظلت السيطرة على العالم ليرافقه من الفرس والروم من دونهم، ولما فكر في القادسية - ولو من الناحية التصورية البحجة للتاريخ - أن ينحسر ظل الإسلام فيضم حيث حصره أصحابه، ولا أن الإسلام يفرض على المسلمين مjahada أعدائهم ومناجزتهم حتى يتم النصر عليهم.

في القادسية كسر المسلمون شوكة الفرس كسرًا لم ينجب بعداً أبداً. فيها ألقى الفرس بكل طاقاتهم من سلاح وعتاد وأقبل كثيراً وأعدوا ضخمة من الجند، وبقيادتهم مثلى في أحكم زوجاتهم وأشرموهم في الحرب والسياسة، وألقى المسلمون أيضاً بكل إمكاناتهم من وجه المسلمين وجرهم، وبقيادتهم مثلى في
صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وواحد من السابقين الأوائل إلى الإسلام وأحد السبعة المرشحين للخلافة بعد عمر، سعد بن أبي وقاص، كما نزلوا إلى مواجهة أعداء الفرس وأقيامهم ودعمهم بسلاحهم الذي اختصوا به على عدؤهم... الإيان بكل ما يفرغه على أصحابه من صلابة وصبر وكفاءة. بهذا استحقت القادسية مكانها، بل مكانها على قمة المعارك الحاسمة في تاريخ البشر.
من يقود الحملة

هل يقودها عمر

توافد الناس من أنحاء شبه الجزيرة، فأنزلهم عمر على عين ما (في مكان فيه ماء).

يدعى هجر السرير بالقرب من المدينة على طريق نجد نحو العراق، فمسكروا به وخرج عمر معهم. وجعل على مقدمته طلحة بن عبيد الله وقدمه إلى ماء بعد صرار اسمه الأعوش. وجعل على الميمنة الزبير بن العوام وعلى الميسرة عبد الرحمن ابن عوف. وكان ذلك في أول محرم 14 ه. (في 24 شباط 635 م)، ولا يدري الناس ما إذا كان أمير المؤمنين قد اعتزم الخروج بنفسه على رأس هذى الجمع أو أنه سيبقى في المدينة وبعث رجلاً غيره. وكان عثمان بن عفان رديف عمر ...

والرديف عند العرب هو نائب الرئيس والرجل الذي يرافقه بعده، فإن عبد الرحمن بن عوف من كبار الصحابة ذوي المكانة في الدولة، عند عمر، فإن الناس إذا أرادوا أذن يسألوا عمر عن شيء أو أقذوا إليه عثمان أو عبد الرحمن، فإذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ثكلاً بالعباس بن عبد المطلب.

وسأل عثمان عمر: يا يزيد، فلا يجب عمر وإنما نادي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إليه فأخبرهم الخبر واستشارهم في الأمر لينظر ما يقولون، ولم يكن قد استشار في شيء مما كان قبلها.

قال العامة: "سَرِّ وَسُرْ بِنَا مَعَكَ".

12
فدخل في رأيهم وكره أن يدفعهم حتى يخرجهم منه في رفاق، فقال:

» استعدوا وأعدوا فإني سائر إلا أن يجيء رأي هو أكثر من ذلك«.  
ثم بعث إلى علي بن أبي طالب وكان قد استخلفه على المدينة فأتاه، وأرسل إلى طلحة وإلي الزبير وإلى عبد الرحمن بن عوف فجاؤوا إليه وعرض عليهم الأمر.

فقال: »احضروني النبي فإني سائر.«

فكان طلحة وعلي بن أبي طالب من تابع الناس على رأيهم ورأى خروج عمر.

وكان العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف من نهاء.

روى عبد الرحمن ما كان في ذلك الشأن فقال:

» ما فيديت أحداً أبا وأمي بعد النبي صلى الله عليه وسلم ولا بعده، فقلت:
بأبي وأمي اجعل عجزها في [ يعني اجعلني آخر من تبعث ] وأقل وأبعث جنداً، فقد رأيت فضاء الله في جنوده قبل وبعد، فإنما إن جزء جيشك ليس كبير جيشك. وإنما إن نفتسل أو له زم في أنف الأمر خشيت نأبه الكفار المسلمون وأن لا يشهدوا ألا إنه لا لله إلا الله أبدا.«

فاجتمعوا جميعًا وأجتمع ملوك على أن يقيم بالمدينة وبعث رجلًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بولاء، فإن كان الذي يشبه من الفتح فهو الذي يريد يريدون، وإلي أيضًا رجلًا ثانياً وندب جنداً آخر، وفي ذلك ما يغطي العدو وبرعى المسلمين [ عن ردة ثانية ] ويجيء نصر الله بالإنجاز موعودًا.

العدل عن ذلك

مرة أخرى نآى عمر: »الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إليه فقسهم فيهم.

فقال: »إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهل ف cà ئش بين الكفار وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيها بينهم كالمجد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره«.

(1) الطبري 306. عن السري عن شهيب عن سفي عن محمد وطلحة وزياد بسنادهم.

فتوح البلدان 562.
وقد يكون على المسلمين أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم وبين ذوي الرأي منهم. فالناس تبع من قام بهذا الأمر وما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعًا لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعًا لهم.

يا أبا الناس، إن إذا كنت كرجل منكم حق صرفي ذوى الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحشرت هذا الأمر من قدّمت ومن خلت. 

لم تكن فكرة خروج مصر إلى العراق جديرة بتحاق بأول مرة، فقد مر بنا قول أبي بكر: ٥ ووددت أن أرى كنت إذ واجهت خالد بن الوليد إلى الشام، كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فكانت قد قدّست اليدٍ كناها في سبيل الله، ومدَّ يده. غير أن أبي بكر ودّاً أنه بعد عشر إلى العراق إذ لم يكن عمر أمرًاً للمؤمنين، أمّا وقد صار كذلك فإن الأمر يختلف. نعم لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود بنفسه جيوش المسلمين، وكذلك فعل أبو بكر في قتال ردة عيسى وذينب، ولكن ليست هذه كذلك. لقد كانت غزوات الرسول وقتال عبس وذينب يدور على أرض هي عتار دار الإسلام والمسلمين، فالأمر يحتاج إلى الاستفادة وإلى حشد كل طاقة من صفوف الجند كانت أو في مكان القيادة. فإذا نظرنا إلى شخص الخليفة من زاوية أن المصلحة تقتضي صيانته حفظًاً لوحدة الأمة وحبيبتها وقيادتها، فإننا نجد أن بقاء المدينة لم يكن لكيقل ذلك والمدينة على أبواها، فإن كان من الأبدى إذن أن يخرج على أرس جنده. ومع ذلك فقد ارتفعت أصوات تتطلب من أبي بكر في قتال عبس وذينب أن يبقى بالمدينة.

(1) الطبري ٣ - ٤٤٧ عن السري عن شهيب عن سيف عن مهل بن يوسف عن اليمام بن محمد. هـ. وقد تعود الإشارة هنا إلى أن سلمة رواة السري عن شهيب عن سيف سوف تتكبور كثيرًا، لذلك أثرجنا أن زمر فالتروج س شس على النهج الذي أخذنا به في «الطريق إلى الدائن».

١٤
عن ذلك فقد كانت جميع هذه المعارك قصيرة الأجل لا تتعدّى كثيرًا مع الأيام، أما الفتح فإنها تستغرق سنة بعد أخرى بما لا يتحسر معه الاستغناء عن شخص الخليفة بعدها عن تقسيم كافة شؤون الدولة، الصلاح الحربي إذا هو الذي تدل على الحاكم أن يخرج على رأس جيشه. والصلاح الحربي هنا هو الذي يطلب من عمر أن يبقى بالمدينة. وهذه أخذ أبو بكر إذ لم يخرج في سائر حروب الردة التي ابتعدت عن المدينة ولا في الفتح.

فائد الحملة

انتهى عمر إلى أن يبقى بالمدينة وأن يبعث قادئًا سواه. وبيت عليه أرب. يختار ذلك القائد، فعرض على علي بن أبي طالب أن يقود الحملة، ولكن علياً أبا. وراح عمر يتناول الأمر مع مستشاريه ويقول لهم:

«أشرعوا علي بريج.»

وفيما يرد دون الرجال إذ جاءه كتاب من سعد بن أبي وقاص، وكان أبو بكر قد استمع إلى صدقات هوازن بن جند وأقره عمر وكتب إليه فيمن كتب إليهم من العبائل حين أعلن التفويض. ينتمى أهل الخيل والسلاح من له رأي وجذوة. فرجع إليه جواب سعد بن اجتمع له من الناس، وقال فيه:

«إذ يعتقدت لك ألف فارس مُؤدبّ كلهم له نجدة ورأي وصاحب حِبْتَة [الحباشة] وحُذْر، لا يؤخذ على غرّة [مَجْرَطَح حَرَّيْب قُوّة وينبع ذمارهم.]
إلىهم انتهت أحساهم، ورآهم فشانك بهم».

قال عبد الرحمن بن عوف: «وجدته».

قال عمر: «فمن؟»

قالوا: «السد عادياً».

قال: «من؟»

(1) فتح البلاد ٣٣٣.
(2) مؤذ معرج - آده أجزه. ومنها «ولا يؤده حفظها». 

١٥
قال عبد الرحمن: "الأصد في براثنه (1) سعد بن مالك".
واتنح عمر إلى قوله (2) فكان وصول خطاب سعد في هذا الوقت هو الذي وضع اسمه أمام أمير المؤمنين ومستشاريه وذكورهم به.

سعد بن أبي وقاص

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وآخرين وفاة. وأحد السنتين الذين جعل عمر الخلافة من بعده شورى بينهم لأن رسول الله ﷺ يرى فيهم راض. أول من رمى من المسلمين بسبهم في سبيل الله، وأحد الفرسان الجامع من قرئ الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازي.

هو بطل القادسية الذي فتح العراق وبعضاً من أرض فارس، وهو الذي كُوٌف الكوفة وأنشأ بها أول قاعدة حربية كبرى للسماج، فكانت بعد ذلك حاضرة العلم والمعرفة الإسلامية تشع بها سائر بقاع الأرض، وإليها ينتسب الخط العربي الكوفي المشهور يجاهلو وزخرفه وسجنته العربية الصفرة. كان سعد قصير القامة ممتلئ الجسم لقوى البنية.

كان سعد محب الدعوة مشهوراً بذلك، كأنف الناس دعوته ويروجونها لأشهر إجابتها عندهم. كان من أعداء القادة المشهورين أعضاءهم وأكثرهم رزائه وأبددهم عن الخطر في الحرب. كانت من الرماد السماج الذين لا يطيش لهم سهم. وكان من أحد الناس بسراً، رأى ذات يوم شيئاً يتحرك عن بعد فقال لمن معه:

"أين شئاً؟"

1) اليراق للسابع والطير كالأصابع للإنسان، والغزل ظفر البرزن. (مختار الصحاح).
2) الطبري 3 - 168، س ن عن محمد بن عمرو عن صالح بن حكيم عن عمر بن عبد العزيز، و س ن عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد.
3) ابن الأثير 2 - 172.
قالوا: "أرى شيناً كالطارق".
قال: "أرى راكباً على بعير".
فكان كما قال وجاء عم سعد بعد قليل على بعير (بعير).
وكان سعد طيب النفس نقي السرية. قال: "لا أجد في نفسي سوءاً لأحد من المسلمين ولا أنوي له شراء ولا أقوله".
وكان رسول الله ﷺ يفاجر به ويقول:
"هذا خالى فليرمي امرؤ خاله".
وسعد قريش، ولد ونشأ في مكة. وهو ابن أبي وقاص، واسمه مالك.
ابن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب.

إِسْلَامِهِ

كان سعد قد بلغ السابعة عشر أو التاسعة عشر حين دعاد أبو بكر الصديق رضي الله عنه [38 سنة] إلى الإسلام ووجيه عنه. وحين أسلم سعد لم يكن بيده في الإسلام سوى أبو بكر وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة وخدمه بنت حذافة، وقيل إنه كان سابع معلمه في إسلامه بعد ستة سنة. كان سعد حينذاك يشغله إبراهيم النبي ملكة وقد تمكنت عليه آثار مهنته فكان من أشد الناس إجادة للمدني. وقيل لا يكون من قبيل المضايقة أن يروي سعد عن النبي ﷺ قوله: "عليكم بالرفيق فإنه من خير لهوم". [الطبراني في الأوسط - البزار].

وكان أخوه عامر من أملس وهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة حين اشتد البلاء بالمسلمين في مكة، في حين آخر سعد أن يبتقي مع رسول الله ﷺ، ولكن بقي معه يحتفل بالاضطهاد والمعذاب. وقرر قريش مقاطعة المسلمين واعتقالهم، فحصرواهم في شعب أبي طالب من شعب مكة، لا يبيعونهم ولا يشترون منهم ولا يزوجونهم ولا يلزوجون منهم، وينعوهم من الخروج من الشعب كما يمنعون الناس من الدخول اليهم، وكانوا رجالاً ونساءً وأطفالًا حتى نفد زادهم. وسعد

( القادسية - ١٧)
معهم يضعون الجموع بنايه كما يضعهم، ومکثوا على ذلك ثلاثين شهراً حتى أكلوا أوراق الشجر.

هجرونه وجهاده وراه المسلمون يهاجرون فخرج سعد مهاجماً من مكة إلى المدينة مع بلال وعمر بن ياسر. ومن يذوب بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى عبيدة بن الحارث في ثمانين راكباً من المهاجرين، فكان فيهم سعد وعبة بن غزوان والمقداد بن مرو، خرجوا إلى ماء الحجاز حتى إذا رأوا جملاً من قريش زمنهم سعد بعهم فكان ذلك أول سهم أطلق في الإسلام.

وشهد سعد غزوة بدر مع المسلمين واستطاع يومها أن يأسر اثنين من قريش. ثم دار العام وكانت غزوة أحد فكانت سعد من الذين ثبتوا في سلالة بدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين دارت الدائرة على المسلمين وجعل يطر المشركون بسهامه، واللذي يقول له:

ه إرم أيها الفتى الحزور فشاك أي وأمي.

و كسرت قوس سعد من طول ما رمى بها فأعطاه النبي قوساً أخرى ودعا له فقال: اللهم سدد رميته وأحب دعوته.

وبلغ ما أطلته سعد يوم أحد أهل سهم.

وقام اليهود بتكهن قريش وسائر القبائل ضد المسلمين، وزحفت هذه الأحزاب تريد المدينة بقوة وزيد كثيراً عما يستطيع المسلمون مواجهته، فأثار سعدان الفارسي بتحصين المدينة، فخفى المسلمون في الجانب المكشوف منها وسعد معهم. ويوهبها تنبيأ رسول الله بفتح الحيرة والمدائن وقصور الروم وقصور صنعاء. لم يكن أحد يوقظ يدري أن قصور الحيرة ومدائن كسرى سوف يفتحها بعد سنوات قليلة رجال من هجاء المدينة ومن يدافعون عنها الآن على السواء، يقودهم واحد منهم يضرب بالقول ويحمل التراب على صنعوا اسمه سعد بن أبي وقاص. وبلغت الأحزاب المدينة وحاولت اقتحام الحبشة فمجزت
عن ذلك ووقفت تجاهه تماصره. وكان سعود وبعض المسلمين يخرجون مراكاً للمبارزة حتى ينصب القبائل وتعبت من بد الشتاء فانقضت عن مقصدها وانصرفت.

وشهد سعود المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. فتوفى الرسول وولى أبو بكر الخلافة وارتد من العرب من ارتد دوقف الصديق بإيمانه الذي يعدل إيمان أمة ينتمس بكل ما جاء به الإسلام. كان سعود من كبار الصحابة الأبطال الذين اعتمد عليهم في حراسة المدينة مع علي وطلحة وسائر أصحبه. فلما كانت الليلة الثالثة تجمعت بعض القبائل في شمال المدينة تريد مهاجمتها. ورأى أبو بكر أن يباغتها فوراً وفي نفس الليلة مستعداً مبدأ أن المهاجم خير وسيلة الدفاع، فتحرك مع الصحابة وسعد معهم فهزموا تلك الجموع وفرحوا تجهمها. وقضى أبو بكر على الردة بعد حروب طاحنة ثم استعمل سعداً على صدقات هوازن واستعمل سعد عليها أيضاً بعد أبي بكر.

سعود بين القادة

والآن تحتاج هذه الجيوش لفتح العراق إلى قائد صهابي جليل يكون وهو يقودها بدلاً عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فاختير سعود بن أبي وقاص. وقد نرى منهجه في الحرب والقتال خلف ما عهدنا من خالد بن الوليد والمنى بن حارثة، وفي كل خير، تماماً كما نفس الفوارق الشخصية بين أبي بكر وعمر رضي الله عنها، ولفيديو في ذلك فليس للإسلام قلب واحد جمع في شؤون الدنيا يجب فيه الناس جميعاً. في خرجوا من صورة واحدة متكررة، وإن علماء النفس اليوم يقررون أن كل شخص فرد مفرد في ذاته، وحيد نسخة وأن من المحال أن يتكرر الشخص بكافة جلته وتفضيله تماماً، كما وأنه من المحال أن تكرر البصات فلا بد من فوارق. هذا هل يخلق الله وهكذا إعجازه فيه وما كان لدین الله أن ينفضه، وحسبه ما يدخله على الفرد من صقل كما يضصل النحات الحجر، فإذا هو من آيات الجمال رحاماً كان أو جراً أو مرمراً أو عزاً. وسعود نموذج من نماذج القائد
المسلم، سوف نفس تلك الفوارق مع الصفحات التالية ... صفحات تاريخنا.

كان من ذهب عمر أن يسأل عن يغد عليه، فجاء عرو (1) بن معدي كرب يوحاً من العراق فسأله عمر عن سعد فقال عرو:

- متواضع في خيائه، عربي في تمويه (2)، أسد في حمته (3)، يبدو في القضة، ويقيم بالسوية، وبعد في السيرة، يعطى عليها عطف الأم البرة وينقل إلى حلفنا نقل المبرة (4).

وقد جبر بن عبد الله البحيري فسأله: كيف تركت سعداً في ولائه؟

قال جبرير (5): أكرم الناس مقدراً وأحسنه معذرت وقليل قسوة، وهو لهم كلامه البارد يجمعهم كما تجمع الدارة مع أنه ميمون الأثر مرزوقي الظفر، أشد الناس عند الناس وأحب فريش إلى الناس.

قال: فأخبرني عن حال الناس.

قال: هم كمهم الجمعة منهم القائم الرائش ومنهم العص بن الطباش، ومن وقاص شغفها، يغمز عصاها ويتم ميلها والله أعلم بالسائر يا عمر (6).

وكان سعد ي bè وقبقه بلبس أخضر الشباب، ثوبين في ملبه وماكك ومشهراً يخضب شعره بالسواد ويلبس في إصبه خاتم، يحب الطبخ. وكان راجع العقل بعيد النظر متنين الحلق غف البين والنسان يبرأ بابله وفقاً لاصحابه، أحب الناس للناس وأرقهم بهم (7)، وإن كانت فيه حدة ويفضب الله. وكان سعد أحد

____________________

(1) النمرة كساء في خطوط بيض وسود تلبسه العرب.
(2) حرته.
(3) أصغر العمل وجمعه ذر.
(4) القصة، قادمة الفتح العربي للعراق.
(5) الأصالة، صerged في صلابة، وعضل السم الثوى في الرمي وأبيه (المجد).
(6) ابن معد.
(7) ابن سعد.
الناس بصيراً، أحمر أقطس قصيراً، دحذاشاً غليظًا ذا هامة [كبير الرأس]، خليط الأصابع أشقر. تزوج اثنين عشرة امرأة خلال حياته كان به منهن بعض السرازي، أعقب منهن سبع عشر ذكرًا وثمانية عشرة اثنتي، وترك يوم وفاته ربع مليون من الدرهم. [حوالي 21800 جنيه مصري] لقد روى بعد أحاديثنا عن رسول الله ﷺ كانت حبه صورة منها، قال: أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء. وأربع من الشقاء: الماء السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق (1). وقال: إن الله تعالى طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد يحب الجود، فنظروا أفندكم ولا تشبهوا باليهود (2). وقال: إن الله تعالى يحب العبد النقي الغي الحفي (3).

 kao

رسل عمر إلى سعد فقدم عليه فأمره على حرب العراق وأوصاه فقال:

"يا سعد بن وهب، لا يفرنك من الله أن قبلك خال رسول الله ﷺ فإن الله عز وجل لا يحب السيء بالسيء، ولكن يحب السيء بالحسن. فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته، فان الناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربيهم وهم عباده يتفاضلون بالإعلافة ويبدرون ما عنه بالطاعة، فأنا الأمر الذي رأيته النبي ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا فالله فله الأمر. هذا عظي بإبعال إن تركتها ورغبته عنها حبيب عملك وكتبت من الخاسرين".

وصية

ولما حان الرحيل وأراد عمر أن يبعثه دعاه وقال له:

(1) ابن حبان في صحيحه.
(2) الترمذي.
(3) مسلم، وأحمد في سنده.

21
إني قد ولبتك حرب العراق فأحفظ وصيتي فإنك تقدم علي أمر شديد
كريه لا يخالص منه إلا الحق فهو ود نفسك ومن موك الخير واستفتح به. واعلم
أن لكل عادة عتاداً، فعتاد الخير الصبر، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك
يجمع لك خشية الله. واعلم أن خشية الله تجمع في أمرين، في طاعته واجتناب
معصيته. وإذا أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخيرة وعصاه من عصاه
حب الدنيا وبغض الآخيرة.
والقول حقيقين ينشئهما الله إنشاء منها السر ومنها العلانية، فأما العلانية
فإن يكون حامده وذامه في الحق سواء، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من
فلبه على لسانه وبيته الناس، فلا تزهد في التحبيب فإن النبيين قد سألوا معبتهم،
وإن الله إذا أحب عبداً حببه فإذا أبغض عبداً بغضه فاعتبر منزلتك عند الله
 تعالى منزلتك عند الناس من يشرع معك في أمرك،

٢٢
رحيل الحملة

۱۳ شعبان ۱۴۱۵ - أول أكتوبر (تشرين الأول) ۶۳۵ م

الفجع

باعت عمر سعدا فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفر المسلمين، فخرج من صرار قاصدا العراق في أربعة آلاف.

۱۰۰۰ من قيس عيلان، عليهم بشر بن عبد الله الهلالي.

۴۰۰۰ من قدم عليه من اليمن والسراة. وعلى أهل السروات خميدة بن النعمان بن خميدة الباهلي، وهم بارق وألمع وغامد وسائر إخوته، كانوا سبعة من أهل السراة وألفين وثلاثمائة من أهل اليمن. منهم النجع بن عمر وأسرهم أرطاة بن كنب النجعي، فيهم سبعة من حدبة وتاليد، وصدروا عليهم شداد بن ضميق، وألف وثلاثمائة من ملجد سجود على ثلاثة رؤساء، عمرو بن معاذ سكوب على متنها، وأبو سعتر بن دوينصر على جعفر، وهم في حلف جعفر من إخوة جعفر وزيد وأنس الله ومن كان مثلهم، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداه وجبس ومسلية۱۱۱.

(۱) الطبري ۳/۴۴۴ من شمس عن محمد وطلمحة ومستنير وحنش النجعي.
(۲) ۳/۴۸۵ وس شمس عن عبيدة عن إبراهيم.

سوف تكون لمرفة القبائل أميتها في متابعة هركان هذه الحملة، رئيسي بالرگان في الحباب الثاني من الجزء الأول من كتاب "الطريق إلى المدائن" "العرب وشبه جزيرتهم".

۲۳
لحواء مع عمر

وأتهم عمر في معسكرهم فقال:

إن الشرف فيكم يا مأشر النجع لم يزثل (1)، سيراً مع سعد (2) إلى إخوانكم من أهل العراق (3).

وأرادهم جميعاً أن يتجهوا إلى العراق فأثروا إلا الشام. وأصر عمر على ذهابهم إلى العراق. ثم قسمهم فأمضوا نصفهم نحو العراق فكانوا أربعة آلاف، وأمضى النصف الثاني إلى الشام. هذا وقد ازداد عدد النجع حتى بلغ ألفين وخمسمائة عليهم أرطاة (4) بن كعب بن شراحيل النخعي.

عن جربان بن عبد الله قال: كان أهل اليمن ينزعون إلى الشام وكانت مضر تنزع إلى العراق، فقال عمر: أرحامكم أرطمخ أرطمخ من أرحامنا! ما بال مضر لا تذكر أسلافية من أهل الشام (5).

وقال محمد بن حذيفة بن البدان: لم يكن أحد من العرب أقرأ على فارس من ربيعة، فكان المسلمون يسمونهم ربيعة الأسد وربيعة الفرس، وكانت العرب في جاهلية تسمى فارس الأسد والروم الأمد (6).

(1) الربيع: اللقاء والزيادة، يكون متزوجاً بمنى زالد. وفي الإصابة: متزوجاً بمنى ساكن فيق في الربيع وفي الديار.
(2) الطبري 3/446: من شن عن خنش بن الحارث النخعي عن أبيه. الإصابة 72. مادة خنش.
(3) كان أرطاخ قد وقف على النبي مع أخيه قيس بن كعب وكافن من أجرهم قيم زمانها وأنطقه. فدعاهما إلى الإسلام فاسألهما فدعاهما أن يتبعوا وكتب لأرطاخ كتاباً وعقد له الواء كان هو الواء الذي شهدوا به القادسية بعد ذلك.
(4) الطبري 3/487: من شن عن عبد الملك بن عمرو عن زياد عن جربان.
(5) عن أبي سعد بن المرزبان عن حدثه عن محمد بن حذيفة.
(6) ابن البدان.
وداع وخطاب

وشيهم عمر فشى معهم من صرار إلى الأعوض ثم قام فيهم خطبة فقال:
"إذا الله تعالى إذا ضرب لكم الأمثال وصرف لكم القول ليحيي بها القلوب، فإن القلوب ميّزة في صورها حتى يحبها الله. من علم شيئاً فليستفع به. وإن للعدل أمارات وتبشير؛ فأما الأمارات فحلاء والسخاء والهيئة واللطف، وأما التبشير فلارح.

وقد جعل الله لكل أمر باباً، ويسر لكل باب مفتاحاً. فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد والاعتبار. ذكر الموت يذكر الكاوات والاستعداد له بتنقيض الأفعال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قائله حق، وتأديته الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع في ذلك أحداً، وافتك ما يكفيك من الكاففة فإن من لم يكفه الكاففة لم يغنه شيء.

فإن بينكم وبين الله وليس بيني وبيني أحد. وإن الله قد ألزمني رفع الدعاء عنه، فإنوا شكاتكم الدنيا. فإن لم يستطع فإن من بلغناها تأخذ له الحق غير مُستثنٍ١ (غير منقوص).

ثم أمر سعداً بالسير وقال له:
"إذا انتهيت إلى زرود فانزل بهما وتفرقاً فيا حوالاً، واندب من حولك
منهم، وانتخب أهل النجدة والأي والقوة والعدة (11)«.

وقف عمر وال المسلمون يخرجون من الأعوض يرون من أمامه، فترت السكون أول كيدية مع الخصين بن تمر السكوفي ومعاوية بن خديج في أرباءة فاسترضهم فإذا فيهم في قنعة دم سباه (طوال) مع معاوية بن خديج فظل يعرض عليهم حتى قيل له: "ما لك وهؤلاء؟" قال: "إني عنهم لترد ولا أرى من العرب أكره إلى منهم". ثم أمضاهم فكان كثيراً ما يتذكرون بعده ذلك.

(1) الطبري 3/ 85 ش من عن محمد وطليعة وسهل عن الناسم. 25
بالكرائية ويتجنب الناس من رأى عمر. فكان منهم سودان بن حران من قُتل عثمان بن عفان، وكان منهم حليفهم خالد بن ملجم قبل علي بن أبي طالب، وكان منهم معاوية بن خديج، وهو الذي نقض في قوم منهم زمن الفتنة الكبرى بِتتبع قتلة عثمان يقتلهم وكان منهم قوم يقترون بتقليد عثمان، وكان منهم حصين ابن نير السكاري مع جند الشام الذين حاصروا عبد الله بن الزبير بن العوام عام ۴۴ هـ. بالكعبة فأحرقوها.

المسيب

واسار سعد بهذا الجيش على طريق المدينة ـ الخيرة جنباً جنباً أرض نجد حتى نزل زرود على مسافة ۵۸۵ كيلومتر من المدينة، وهي أرض منبسطة رمالها حراء غير متاسكة إذ تقع على الاعتداد الطبيعي للنفوذ، وسنج بذلك لأنها تزرد الماء، وبها أبار ماء ليست بالعذبة، وهي على مسيرة يوم من فيد (۲). وتذكر رواية (۳) أن سعداً نزل زرود في أول الشتاء، وتقدرينا أنه نزلها في حوالي ۲۷ شعبان ۱۴ هـ ۱۵ أكتوبر (تشرين الأول).۵۵۳ م. على أساس سوف نذكره في فصل تال إن شاء الله.

حشود آخر

وبعد خروج سعد جاءت إمدادات أخرى، فامده عمر بألفي يهاني وآلفي نجدي مؤدب من غطفان وسائر قيس. فقدم سعد زرود بن معه، وقدمت من ورائه هذه الجموع ففرقها فيها حول زرود من مياه بني تميم وأسد. وفي الانتظار أمر عمر بالتقديم ووفود مزيد من التعزيزات راح سعد يشد من حوله، فجمع ثلاثية آلاف من ثني وألفاً من الرباب ولثلاثة آلاف من أسد. ولم تكن زرود

(۱) الطبري ۳/ ۴۸۷ ش س عن محمد بن سوقة عن رجل.
(۲) ابن بطوطة ۴۳۱ - وقعة جمعر ۱۸۶ رقال زرود هي الحزمية.
(۳) الطبري ۳/ ۴۸۶ ش س عن محمد وطلحة عن ماهان وزيد بإسناده.

۲۶
لتعملهم بالإضافة إلى من فيها، فأمرهم سعد أن ينزلوا حدود أرضهم بين الحزرة والبيضاء، فأقاموا هناك بين سعد بن أبي وقاص والمثنى بن حارثة. وفيما يذكر البلاذري أن سعداً أقام بالتعليمية [ والتعليمية قريبة من زرود ] تبعد عنها 95 كيلومتراً ثلاثية أشهر حتى لحق (١) به أصحابه.

وبذل عمر في الحشد لهذه الحرب كل ما استطاع من جهد، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا شرف في قومه ولا ذا سطوة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا تمهب به الفرس، فربما بوجه الناس، وغُرْرهم ودَرْرهم وهو يقول: «وَلَهُ لَأَضْرَبْنُ مَلاَكَ العَجْمِ بِمَلاَكَ الْعَرَبِ» (٢).

وجاء المسامون بأنتمهم، جرأهم على ذلك توطن الجهلة السابعة من خالد بن الوليد والمثنى (٣) بن حارثة، فلقوها بعد ذلك بأصوات شديدة.

كان المثنى حينذاك في شرف ينتظر قعد سعد. وكان معه ستة آلاف من بكير بن وائل وألفان من سائر ربيعة وألفان من بجيلهم جبرير بن عبد الله وألفان من قضاعة وطيء من انضم إليه. على طيء عدي بن حاتم وعلى قضاعة عمرو بن ورة.

في دمّ الله الذي نبينا مُحَرَّقة
وفي موقف الترقب هذا، سعد ينتظر أن يقدم عليه المثنى أو أن يأتي أمر

(١) الحزرة بين تيجيد والعراق، موقع مربع في بلاد بني أمية تربع فيه العرب لكرة راية. وحزن يربع قرب من جبة الكوفة وهو من أجل مرابع العرب فيه قيام، وهي أطيب البادية منظراً وأجمل موقع في طريق البصرة وهو مائل من طريق الكوفة إلى مكة (معجم البلدان). [البيضاء موقع بين الكوفة وحزن بين يربع وقيل بين العذيب والقضاعة]

(٢) فتح البلدان ٤٢٣.

(٣) الطبري ٨٧٣/٥ س عن طلبية عن ماهان.

(٤) الطبري ٨١/٦٠٠ س عن طلبية وهو ابن الحارث عن أدرع ذلك.

٢٧
عن بالتقدم، والمثلث في سيف ينتظر قدم سعد، مرض المثلث مرضًا خطيرًا. يقول الرواة إن الجراحة التي جرحها يوم الجسر انفقت عليه، ولكن أطباء اليوم يرفضون ذلك التشخيص وقد مضى على يوم الجسر عام كامل. واستشعر
المثنى دنو أجله واشتد (1) وجهه فعمل إلى قومه واستخلف على من معه بشر
ابن الخصاصية، وكان معه وجهه أهل العراق، ومع سعد وفود أهل العراق
فيهم فراع بن حبان وعثبة بن المهاج بن المهاجرين أعداهمما عم معه إلى العراق (2)
وكان قد استدعاهما بعد غارة صفين للتحقيق معهما ] وطلب المثنى أخاه
المعنى وأفضى إليه بوصيته وأمره أن يتعله بها إلى سعد. ثم أسلم المثنى الروح إلى
بارزها فانطفأ السراج الفني، وأكملت هذه الشمس المشرقة التي ملأت فتح
العراق نوراً ودفناً.

ولم يستطع المعنى أن يخرج بهذه الوصية من فوره إلى سعد، إذ أن آزابه مد
ابن آزابه بعد عمتل من عمله الأسر يدعي قايوس بن قايوس بن المذر إلى
القادسية، وقال له: ادع العرب وأنت على من أجدوك وكنا كان أبودك .
ونزل قايوس القادسية وكان العرب من بكر بن وائل بن كل ما كانت النعاب بن
المذر بكتابه من المكارية والواعد والترغيب والترهيب. وعلم المعنى بما يجري
وقد فرغ من تومي خلف أيض المعنى في الجهد، فخرج إلى داره في ذي قار مع بعض
فرسانه إلى القادسية حيث بنت قايوس ومن معه كتبهم وفرغ منهم ثم عاد
إلي ذي قار حيث أخذ معه سامي بنت خفصة التيمية (3) أرملة المثنى
وخرج إلى سعد (4).

ولد المثنى بالبادية وعاش في البادية وقات في البادية وطوال له تحت رمال
البادية غازياً للدنيا بسيبه عزوفاً عنها بقلبها. وما أشبه لحظات المثنى الأخيرة
باللحظات الأخيرة للخلفية أبي بكر رضي الله عنها. كلاهما ترك الدنيا وهو
يفكر للمسلمين في هذا الفتح ويوصي له، ود إلى أبو بكر وهو يوصي خليفته عمر
بن أبي الموسى وبعثهم لفتح العراق. ود في المثنى وهو يوصي خليفته سعداً

(1) فتح البلدات 1236، وقد أخذها برؤيته هنا. أما الطبري فهو صاحب رواية
انتقاص الجراح.
(2) الطبري 3/864. س ش س عن محمد وطحلة وماهنات وزياد بن يناد.
باستراتيجية جلبتها بناء على تجارب السابقة وما أفاد منها. لئن نجحت الحالات السابقة نجاحًا باهراً في احتراق أرض العراق من بين براثن الأسد إلا أنها لم تبلغ اقتحام المدن بإنقاذ الكردية وهو ما ينبغي أن يجعل له الخطط. لقد عرفنا في الكتاب الأول، الطريق إلى المدن، المشيئة حوارثة وعرفنا من هو بطولة وقيادة علوة قادر، والآن يبعث عمر سعداً قائدًا عليه فما يترك ذلك أبدًا أو في نفس الرجل العظيم، فتراه يجعل بنفسه وهو يفكر ويدري ويهدى سعداً.

لقاء نحو الأبلة

كانت جميع الحالات التي قادتها خالد وأبو عبيد والمثنى ثم سعد تستهدف دخول المدن كان طريق احتراق أرض العراق من خلال إقليم الجهراء. فالهوية كانت دائمًا هي المساعدة المتقدمة للثواب إلى المدن. ومع ذلك لم يرغب في الخلافات أي بكر وعمر ولا عن قادة جيوشها لمدينة الأبلة وشط العرب من أهمية وأهمية على محور تقدمهم، فنجد أبا بكر يأمر خالداً أن يبدأ غزو العراق من الأبلة، ثم بعد خالداً في تقدمه لا يغلق أمر ذلك الشارف مكان بطراف في حامية مناسبة لحظة أمر جيشه من تلك النجوم والمراقبة أي تزامنات فارسية بها، ثم نجد المثنى حين انسحب من العراق ونزل على حدود الصحراء قد تشر قواته ما بين القططانش شالاك إلى غضب بمحايل البصرة جنوبًا، فكان بهـا جرير بن عبد الله البجلي.

ولذلك كتب عمر إلى سعد مع خروجه من زرواد إلى شراف (1) «انبعث

(1) في المصادر أنه نزل بشرف ولكن موقع شراف أسفل من الكوفة بثلاثة أميال فلا يبقى سعد إلا إذا تجاوز القادسة بنحو من ثلاثين كيلومتراً، وهو ما يستحيل تصوره إذ إن المؤكد أنه نزل مرتين لم يبلغ الساسة. ونعتقد أن الموقع المصصود هو سيراف وليس «شرف» فهو نور قريب يجعل احتفال التصريح فيه أو الميلاد على الرؤى أو السكان أو الخلاط المطبوع. أما سيراف فهي على ثلاثة أميل من واحة على الطريق من زرواد إلى القادسة، وهي التي سبق أن نزل بها المثنى مع قومه من بكر بن وائل وها آثار كبيرة وهي موقع متوسط بين غضب البصرة والقططانش إذا تزل المثنى من قبل أو نزله سعد الآن. فهو مكان مقبول من حيث موقعه ونافع شراف، ونرى أن كل ذلك لشرف في هذا الموضع بالذات إننا نستند إلى ما ذكرنا. (انظر الحربية ص 82)
إلى فرح الهند رجلاً ترضاه يكون محباه ويكون رداؤها لك من شيء إن أتاك
من تلك التخوف، فبعث سعد المغيرة بن شربة في غضبه من الفرسان فاتخذ موقعه في خصائص
الصحراء تجاه موقع البصرة حيث كان جريب ما زال هناك ومعه محبة، ولكن
جريباً سوف ينضم إلى قوات سعد المتقدمة بعد قليل حيث تنجم القوات
لمعركة المرتفعة. كان خروج سعد من زواد في حوالي 30 ذي القعدة 14 هـ.
14 يناير (كانون الثاني) 636 م. ونزل بشراف في حوالي 8 ذي الحجة 14 هـ.
24 يناير (كانون الثاني) 636 م. ثم كتب إلى عمر بنزه ومنزل الناس فيها بِـ
فضي إلى الخسفانية.
والآن يريد عمر هذا الجيش الذي اجتمع له من الحشد ما يستطيع أن يتقدم
إلى القادسية على نظام وعبادة تضم جميع من بين المغيرة بن شربة وخيله. فماذا
عن نهر الأبلة؟ لقد كان قطعه بن قتادة السداسي يغمر تلك الناحية فكتب إلى
عمر يعلمه مكانه وأنه لو كان معه فقد سُرَّد يسير ظفَر بين قبله من العجم فنفَّهُم
من بلادهم. وكان الفرس بِـ تلك الناحية ما زالوا يحاولون منذ وقعة المثب بنهر
المرأة ونكاية خالد بهم في المدار.
فأجاب عمر: "ه إننا أتاني كتابك أنك تغير علي من قبلك من الأعاجم وقد
أصبت ووَفِّقت. أسف مكانك وأناحذك على من معك من أصحابك حتى يأتيك
أمري".
ثم وجهه مُشْرِيح بن عامر أحد بنى سعد بن بكر إلى أرض البصرة وقال له:
"كن رداؤاً للمسالمين بهذه الحزيمة".
وأقبل شريح إلى البصرة فترك بها قطبة ومَضى إلى الأهواز من أرض إيران
وهو نَوَّاغ أكثر ما كانت تسمح به قوته، حتى انتهى إلى مكان اسمه دارس فيه
قوات الفرس، فدارت بينه وبينهم معركة انتصر الفرس عليه فيها وقناوه.

31
أوامر ووصايا

ركبت عمر إلى سعد:

وأما بعد، فإن تآمرك ومن معك من الأجانب بتفويض الله على كل حال فإن
تقوى الله أقوى العدة على العدو وأقوى العدة في الحرب.

وأدرك ومن معك أن تكونا أشد احتراماً من المعاصي منك من عدوكم،
فإن ذرب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بعاصمة عدوهم
له ولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عدنا ليس كمدهم ولا أعدنا كمهم.
فإن استوفينا في المعاصي كأنهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا
لم نغفهم بقوتنا.

واعلموا أن علكم في سرير حفظة من الله يعلمون لما تفعلون فاستحبوا منهم
ولا تعموا بمعاصي الله لأنتم في سبيل الله.

ولا تقولوا إن عدونا شر منا وإن يسلط علينا وإن أسنا فرز قوم سلط
عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة الهوس،
فجاسوا في الدير وكان وعدا مفعولا.

وأمسلوا الله العون على أنفسكم كما تسلوني النصر على عدوكم، أما الله ذلك
لنا ولكم.

وتفرق بالملحدين في مسيرهم ولا تجذبهم مسيرة يتحليهم، ولا تقصر بهم عن
 منزل يرفق بهم حتى يبلغوا عدوهم والسفر لم ينقص قوتهم، فإنهم سايرون إلى
 عدو مقيم جام الأنس والكراع.

وأقم من معك كل جمعة يوماً وليلة حتى تكون لهم راحة يجمعون فيها أنفسهم
 ويرمون أسلحتهم وأمتتمهم.

ونحن منازل لهم على قرى أهل الصلح والذمة فلا بدختها من أصحابه إلا من
 تثق بديره.

ولا تزوا أحداً من أهله فهم حزيمة وذمة ابتليت بالوفاء بها

32
كما اتبوا بالصر على ما صبروا لكم ففوا لهما، ولا تنتصروا على أهل الحرب
بظالم أهل الصلح.
وإذا وضعت أدنى أرض العدو فاؤاك في عيون بينك وبينهم ولا يغذى عليك
أمرهم، ولكنك عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه
وصدقه فإن الخذوب لا ينفعك خبره وإن صدق في بعضه والعاش عين عليك
وليس عيناً لك.
ولكن منك عند دوك من أرض العدو، أن تكثر الطلائع وتثبت السرايا
بينك وبينهم فتطغى السرايا إمدادهم ومرافقتهم، وتنفع الطلائع عوراتهم، وانتق
للطلائع أهل الرأي والباس من أصحابك وتخيرهم مسوايق الخيل، فإن لقوا
عدوا كان أول من تلاقهم القوة من رأيك، واجعل أمر السرايا إلى أهل الجهاد
والصر على البلاد.
ول专区ه أبداً يهوي في ضيع من رأيك وأمرك أكثر مما حابيت به أهل
خاصتك.
ولا بته طلبة ولا سرية في وجه تتخوف فيه ضيعة ونكيدة.
فإذا عانيت العدو فاضعم اليك فأصابك وطلائعك وسراياك واجمع اليك
مكدشتك وقوتك، ثم لا تاحتلم المناجة ما لم يستكره قتال حتى تبصر عورة
عدوك ومقاتلة وتعرف الأرض كلها كعرفة أهلها فتصنع بعدوك كصنععته بك.
ثم اذكر حكايتك على عسكرك وتخفظ من البيات جهاك، ولا تؤتي بأمر
ليس له إلا ضربة عنفة لترهب بذلك عدوك وعدو الله. والله ولي أمرك
ومن معك وولي النصر لكم على عدوكم والله المستعان ١٠ .

(١) الفاروق الغاند ١٠٥ عن نهاية الأدب، نقل عن عمر بن الخطاب محمد صبح.
تنظيم الحملة

وكتب عمر إلى سعد:

إذا جاءك كتابي هذا فعمِّر الناس (اجعلهم عشرة أشجار).
وعَرَفْ عليهم ( اجعل عليهم عرفاً).
وأمسَرْ على أجنادهم (عين أمراء الجند).
وعَبْهَمُ ( اجعلهم على تبعها).
وأمر رؤساء المسلمين فليشهدوا (يحضروا) وقُدرهم وهم شهد (ليعرف كل
منهم قدره وقدر مسؤوليته برئاسته على من معه).
ثم وجههم إلى أصحابهم وواعدتهم القادسية.
و واضع ياك المغيرة بن شعبة في خيله.
واكتب إليَّ بالذي يستقر عليه أمرهم.

ويحسن لنا قبل أن نسير مع الحملة أن نقوم بعملية جرد لهذه القوات تساعدا
على متابعتها وتقليل تعركتها حين نستطرون مع الأحداث، وأن نعد قائمة بها من
واقع ما سبق ذكره في هذا الجزء والجزء الثالث من كتاب (الطريق إلى المداين).

من ولد فتحان

خضوموت والسُّدف. عليهم شداد بن ضممج. (من السكون من
كَنْدَة).
منه: عليهم عمرو بن معيدي كرب. (من مذحج).
جففي وحلفاءهم من إخوة جزء وزيد وأنس الله ومن لقحم.
(من مذحج). عليهم أبو سمرة بن ذويب.
صدأ وجبش ومسليمة. (من عريب بن زيد بن كهلا).
عليهم يزيد بن الحارث الصدائي.

النبع بن عمرو (من مذحج).

أهل السروات- براق وألبع وعاصم وسائر إخوته. (من الأرد).
عليهم حميدة بن السمان بن حميدة البارقي.

هذه الأعداد من اليمن وفدتهم إلى صرار، منها 400 من السكون
ضمن كندة عليهم معاوية بن خديج في أول بند من البنود أعلاه.
يمناني لحقوا بسعد في زروود (ربما كانوا من مزراح بن مذحج ومن همدان).

من أهل اليمن عليهم أمشت بن قيس الكندذي لحقوا بسعد.
الأرد (1) أكثرهم من براق. عليهم عرفجة بن الحضرة - كانوا في
جيش المثنى.

خمعم (2). عليهم عبد الله بن ذي السهمين كانوا في جيش المثنى.

بيتها. عليهم جرب بن عبد الله كانوا في جيش المثنى.

طيء. عليهم عدي بن حاتم. كلهم فرسان، لعلمهم أكثر من 1000.
كانوا في جيش المثنى وخلق بهم.

قضاء. عليهم عمرو بن وردة. لعلمهم أقل من 1000.

(1) الأرد وكنانة كانوا 700 عليهم عرفجة من الأرد - قدرة الأرد 400 وكنانة 300.
(2) أنظر الجدول التالي لولد عبدالله.

35
من ولد عدنان

قيس عيلان. عليهم بشر بن عبد الله الهلالي. خرجوا مع سعد من صرار.

صدى من غطفان وغيرهم - فرسان. كتب عنهم سعد إلى عمر

وهو في هوازن - حقوه يه زروه.

سائر قيس - هم والبند السابق 2000 أسعد بهم عمر سعدا. فلحقوا

به في زروه.

تم. حشدهم سعد وهو زروه وأنزلهم على حدود أرضهم بين الحزن.

والبسفنة.

الراب. حشدهم سعد وهو زروه وأنزلهم على حدود أرضهم بين

الحزن والبسفنة.

أمد. حشدهم سعد وهو زروه وأنزلهم على حدود أرضهم بين

الحزن والبسفنة.

بكرون واثنين - منهم بنوشيبان وبنو ذهل وبنو عجل - من جيش المثنى.

سائر ربيعة - منهم عبد قيس - من جيش المثنى.

هذه الألف كانت 800 في البويجة وازدادت 1000 في الحشدا الجديد.

ضبة من الرباب. عليهم عصمة بن عبد الله، ابن الهور، وابن حسان.

ابن حسان. في جيش المثنى.

الراب (تم الرباب) عليهم هلال بن عفيفة الشمري. في جيش المثنى.

حفظة (من تيم) عليهم شيث بن رعيبي.

سعد (من تيم) عليهم ابن المثنى الجشمي.

عمرو (من تيم) عليهم رعيبي بن عامر (1).

كنانة. عليهم غالب بن عبد الله الليشي.

9400

1100

(1) ضبة والراب وحئرنة وسعد وعمر وخصم 1300 - قدرها خصم 400، وخصم
فجميع من شهد القداسية بضعة وثلاثون ألفاً، وجميع من قَسم عليه في القداسية نحو من ثلاثين ألفًاً. (13400 + 19400 = 32800).

هـذا ما أمكننا إحصاؤه، وهو في تفاصيل بطوله التفاصيل وفي جمله بطلقه، فيمن مثله في المجامع، إذا جمعنا أبناء كل قبيلة من هؤلاء وجدناهم كلاً تي:

لوحة رقم (١) فروع قحطان

لوحة رقم (٢) فروع عدنان

(١) الطبري ٣٦٩/٨٥٧، عن محمد بابن زيد عن ماهان.
خريطة رقم (2) حشد شبه الجزيرة لجيش القادسية
وبعث سعد إلى المغيره فانضم إليه يبندهم، كما بعث إلى رؤساء القبائل ووجوه
الناس ففعلوا.
فقررهم وجعل على كل عشرة عريفا كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم،
وكذلك كانت إلى فرض الطاء سنة 15 هـ.
وعين أمراء الأجناد.
وأمر على الرايات رجالة من أهل السنة.
وأعطي الناس أعشارا وجعل على كل عشرين أميرا له وسائر في الإسلام.
فكان كل عشر يزيد عن الثلاثة آلاف قليلًا أو كثيرًا، ومتوسط عدد
المغر 1200.
ثم بعد ذلك عبأ التعبئة.
فجعل على المقدمة زهرة بن عبد الله بن قتادة بن الحوية (1).
وجعل على الميمنة عبد الله بن المعتم صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم (2).
وجعل على الميسرة شربيل بن السقط بن شربيل الكحلي (3).
وجاء إذن عمر إلى سعد فبعث زهرة بالقمة من شرف إلى العذيب.
وجعل رديفه وخلفته خالد بن عروفة.
وجعل على الساق ( المؤخرة ) عاصم بن عمرو التميمي العماري.
وجعل على الطالق سود بن مالك التميمي (وهي ما يقوم بأعمال الدوريات).

(1) بن مرتضي بن معاوية بن معن بن مالك بن أرقم بن جهم بن الحارث بن الأعرج بن كعب بن
سعد بن زيد منة بن تميم. وقال الواقعي في ترويح الشام زهرة بن جويرية. وكان ملك هجر قد
سود زهرة في الجاهلية، ورقد على النبي صلى الله عليه وسلم.
(2) عقد له رسول الله بعثه لواء أبيض وهو أحد التسمية الذين قدموا عليه عبس فتهمهم
(3) كان علماً شاباً قاتل أهل الردة وأبيه أبلى حسنًا ورمي في فرح له ذلك، وكان قد غلب
الآشمه بن قيس على الشرف في كندة فيها بين خروجهم من المدينة إلى أن اختلطت الكوفة. وكان
أبوه من أتاه إلى الشام مع جيش أبي عبيدة بن الجراح.

39
وجعل على المجردة (الخيل) سلمان بن ربيعة الباهلي (1).
وجعل على الرجل (المشاة) خالد بن مالك الأنصاري (2).
وجعل على الركن عبد الله بن ذي السهمين الخثansi (3).
شؤون القلعة والقلعة - الشؤون الإدارية (4).
فكان السلام الباي في الحملة أعلاه الأمير وهو سعيد بن أبي وقاص، ثم خليفتاه خالد بن عرفطة.
ثم أمراء الأعشار.
ثم أصحاب الرى.
ثم رؤوس القبائل.
وقد يستحسن أبو بكر بن سبأ له وردة، واستمر في عمر (5) ولم يول منهم أحداً.
وجعل على القضاء وألباني وقسمة الفي عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي.
ذالدور، وهو الأخ الأكبر لسلمان بن ربيعة فائد المجردة. ويبدو أن جبير بن القشع يهكندي كان يعاونه في ذلك (6).

(1) ذكرنا في الجزء الأول من كتاب «الطريق إلى المدائين» أن الخيل كانت تتكاثر في نجد ونجل الأبل. وسلمان بن سهيل من غزافان من قيس عيلان، منازهم في تجد، وهي موطن الخيل.
(2) الأصابة 1816.
(3) ذكرنا في الجزء الأول من كتاب «الطريق إلى المدائين» أن أهل اليمين كانوا أصحاب الأبل وقتل عند ثم الخيل، وطعن من قبائل اليمين. وفي مختار الصحابة: يقال من نبأ راكب إذا كان على ميزة خاصة، فإذا كان على قوا فقير فارس. وقال عابرة: راكب الجبل، سامع - بشيراء اليم - فارس. والركن أصحاب الأبل في السفر دون الدواب، ثم العشرة فها فوقها، والركبان الجماعة منهم والركبان الأبل التي يسيرا عليها الواحدة راحلة.
(4) الطبري 483. 8. 89 من عمره من الشعبي.
(5) الأصابة 3763. وقال جبير بن القشع بن ربيعة بن زيد بن الأرقم بن النهان بن عمرو بن وهب بن ربيعة بن معاوية الأركميفي، شهد فتح العراق وتولى القضاء بالقادسية.

٤١
وجعل داعيهم ورائدهم سلمان الفارسي (1).
وكان الترجمان هلال الهجري.
وكان الكاتب زيد بن أبي سفيان.
وكان في الجلسة كلها بضعة وسبعون من شهد بدراً، وثلاثمائة وخمسة عشر من
كانت له حضرة فيها بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك، وثلاثمائة من شهد فتح
مكة، وسبعين من أبناء الصحابة في جميع أحياء العرب. فلم يخرج من شرف
إلا على تعبئة ونظام كاملين ولم يخرج منها إلا بأمر عمر.

(1) الطبري 3/489. عن مجادل وعمرو بإسنادهما وسعيد بن المرزبان.
الباب الثاني

خطة الحملة

وصية المفتوح

فرغ سعد من تنظيم جيشه فكتب بذلك إلى عمر. وفيما هو ينتظر جوابه، قدم عليه المنى بن حارثة ومعه سلتي بنت خصبة المنى تتضمن عصارة تجاربه في حرب العراق، يذكر فيها لسعد رأيه:

"ألا يقاتل عدوه وعدو المسلمين من أهل فارس إذا استجمع أمرهم وملؤهم في عقر دارهم، وإنما يقاتله على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة (قرية) من أرض العجم.

فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم وإن يكن الأخرى وراءهم، ففناوا إلى وجههم، ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجراً على أرضهم إلى أن يرد الله الكرمة لهم على عدوهم.

وترجم سعد على المنى، وأمر المنى على عمه وأوصى بأهل بيه خيراً وخطب سلماً فتزوّجه ببنية (1) بها.

أول أمر عمر

وكتب عمر إلى سعد كتاباً قدم عليه وهو يشاف بثل رأي المنى.

أما بعد، فسر من شرف نحو فارس بمن معك من المسلمين وتخلل على الله واستعن به على أمريك كله.

(1) الطبري 3 / 490 من عن أبي عمرو عن أبي عثمان البكري.
الطبري 3 / 575 عن ابن سرح.
واعلم يا دايك أنك تقدم على أمة عدهم كثير وعدهم فاضلة وباسهم شديد، وعلى بلد منبع وإن كان سهلاً، كعود (شاق) لبعوره وفيوضه ودآذه، إلا أن توافقوا غيضاً من فيض (الفيض الماء القليل والفيض الماء الكثير).

وإذا قلت القوم أو أحداً منهم فابداهم الهش والضرب وإيام والناسوة (الانتظر) لمجمعهم. ولا يجدون عسكم فإمهم خذعة مكورة، أمرهم غير أمركم إلا أن نجد ونهم.

وإذا انتبهت إلى القادسية والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم وما يريدونه من تلك الأصل (البلاد الأصلية) وهو منزل رفيع خصيب حصن دونه قناطر وأنهار ممتعة فتكون مسالحك على أنفها (النقب الطريق في الجبل)، وبكون الناس بين الحجر والمرد، على حدائق الحجر وواحاته المدر والجراح بينها (الجرعاء رملة مستوية لا تبت شئ).

ثم الزم مكانك فلا تجره فإنهما إذا أحسسوك أنغصتم يجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم ودحهم ودحهم. فإن أنتم صبرتم لعدوم واحتشستكم لقتاله ونومتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجمع لكم مثلكم أبداً إلا أن يحثعوا ولبست معهم قلوهم وإن تكن الأخرى كان الحجر في ديارهم فانصرف فم أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم، ثم كنت عليها أجرها وأجرها أعلم، وكانوا عنها أجبن وها أجهل حتى يأتي الله بالفتاح عليهم وبرد لكم الكرة.

فإذا كان يوم كذا وكذا فكانت بالناس [من شرف] حتى تنزل فها بين عذيب الهجات والعذيب القوانس، وشرق بالناس وغرب (1) هم.

ومع هذا الكتاب كتب عن أبي عبيدة بن الجراح بالشام يأمر به بصرف أهل العراق إليه وهم ستة آلاف ومن اشتهى أن يبله يبلهم.

وخرج سعد في حوالي 13 صفر 15 هـ 26 مارس (آذار) 1336 م.

(1) الطبري 3 / 904: س شن عن أبي عمرو عن أبي عبيدة النبهان.
خطبة الفادسة

كانت الخطوة الأساسية التي رسمها أبو بكر حمله خالد بن الوليد أن يطبق على
غري الفوات بفكي كماشة من شماله وجنوبه والقضاء على كافة القوات، ثم يعبر
الأنبار إلى المدنين. ويكون القول أن حمله أبي عبد كانت امتداداً للكلت الخطوة
والمصدر لها. أما حمله سعد فإن الخطوة التي رسمها لها لم يختلف، إذ استفاد
من تجارب الحملات السابقة وانتهى إلى مثل رأي الملك فتى خطتها على نقطتين
أساسيتين:

١ - اختيار مكان محدد لجتري على أرضه لمركة تتوافر فيه شروط معينة:
أ - أن يكون على الحدود الطبيعية بين الصحراوات، وبين الشبكة المعقدة
المالمات والمسطحات المائية تجنباً للثورات في القتال على أرض
الموانع هذه، وهذا دور مركبة الجسر.
ب - حفظ خط الرجوع لجيش المسلمين إذا دارت المركبة على غير ما
يُرجى، لا أن لبس وراءهم إلا الصحراوات، في حين تكون هذه
المواقف المائية نكبة على الفرس إذا دارت المركبة في غير صالحهم
لأنها مستوعبة، وهناك دور مركبة الجسر.

هذه الشروط تواتر في القادسة.

٢ - أن تكون المركبة التي تدور على هذه الأرض - بعد استدراج الفرس
اليها - كبيرة وحاسمة تقتضي على القوة الأساسية لإم، القوة الأساسية بشقيها
المادي والمعنوي، فيكون من أثر ذلك أن ينفتت ما وراءها فلا يعود لهم اجتياع
قوة مثلها بعيداً، فإن حدث تكون معنويتها صفرًا وقابله ليست معها.

البساطة دائمًا من عناصر الخطبة الناجحة، وما أبسط هذه الخطبة.
نزول الحملة القادسية

16 صفر 15 هـ - 29 مارس (اذار) 736 م.

جاسوس بالقادسية

أخرج سعد المقدمة مع زهرة بن الحولة من شرافة حتى نزل عذيب الهجنات، ثم ارتجل في أزهاره حتى نزل عليهم عذيب الهجنات في وجه الصبح. يدفنى وصولهما في أول الصباح على أن سيرهم كان ليالٍ وهو ما يفسره لنا تاريخ التحرك إذ أنها كانت ليالٍ مقصرة. فخرج زهرة من عذيب الهجنات إلى عذيب القوادس، وكان من مسالح الفرس لهم به حصن. فلما ظهر للسلمان استبانوا على برجه أطلسْ تظهر وتحتفي في مختلف برجيه وشرافته، وتفتقت أول خيل المقدمة حتى تلاحِقهم جميع كثيف وهم يرون أن بالحصن خيلًا. ثم أقمنوا عليه فخرج رجل بركض نحو القادسية، ودخل المسلمون حصن العذيب فلم يجدوا به أبداً وإذا ذاك الرجل بمفرده هو الذي كان يتراءى لهم على البروج وبين الشرف مكيدة لهم ليخدعهم بأن الحصن مليء بالجند فلم رأهم أقمنوا انطلق هاربًا ليخترص من وراءه. يخرج من رأى من المسلمين. وانطلقوا في أثره ليدركوه فأعجبهم. وعرف زهرة بذلك فتبعهم ولحقهم ثم سبقهم يتبع الرجل وهو يقول: "إن أفلت الربيّة، أتاه الخير".

فادر كٌب بالخندق (خندق سابور) تجاه القادسية فطعنوه فقتله فيه. وقد

46
تحجب المسلمون من شجاعة ذلك الرجل ومهارته وعهده بالحرب، فلم يروا في قوم قط أثبت ولا أريطجاشا منه، ولا يبعد مقصده ما أدركه وما أصابه زهرة. ووجد المسلمون بالذيني رماحا ونشابا (سهاما) وأسفاوتا (السفط وعاء كاللفة) من جامود وغيرها فاندفعوا إلىها. ونزل زهرة القادسية بين نهر العتيق ودانسق سايوس أمام قنطرة العتيق وقعد قدس أسفل منها وبِيل.

أمسوا "زفة" وما أن تزل زهرة القادسية حتى بدأ العمل فشكل سرية وبعثها في جوف الليل لتشن الغارات، وهذا مثل للفائتين المسلم النادر البارز للتحرك فوراً وفي أي وقت وفي أي انطلاقة، فاجتازن ثلاثين فارساً من المعروفين بالنجدة والباس، وبدون أنهم لم يكونوا من قبل واحد وإنما ابتغوا من جميع قوة المقدمة، كان فيهم الشيخ بن يزيد الشاعر النبي من المجموعة المشهورة، وكان أمير السرية بكثير بن عبد الله الوداع. فساروا ليلًا من نفس اليوم الذي نزلوا فيه القادسية، وكانت وجهته خيمة، فتوجهت قنطرة العتيق نحو الم جميح (1) ثم عبروا جسرها وجاوزوها في اتجاه الخيرة، فأشاروا إليها كما نزلوا فيها، وأقاموا كميناً بين النخيل الذي يلأ المنطقة حتى ين تبوا جلية الأسر.

وطلت الجلبة تقترب على الطريق حتى أقبلت خيول تتقدم تلك المجموعة فتركتها ثم فنقذت في الطريق إلى صل płyt وهي لا تشير بالكلبين الابراض في النخيل إذ كانت تنظير العين الذي كان يقدسياً وقفت زهرة، ويبدو أنهم استطعوا عودتها وأقبل الموكب الصاحب فإذا هو زفة أخض أزرونق بن آزريد بن مرزبان الخيرة، كانت تسري في تلك الليلة إلى صاحب صين وكان من أشراف العجم.

والظاهر أن ذلك الزواج كان مع ابن الدروز (الريص) عند الغرس.

(1) الطبري 3/ 939، عن عبد الله بن مسلم المكلاوي والمقدام بن أبي المقدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب المكلاوي وكان في المقدمة أيام القادسية وهو صاحب هذه الرواية.
(2) الطبري 3/ 939، عن سهيل عن أبي عبيد عن أبي عثمان البكري.
(3) قال ابن خردخان: طوسج السلاحيين وفيه الجزيرة وطيزناذ - ص 111.
خريطة رقم (3) صينين

48
من نشاط آزادرد بن قايوس إلى القادسية، ومن هذا الزواج الذي يتم في الإقليم نستطيع أن نخلص إلى أن الحكم الفرس قد عادوا بأنفسهم وخيلهم إلى الحرية بعد أن انسحب منها المثلى إلى تحرير البدائية. وهو الذي يظهر على مسرح الحرية من الأزن، فصاعدًا هو آزادرد وليس أبوه آزادرد الذي يبدو أنه قضى نحبه. كانت الزفوة في حرس من الخيل يشتردهم شيرزاذ بن آزادرد. - أخو العروس وأخو آزادرد - يحميها ما هو دون ما لقوا، فما ذهب الخيل واجتاز الأنقاق بال المسلم، خرج بكير بال المسلم فصاعد شيرزاذ قضم صلب وطار خيله على وجهها. واستولى بكير على الأنقاق وعلى العروس وثلاثين امرأة من الدعاقة، وماتها من التوابع ومعهم ما لا يدري قيمتها. ثم عاد يسوق ذلك كله حتى إذا طلعوا على نجد يعدب الهجاءات كثيرة تكبيرا شديدة، فقال لهم سعد:

"أقسم بالله لقد كتب الربيع كتبهم أسرع فورا في المرة،" وقسم سعد تلك الغنيمة فألمس نفته وأعطي المجاهدين أربعة أخماس، فوقع منهم موقعا طيبا.

انتظر بالقادسية

وأنزل سعد نساء المسلمين بالعذيب ووضع معها خيلا ترعاها وتجمها، وانتظم إليهم حماة كل حريص، وأمّر على غلاب بن عبد الله الشهري. ثم اجتاحت سعد حتى نزل القادسية فنزل بسداس [حصن القادسية] ونزل زهرة بالقمة أمام الفجوة التي على العمق في مفتاح المرو، بتلك الجلبة. وكان يشبع الأملزاك به. ثم كتب سعد إلى عمر يخبر سرية بكير وبنزوله قدسنا. وأقام على ذلك شهرا.

وعاد سعد يكتب إلى عمر:

هل يوجه القوم إلينا أبدا؟ ولم يسندوا حربا إلى أحد علمناه. ومثل بغالنا

(1) الطبري 3/ 93، س ش س عن عبد الله بن مسلم المكروي، والطبري في المقدمة.

( القادسية - 49)
ذلك نكتب به. واستنصر الله، فإن بحجة دنيا عريضة دونها بأس شديد. قد تقدم الله في الدعاء اليوم فقال سدانون إلى قوم أوفي بأسب شديد، فيهما فجأة.

معاه طهور عمر يجذب كل الطاقات المتاحة وإمداد سعد بها فقد كانت تغلب عليه الاعتداءات الإنسانية حين تكون القضية على ذلك المحل.

كان شيبان بن المخبل التميمي من خرج مع سعد، وكان أبه قد هرب ووضع وكاد يغلب على عقله فجعة عليه وعندما رأى لا يجيب عليه ويلحق بابنه فلم يقبله عقلته ابن هودة وفقال له أنا أكلك عمر في رد ابنك، وتوجه إلى عمر فأشهد قول المخبل:

أليكني شيبان في كل ليلة جلبي من خوف الفراق وجبب ۱۱ جبب في شيبان أنت لم يعقم، إنك إذا فمارقتني وحوب، فإن ين غصني أصب في اليوم بالليلة.

إذا قال صحيب يا ربيع أنت ترى أرى الشخص كالشخص، وهو قريب في كي عمر ورق له وكتب إلى سعد أن يعيد شيبان فانصرف إلى أبيه فكان معه حتى مات ۶۲.

وكان كلاي بن أمية بن الأسكندر من نبي ليث من كانة يسكن الطائف فهاجر إلى المدينة في خلافة عمر وأقام بها زمنا ثم لقي طلحة والزبير فسألوا: أي الأعوان أفضل؟ قال: الجناح في سبيل الله. فسأله عمر فاغزره مع سعد بن أبي واقع وخرج معه أخوه أبي، وكان أبوهما شريفا في قوله وفقه كبر وضعف ۶۳ قال:

(۱) وجبب : يدق ويخنق.
(۲) الاصابة ۲۷۷۶ ونسبه شيبان بن المخبل (وهو الزبير) بن قريبة بن ثمال بن أبي فاسيل.
(۳) الاصابة ۴۵ ۴۵۵ ونسبه كلاي بن أمية بن حхран بن الأسكندر بن عبد الله بن زهرة بن زينة بن أيمن بن ليث بن بكير بن عبد مناة بن كنانة.
أعادل قد عذلت بغير علم
فإما كنت عاذلا فردية
لله رفع الحجج إلى بساق
إن الفاروق لم يرد كلاباً

ولما طالت غياب كلاب عاد أبوه يقول:

لم شيخان قد نشدا كلابا
كتاب الله لما كل، الكتاب
أهله مهاجر فروجته
عباد الله قد عقب وخارا
فلا وأبي كلاب ما أصابا
أثديه في رض في إباه
تركت أباك مريضة يدبه
إذا نعم الحمام بطن وجم
أبره بعد ضعيف والده
فلو وأبي كلاب ما أصابا
 وإنك والتاس الجهر بعدي
سحقاً يوم يتبعض السرايا

وكان عمر إذا قدم عليه قائم ساله عن الناس، ققدم قادم فسأله: من أين؟

قال: "من الطائف"

قال: "فاته؟"

فذكر له أبيات أمية.

قال عمر: "و من كلاب؟"

قال: "ابن الشيخ كان غازياً"

قال عمر: "أجل، وأبي كلاب ما أصابا"

وقب على سعد يأمره بإرجاع كلاب، فلما قدم أرسل عمر إلى أمية.

قال: "أي شيء أحب إليك؟"

قال: "نظر الابن إلى كلاب"

فأعاده إليه فما رآه اعتنقه وبيكى بكاء شديدًا فأثار عمر وبيكى وقال:

"يا كلاب الزم أباك وأمك ما بقيا".

51
كان عمر في هذا طريق رسول الله ﷺ، إذ جاء رجل ليغزوهم فما
عرف أن له أبوين شيخين كبيرين قال له: 'فيها فجاهد'...

عوامات فموينية

كان جيش سعد أكبر من أي جيش سبق لفتح العراق، فكانت المسألة
التعليمية بشأنه تتعلق إلى مزيد من التدبير أكثر مما كان بالنسبة للجيوش السابقة
التي قادها حارز وأبي عبيد والمثنى. ولسد كان إرسال تلك الجيوش بسرعة إلى
داخل سواح العراق ينجح لهما الحصول على ما يحتاج إليه في معاشيهما وأكثر، أما
هـذا الجيش فهو على ضمائه يقف على تحرك الصحراء. ولذلك أتى في الحطة
التعليمية إلى أن تساهم المدينة في الأمر فيهم عمر بما يلزمهم اعتدالاً على سم
"سبيل الله" من الزكاة التي تؤديها قبلة شبه الجزيرة وهي المنصوص عليها في
الآية في إما الصدقات للفقراء والمساكين والعمال والمولفقات فقهيهم وفي
الرقاب والجارمين وفي سبيل الله وابن السبيل، فرضية من الله وبهدى علم
حكمة(1). هذا بالإضافة إلى ما يصيب المسلمين من غاراتهم على نواحي
العراق، تلك الغارات التي كان عليها أن تزداد عدداً وأن تنسب إلى مدى أبعد.
فنالسبة إلى الخصبة والشجر والثمار والحرب والجبيل كونها قد استنفرت مهمتها
به أو أقاموها(2). أما اللحوم فهي التي تقربون [يتوافق] فيها فإن
الثمانين عشرين ألفاً من الجنود يلزمهم ثلاثمائة وعشرة جمل في اليوم على أساس المبيع
الم素敵な [كما تقدم في الجزء الأول من الطريق إلى المدين] أو نحو تسعة آلاف
وصية من الإبل في الشهر لتطعهم خلاف ما يلزم نساءهم بالذين ما قد يبلغ
نحو ذلك أو يزيد. روي أن المغيرة بن شعبة قدم كالصبرة على سعد بسبعين من

1(1) التوبة 260.
(2) الطبري 3/281. 3/170.
4234.
(3) الطبري 3/281. 3/170.
(4) 305. 5/170.
(5) فتوى البلدان
(6) أبوه عن كرب بن أبي كرب المككي وكان في مقدمات القادسية.
الإبل الجيدة التي يحمل عليها يركب، وعند بعد ضيق شديد من الحال فنجرواها وأكلوا الخومها وادهروا بسجومها واحتدوا (11) جلودها [ الخُذُوها أحذية ] فكان سعد يبعث السرايا للحصول على اللحم وكانوا يسرون أياماً بها.

يوم الابقار

بعث سعد في إقامته تلك عاصم بن عمرو في سرية فيها نذر بن عمرو والوليد ابن عبد شمس وزاهر فساير الفرات إلى جنوبه حتى أتى ميسان [ منطقة العبارة بين البصرة وواسط ]، فطلب غنماً أو بقرة، فلم يقدر على شيء منها وهرب بها الفلاحون في الزرع ووغلوا في آجام القصب، وأوحى عاصم وراءهم حتى أصاب رجل على طرف أجة (2) فاسلله واستلبه على البقر والغنف فجعل الرجل أنه لا يعلم وإذا ذلك الرجل راعي ما في تلك الأجة، خار ثور من داخلها يكتب الراعي فدخل عمرو فاستفاق الأثير وكان كثيرة كانت بها عسكر المسلمين فقسمها سعد على الناس فأختصوا بها أياماً.

يذكر الرواة أبى ذلك بلغ الحجاج بن يوسف الثقفي في زمانه فأرسل إلى النفر الذي ذكرنا من شهدها فيها:

قالوا: «نعم نحن سمعنا ذلك ورأيناها واستعناها ». فقالوا: «كنتم ». فقال: « كتبتم ».

قالوا: « كذلك إن كنت شهدتها وغيبنا عنها ».

قال: «صدقتم! فإذا كان الناس يقولون في ذلك؟ ».

قالوا: « آية تبشر يستدل بها على رضاء الله وفتح عدوانا ». فقال: « والله ما يكون هذا إلا والجميع أبرار أتقياء ».

قالوا: « والله ما ندري ما أجتهد [ أخفت ] قلبيهم، فامرأنا فأنا »

(1) البخلاء 2/ 191.
(2) جانب شجر كفيف مكتس.
لم تر قوماً قط مزدهر في دنيا منهم ولا أشد لها فضلاً، ما اعتيد على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث، لا يبين ولا يغدر (11) ولا يغول.
عرف هذا اليوم بيوم الأباقر. وبيت الغارات بين كسكر والأنبار، فحوَّل من الأطعمه ما كانوا يستكمون به زماناً. كانت كسكر بجنوب العراق من وراء الفرات وكانت الأنبار بشمالها فكان الغارات انبثقت من القادسية إلى كافه أنحاء العراق في حركة مفاجئة للحصول على الماء والطعام. وكان هدفها اللحوم بصفة خاصة.

(11) الطبري 3904 س. ش س. عن عبد الله بن مسلم العكلي، والقاسم بن أبي القدام عن أبيه عن كرب بن أبي كرب العكلي، والقول: الاختلاف من الغنيمة.
رأستم في مواجهة سعد

أقام سعد بالقادسية زمنًا ينتظر الجووس أن يوجهوا إليه قواتهم، وهم لا يفهمون. واستطاع فبعث عنوانًا إلى أهل الخير و إلى صلوبا بن نسطونا دعائيًا سنة الناطف من وراء الغرات. فرجع إلى النجوم بأن يقهرeyJQv1c8vQه قد ولى رسم بن الفردخنذر الأرمني حرب المسلمين، وأنه أمره أن يعسکر بجنوده.

وراسالت
وجه إلى سعد كتاب من عمر:
ه أبدا، فتعاهد قلبه، وحاتم جنده بالوعظة والنية والحسبة. و‌من غفل في نجمه. والصبر الصبر، فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية، والأجر على قدر الحسنة.
والحذر الحذر على ما أنت عليه وما أنت بسيط ين. واسألوا الله العافية.
و أخبروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله.
وأكتب إلي، أب يبلغك جميع، ومن رأسهم الذي يلي مصادمكم، فإنه قد منعني من بعض ما أردت الكتابة به قلة عمي، بما هجمت عليه والذي استقر عليه أمر عدوكم.
فصنف لى منازل المسلمين، والبلد الذي بنيكم وبين المدائن صفة كأي أنظر إليها، واجعلني من أمركم على الجليلة.

55
وكَفَّ اللهُ وَأَرَوجْهُ وَلاَ ندِيلُ [ تَفْتَرَ ] بِشَيْءٍ وَأَعْلَمَ أنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَكُنَّ
وتولكَ لَهَا الأَمْرُ بَلَا خَلَفْ لَهُ فَأَخْرِذُ أنَّ تَصْرَفَ عَنكَ وَيَسْتَبَدَّل بِكَ (۱)
غيركمَ
فَكَتَبَ اللهُ سَمَى بِنَصْفِ الْبَلَد وَسَفَأ طَبِعَ عَرَايَ مَفْصَلَةِ
هنَّ الْقَادِسَةَ بِنَحْجِ الْحَنْدَقِ وَالْمَتْعِيَقِ
وإنْ ما أَعْلَى الْقَادِسَةَ بِجَرَّ أَخْبَرَ [ مَسْتَنْقُعَ ] في جِوْفِ [ مَنْخَفِضَ ]
لِأَجَّ [ مَتْحَ ] إِلَى الْحَيْرَةِ بَيْنِ طَرِيقِينَ. فَأَمَا أَحَدُهَا فَعَلَّ الْبَصَرُ وأُمَّا الآخِرُ
فَعَلَّ مُشَاطِي إِلَى الْخَضْرَ بَعْلَ مِنَ سَلَكِهِ عَلَى مَا بَيْنَ الْخَوَرَنِقِ وَالْحَيْرَةِ.
وَإِنْ ما أَعْلَى الْقَادِسَةَ إِلَى الْوَلَأَةِ فِيْضٌ مِنْ فِيْضٍ مَيْاهَمِ [ هِيِّ الْبَطِيْحَةُ]
الْعَظِيمَةِ
وَإِنْ جَمِيعٌ مِنْ صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوْدَ قَبْيَ ءِلَّبَ (۲) لَأَهْلِ فَارِسَ
قَدْ خَفْفَ أُهُم وَأَسْتَعْدَأُ لَهُم.
وَإِنْ الَّذِي أَعْلَى مُصَادِمَتُنا رَسَمَ فِي مَثَالٍ لَهُ مَنْهُمْ فَهُمْ يَجَارِلُونَ إِنْفَضَانَا
وَيَقَاحِمُونَ وَيَظْهَرُونَ وَيُحاَوِلُونَ إِنْفَضَانُهُمْ وَيُزَبَّرُونُ وَأَمْرٌ اللهِ بَعْدِ مَاضٍ وَقَضَائِهِ مُسْلِمُ
إِلَى مَا قَرَرْ لَنَا وَأَعْلَنَا
فَنْسَأْ اللَّهُ خَيْرَ الْقَضَاءَ وَخَيْرَ الْقَدرِ فِي عَافِيَةٍ
فَكَتَبَ عُمْرٌ
فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَفَهْمَهُ
فَأَقَمْ بِكَانُكَ حَتَّى يَنْفِضَ اللَّهُ عَدْوَكَ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذَهَا
فَإِنَّ الْهَيْأَئَةَ أَبَادَرَهُمْ فَلاَ تَنْزِعَ عَنْهُمْ حَتَّى تَقْتَحِمْ عَلَيْهِمْ المُدَّانُ فَأَنْفِخَهَا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ
وَجَعَلْ عَمْرٌ وَمِنْهُ يَدْعُونَ لَسَمَعٍ وَمِنْهُ.

(۱) الطَّرِيَّةٍ ۳ / ۹۱۹، سَنَ شِشَانَعِيَأِبَيْ عَمرَوْ نَعَْنَبِيِّ عَيْمانَ النَّهْدِيَّ
(۲) الإِلْبَ: الْجَمِيعَةُ تَجْمَعُهُمُ عِدَادَةً الْحَوْرَانِ. يَبَعَّلُ اللَّهُ بِلِقَاسِمَ الْلَّامِ عِلْيَهُ أَيْ جَمِيعَ غَيْرِهِ عَلَّ عَنْهُ.
وعاد عمر يكتب إلى سعد:

إنه قد ألفي في روعي أنسك إذا لقيتم العدو هزتمتمهم، فاطرحوا الشك.
واقولوا التقيّة عليه [إظهار غير ما تبطن، أي لا تظهر نواياك]
فإن لاعب أحد منكم أحدًا من العدو يتبين أن أمان أو فقره [لخلق عليه]
بإشارة أو بلسان كان لا يدري الأعجمي ما كله به، وكان عندهم أمانًا فأجروا ذلك له مجرى الأمان، وإياكم والضغط.
والوفاء الوفاء، فإن الخطأ بالوفاء بغيضة، وإن الخطأ بالغير الهملاء وفيها وهنكم وقوة عدوكم وذهب ريحكم وإقبال ريحهم.
واعملوا أن أحكم أن تكونوا شيئا على المسلمين وسبأ لتوهينهم (1).
ولا يكرونك ما باتباعك عنهم ولا ما يتأولك به. واستعن بالله وتدبر عليه.
وبعث الله رجالًا من أهل المنظرة والرأي والجلسات يدعونه [الي الإسلام]
وإكتب إلى في كل يوم (2).

عندما إذا هو الذي كتب عليه أن يقود جيش فارس لخوض المعركة الكبرى في مواجهة سعد بن أبي وقاص. فكيف وفع اختيار فارس على قائدها الأول؟ ومن هو هذا القائد؟

من وسم
قال الباذري، وسم من أهل الري ويقال لبل من أهل هذان (3).
وفي أخبار عيون سعد التي أورداها سابقا قالوا إنه أرماني. ولقد مر بنا ذكر رسم قبل ذلك حين أراد أبوه الوصول إلى ملك فارس بالزواج من آزر مديخت

---

(1) الطبري 3/ 926 ـ ش ش عن الخبيث بإسناده.
(2) 3/ 940 " عن عبد الله بن مسلم العكاشي، والمقام بن أبي المقدام.
(3) فتح البلدان 134. 67
فنجابات حتى قتله، ومعت فارس فوضى أرادت بوران أن تحميها فكتب
إلى رستم وكان أميراً على خراسان فاستجحته للسير فحلف إلى المدان ليلقي
جيشها لازهم دخت إلا هزمه، ثم حاصر المدان واقتحمها وفخًا عنيٍ
آزر ميدخت ثم قتلها.

ولوثه بوران أمر فارس عشر سنوات يعود الملك بعدها إلى آل ساسان
وتوّجته وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا
ورستم هو الذي وضع خطة الهجوم المضادة وبدأها مع رجوع المثنى من المدينة
فحض سهاقين السواح على الثورة بالمسلمين ودس في كل رصاق رجالة لذلك وبعث
ثلاثة جيش هزمها أولاً عبيد فوجيه يمن جاذوره ومنه كل الإمكانيات الممكنة
فكسر الجيوش الأول والآخر معركة لهم من المسلمين. وكانت فارس قد دانت
لرسل قبل وفود أبي عبد. ولكن مع انتصارهم يوم الجسر نقض أهل فارس
المعهد الذي عقدته لرستم.

ثم أوقع المثنى الجيوش في البوب وشن غاراته على أنحاء العراق قطلب رستم
وفرزان من بوران أن تدهله على نساء آل كسري وبضأ حتى وجدعز
عند أخواله فنصبهم ملكاً وعاد رستم يوجه الجيوش ضد المسلمين.

حتى نجى، المعوكه
وكان سعد مقيناً بالمسلمين في القادسية يبعث السرايا تشغارات هنا وهناك
تستهدف هدفين:

الأول: هو الإعاقة والتموين جيش المسلمين في الميدان.
والثاني: هو حرب استنزاف على الفرس.
وما دام الفرس يطبلون ولم يخرجوا إلى القادسية فقبلهم سدع على ذلك.
ولا شك أن وقوع المسلمين بالقادسية وعدم تجاوزها إلى ما بعدها من ريف
العراق قد استوقف نظر الفرس (1) لا سيما وليس هذا دأب المسلمين في سابق من

(1) الطبري 3/105 عن شمس عن عم محمد وأصحابه.
و عن النضر عن ابن الزنكن عن الرفيق (وكان فارسية).

68
معارك وحملات، غير أنهم يبدو أنهم لم يدفعوها إلى خطة المسلمين في المعركة المرتقبة وإلا لعملوا على تلافيها. ولا شك أيضاً أن الغارات التي كان يشنها سعد كانت تشكل ضغطاً شديداً على مادرات المجوس ومعنوياتهم، فقد ضج أهل الواد إلى يزدجرد بن شرير وقادروا اليه بالشكوى وأرسلوا إليه (1).

إذ إن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب، وإن فعل العرب منذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء، وقد أحوروا ما بينهم وبين الفرات، وليس فيها هناك أنفس إلا في الحصون. وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحتله الحصون من الأطمحة ولم يبق إلا أن يستنزلوها. فإن أبطأ عن الفتيات أعطيناهم بأيدينا.

آتت حرب الاستنزاف تزامناً، وأثر ضغطها المادي والنفسي على المواطنين فكثرت استغاثة أهل الواد إلى يزدجرد على يد يزيد بن سعد بن أذوره. كما كتب إليه بذلك الملك الذين لم يشع بألفافه فأثاروه وهيجوه على أن يتخذ إجراء براه حاسم فيما لا أن يرسل رستم.

(1) الطبري 3 / 507 من ش س عن محمد وطليعة وعمر بإسنادهم.
دبشليم الملك وبيديبا الفيلسوف

وأرسل يزدجرد إلى رستم فدخل عليه.

قال يزدجرد: إن أبيد أن أوجهك في هذا الوهج وإنما يعد للأمور على قدرها، وأنت رجل أهل فارس اليوم وقد ترى مساجه أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أردشير.

ولم يكن رستم يرغب بهذه المهمة الثقيلة على نفسه غير أنه رأى من السياسة أن يتظاهر بالقبول وأثنى على الملك على أمر أن يجد من هذا الأمر خرجًا.

قال يزدجرد: قد أحب أن أنظر فيها لديك لأعرف ما عندك، فصف في العرب وفعلهم من دخلو القادسية، وصف في العجم وما يلقون منهم.

قال رستم: "صفة ذئاب صادفة غير من رعاء فأفدستوت.

قال يزدجرد: ليس كذلك، إنما إنما سألتك راجأ أن تعرب صفتم فأقوتك لتعلم على قدر ذلك فلم ينصب فافهم عنى.

إذا مثلتم ومثل أهل فارس كأنك عقاب أوقى على جبل يأوي إليه الطير بالليل فتببت في سفحه في أوكارها فلما أصبحت تجلت الطير فأبصرته يرقبها فإن شد منها شيء اختطفه، فلما أبيضت الطير لم تئف من خافته، وجعلت كلما شد منها طائر اختطفه، فلو نهضت نضجة واحدة ردها وأخذ شيء يكون

٦٠
في ذلك أن تنجو كلها إلا واحدة، وإن اختلفت لم تنض من فرقة إلا هلكت، فهذا
مثلهم ومثل الأعاجم. فاعمل على قدر ذلك.

حوار أسهم بما تقرأ في كلية ودمنة، غير أن يرسم استراتيجية عامة وهي
أن تشدد قارس كل طاقاتها لمعركة فذفة واحدة، ذلك كان. اتجاه يدجرد
وتلك كانت خطة عمر أيضاً. وربما أن رست قد بلغ به الملز مبلغه.

فقال: «أما الملك دعني، فإن الحرب لا تزال تهاجم العجم ما لم تضربهم في
ولعل الدولة أن تثبت بي فيكون الله قد كفى ونكون قد أصبنا المكيدة روجاي
الحرب، فإن الرأي فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر».

فأجاب يدجرد وقال: «أي شيء بقي؟

كان كأنما يرمي آخر سهم في جيشه.

قال رستم: «إن الأناة في الحرب خير من العجلة، وللأنه اليوم وضع.
وقت جيش بعد جيش أصل من هزيمة مرة وأشد على عدونا».

ورنت استغاثات أهل السودان في أن ينقتضي فاشد حرصه لزي وأبي أن
يغفي رستم، وكان ضيفنا جوجاً فترك الرأي وأصر على رأيه.

رأى أن رأي رستم كان أقرب إلى الصواب، غير أنه لا حل للموازنة بينه
وبين رأي الملك إذ لم يكن رستم يقوله خليساً في قوله وإنما كان ينحل المعادر
لتمتص من هذه القيادة. ولم يكن الملك مقتناً بذلك. هذا وذاك فقط ما
بُعدا المسألة حين تائفها الرجلان.

خرج رستم من المدائن فضرب عسكره بساباط، وصارت رسولا رسمت تتردد
بينه وبين الملك لبرى موضوعا لإغاثته وبعث غيره. ولكن الملك أبي وأستحث
رستم على المضي، فأعاد عليه رسم القول في مرارة ظاهرة: «أيها الملك، لقد
اضطرني تضيع الرأي إلى إذاعات نفسي وتزكيتها. وله أجد من ذلك بدأ ل
أنكفي فيه فاتشدي الله في نفسك وأملك، دعني أظلم بعسكرك وأسرح
جالنوس، فإنك لن تفعل ذلك ولا فائانا على رجل وأبعث غيره حتى إذا لم تجد بدأ
ولا حيلة صبرنا لهم وقد وحشتهم وحسرناهم ونحن جامون».

61
فأبي إلا أن يسير (1)

دولة تتبع التنصيم

رجعت عببر سعد الذي أرسلها إلى الخبرة والى ابن صلوبا بهذه الأخبار، فكتب بها إلى عمر الكتب الذي أتيناه سابقاً.

وقد جرأ يزدجرد (2) على إصراره على رأيه علام جابان وكان منجعاً لكسري من أهل فرات بادقلي، فأرسل إليه يزدجرد فاته.

قال له الملك: ما ترى في مسير رستم وحرب العرب اليوم؟

فخافه على الصدق فكتب عليه. وكان رستم يرى مما يراه المنجم وكتب: فشئ عليه مسيرة وخف على الملك.

قال الملك لمنجع: إن أحب أن تخبري بشيء أراه أطمئن به إلى قولك.

وكان هناك منجع هندي يدعى زرتا، فقال له الغلام: أخبره.

قال زرتا: كأنني... فسألاه.

قال: أيها الملك! يقبل طائر فيقع على أيوانك فيقع منه شيء في فيه هنا، وخط دائره على الأرض.

فقال عبد: صدق، والطائر غراب والذي في فيه درهم!

وطلب الملك جابان فأقبل حتى دخل عليه فسألته عن قول علامه، فحسب جابان نجومه ثم قال: صدق ولم يصب، هو عقم، والذي في فيه درهم فيقع منه على هذا المكان - وكتب زرتا - ينزو الدراهم فيستقر هذا هنا - ورسم دائرة أخرى.

فيا قاموا من جيشه حتى وقع على الشرفات عقعق فقد منه الدراهم في الخط الأول وتدحرج فاستقر في الخط الثاني، وعارض زرتا الهندية، جابان.

(1) الطبري 3/670 وين مع محمد وطلمعة وعمر بن إسناطيم.
(2) الطبري 3/671 وين مع النضر بن السري عن ابن الزنيل عن أبيه.
وناظره حيث خطأه، فأتي ببقرة توج حامل، فقال الهندي: «سختمها.»

بيضاء سوداء.« 

فقال جبان «كدبت بل سوداء صبغاء.»

فنجرت البقرة واستخرجوا جبنها فوجدوه مشوهاً ذيلاً بين عينيه.

كان هذا كافياً لإثبات كذب المتنبئين، فلم يذكر أحد منهم شيئاً عن هذا.

وهو أظهر ما في الجبين بلا ريب. ومع ذلك قال جبان:

«من هنأ أتي بزنا.»

وشجع الملك على إخراج رست قابضة.

وخرج جبان من عند الملك فكتب إلى جشنسيه:

إن أهل فارس قد قتل أمرهم وأديب عدوهم عليهم، وبدهملك الجوهرة وأديب ملك العرب وأديب دينهم.

فأعتقد منهم الدمعة والخطيب الأموار، والعجل العجل قبل أن تلزمه.

وخرج جشنسيه حتى أتى المعنى بن حارة الشيباني وهو في خيل على الفيض.

فأخبره بما جاء فيه. فأرسل المعنى إلى سعد فعتقد منه الدمعة على نفسه وأهله.

بيته ومن استغابة له [أخذه عبداً] ورد سعد فكان صاحب أخبارهم ومصدرًا هاماً من مصادرها. ولكن لا ننسى جشنسيه هذا نذكر أنه هو الذي كان يقوم بميمنة جبان في النزاع في مواجهه عمرو بن الهيثم الذي كان على مسيرة أبي عبيد.

الهاتفي يومها. وأهدي جشنسيه فوالوذج إلى المعنى.

قال المعنى لأمرأته ما هذا؟

قالت: «أظن البنائسة أمرأته أرانت العصيدة فأخطأتها.»

قال: «المعنى يوصى لها!»

فائد بالإكراه

كان رست إذا فسائد الميدان جيش العجم مكرهاً شؤن كل المجندين فيه.

(1) النسخة هي الجينين.
من الجند - بينما لم يكن في جيش المسلمين مكره واحد. وكان التنجيم والتشاؤم والحوف قد ملكت عليه قلبه وهو رجل فارس في السياسة والحرب. ولذا كانت الدول تحت جنودها تجنيداً إجبارياً في جميع أنحاء العالم في مختلف العصور ولا غضباً، فإننا نرى أنه من أفحش الخطأ أن يجني القائد العام على كره منه واعتراض. ومن الفضل أن في العرف الحربي اليوم أن من حق القائد أن ينتهي عن منصبه إذا لم يكن مقتناً بالمعروفة أو نظرة أو بأسلوب حكومته معه، وأنه لا يجوز حينئذ إكراره والضغط عليه لرغامه على قبول ما لا يقبل.
الباب الثالث

دعوة إلى السلام

وقد ألقى اللواء رزق

إِنْفَذَ أَمْرَ عِرْضَ سَعْدَ نَفْرَأً عَلَيْهِمْ فَجَّارٍ (١) وَلَهُمْ آرَاءً وَاجْتِهادٍ وَهُمْ:

المطي

المزي

الحبيب

الكماج

الثعبان

النبي

الدنيان

البص

الزمر

فُرُطُتَ بِهِ نَحْبَةٌ (٢)

المغيرة

مَرْقٌ

النباش بن حبيب الآسيدي

وانفرأ عليهم مهابة ولم منهم منظر لأجسامهم ولم آراؤهم:

عطارد بن حاجب

التميمي

الأسعد بن قيس

الكندي

الحارث بن حسان

الذهلي

عاصم بن عمرو

التميمي

(١) فِجَارٍ: أَصْلُ وَحْسَ وَرَكْنٌ - الْجَنِّ.

(٢) لم تُنْتَهَّ إِلَى أَيْ ذِكْرٍ أَخْرَى أَوُّرْجَةٌ لَعْدِي بَنِ سَهْيَلٍ، وَلَوْ بَقَى وَقَعَ خَطَأً مِنَ الْكَبْرِ، وَصِلَائِهِ سَهْيَلٍ بَنِ عَدْيِ الحَزَرَجِي مِنَ الْأَنْصَارِ، شَهِدَ بَعْدًا وَأَحَدًا وَالشَّاهِدَ بَعْدًا، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي

قِرْنَةَ الْفَجْرِ وَفِتْحَ فَارِسَ وَكُرْمَانَ.

(القادسية - ٥)
عمر بن معد بن كرب المغيرة بن هند النبطي، المعنى بن حارثة (1)

فكان هؤلاء الأربعة عشر، وقد سعد ودعاته إلى يد الله، والثلاث آخر ملوك بني ساسان، خرجوا إليه احتجاجًا إلى الله ودعائه له.

من هؤلاء، الأوفد (2)

أوهم وأمرهم اليمان بن مقرن من بني مزينة، صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم هاجر إلى النبي في سبعة إخوة له. روي عنه أنه قال: "قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربعين من مزينة". وأول مشاهده الحنفية، ثم كان صاحب لواء مزينة يوم فتح مكة، وكنى ألفاً. ولما وقعت اليد وقف في المدينة إلى جوار أبي بكر يدقعلاً، وكان أخوه عبد الله على المسرة وأخوهما سويد بن مقرن على المخورة، ساروا من المدينة إلى دجلة فدموا المرتدين وكان ذلك أول فتح الردة. ورجع أبو بكر إلى المدينة. وقد خلف اليمان في حماية قلعة في عدد من الرجال. ثم وجدنا اليمان في نجد، وفجأ، في جيش خالد، لفتح العراق، واحدًا من عشرة إخوة جاء ذكرهم في حصار حصن بن مازن من حمص الفيرة. وللثنايا بعد ذلك تاريخ ناصغ وجهه، نصه، هو بني عادان، وهو يقين معركة. قال عبد الله بن مسعود: "إن للإيام بلوط، ولفقات، بلوط"، وإن بني مقرن من بيوت الإيام. والثنايا، إخوته، من الذين نزل في عقود بعضهم من سورة التوبة:

(1) الطبري، (2) الطبري، (3) الطبري، (4) الطبري، (5) الطبري، (6) الطبري، (7) الطبري، (8) الطبري.
ومن الأعراب من يؤمن بإله اليابوس الآخر ويشبه ما ينقف قربات عند الله 
وصولات الرسول، ألا إنها قرية لهم سيخلدون الله في رحمته إن الله غفور رحيم.
وبسر بن أبي رهم صاحب خالداً في حروب الردة وشهد مهيه الامة وفتح
العراق وهو أحد الفرسان المذكورين، وقد وكله خالد بن الوليد أمر المسلمين
في موقعه الولجة. ثم كان ذا بلاء مشهور في القادسية.

وحظلة بن الريح المعمري المعروف بحفظة الكتب لأنه صنفت للنبي محمد
كتاباً وكانت الكتابة في العرب قليلة. كان حنظلة في جيش خالد لفتح العراق
ومن شهد معايدة الصلح مع أهل ما بين النهرين، ومن شهد جبهة الجزيرة.
استقر خالد بالحيرة فعمل أن جابان ظهر في تساق في جمع عظيم فوقه إليه المثنى بن
حنظلة وحظنة بن الريح فلمما اقتربا منه اننسخ إلى داخل إيران. وكان حنظلة
من استمرهم خالد في خروجه من العراق إلى الشام، غير أن حنظلة وجرير بن
عبد الله العبجي ونفردوا استأدوا من خالد وهم في سوى ورجعوا للمدينة.

وفرات بن حيام العبد شرط الجزيرة العربية والعراق، كان دليلًا
لجارة قريش مع صفوان بن أمي في العام الثالث الهجري، فاعتراضه سرية زيد
ابن حارثة وأسرت فرائناً وعادت به إلى المدينة فأسمل. ثم نجدّ في العام الثامن
من الهجرة دايمًا سرية ربيع بن حارثة لاعتراض جارة قريش على طريق العراق
بالصيد على أربع ليلة من المدينة. وكانت فرائص في جيش خالد لفتح العراق
وكان من اختيارهم للخروج معه إلى الشام، فلم يلبس أبا المثنى إلا إنفاذ أمر أبي
بكر تره له فيمن ترك. وقد شهد البوب وكأنه المثنى في غارات الأسواق
بناجر العراق وأعرق هو وعندية بن النهاش بن أسامة بن ثعلب والنمر فاستدعاهما
عمر لمساهتهما ثم أعادها مع سعد الرازي.

أما عطارد بن حاحب من وجهه بني تميم وأعادتهم فقد كان الوحيد في هذا
الوقت الذي دخل إيران كسرى من قبل إذ كان يقد على ملوك فارس في الجاهلية.
وفي الحديث الصحيح عن نافع عن ابن عمر قال: رأى عمر بن الخطاب عطارداً
التميمي يبيع في السوق حلة سمراء، وكان رجلاً يغشي الملوك ويدعوهم، فقال عمر: يا رسول الله، لو استieszتها فلبستها لوفد العرب! فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما يلبس الجرح في الدنيا من لا إلخاق له في الآخرة»! وفي رواية أخرى: عن عطاء بن حبيب: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فدخل أصحابه فقالوا: هل علك عن يديك! فقال: وما تعجبون من ذا؟ لندع من معاد في الجنة خير من هذا!»

والأشعث بن قيس الكندي، كان في الجاهلية رئيساً مطاعاً في حَكَّادة وفي الإسلام وجيهاً، كان اسمه معدني كرب وكان أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث. قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر في وفد كندة سنتين أو سبعين راكباً، وكان رئيسهم فأسلموه، ثم اعتمد على النبي وعمر المسلمون في حروب الردة وأرسلوه إلى أبي بكر فأسلوب فأطلق سراحه، فقال لأبي بكر: «استني لحربك وزوجتي أختك!» ففعل أبو بكر وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قفاح!!

أما عاصم بن عمرو فهو غني عن التعريف وقد كثر ذكره مع تحرقات خالد وأبي عبيد والمشي. كان على افرقة من ثلاث هم جيش خالد في خروجه من النبط إلى العراق. وكان على ميمنة خالد بذات السلاسل والبذار وهو الذي قتل أبو شجاع قائد ميسرة الفرس. ثم كان قائد حامية كربلة بعد صلح الخبرة حتى خروج خالد لإنجاز عمل عباس فخرج معه إلى دومة الجندل، وعاصم وهو الذي اعترض طريق أكبر ملك دومة الجندل فأتى به أسرأ. وقد أجاز عاصم بنه كله في فتح دومة الجندل فأجراه من سيف خالد. ثم كان مع خالد في مواقعه في عين النمر والفراس. وجعله خالد على الجيش في رجوعه من الفرض إلى الخبرة بينما انفلت هو سراً ليحج. وكان عاصم من اختارهم خالد ليخرج معه إلى الشام ثم تركه للشني استرضاء له. ثم وجدنا عاصماً على مجرد المشي في البارق وفي

(1) مسلم.
(2) الطبري.

68
مطارة فلول الفرس بعدها. كذلك بعثه أبو عبيد لمطاردة فلول معركة السقاطنة حتى نهر جوز فهزم كل جمع له، وشهد باقياتا مع أبي عبيد. ومع...

ووعرو بن معدي كرب الزبيدي الشاعر الفارس المشهور صاحب الغارات والواقائع في الجاهلية والإسلام. فدف على النبي ﷺ في العام التاسع من الهجرة في وقد بيّن زبيد فأسلم وأقام مدة في المدينة ثم رجع إلى قومه، غير أنه ارتدّ مع الأسود العمنس في رحلة اليمن، وسار إليه خالد بن سعيد قائلًا حتى عاد إلى الإسلام فأرسلوه إلى أبي بكر فأطلقته وعاد إلى قومه ثم رجع إلى المدينة. فبعث أبو بكر إلى الشام ففشده في الأرموك وكان له فيها بلاء حسن وقد ذهبت فيها إحدى عنيها، ثم بعثه عمر إلى العراق، وله في القادسية من المواقف مما سوف نعرف له. وهو صاحب الصمصامة أشهر سيف العرب. سأل عمر بن الخطاب يومًا عن أي سيف العرب أفضى؟ فقيل له صمصامة عمر بن معدي كرب الزبيدي، فبعث أبو بكر إليه فرساله سنغريه فبعث به فحما ضرب به وحده دون ما كان يبلغه عنه، فكتب إليه في ذلك فرد عليه عمر: "إني لما بعثت إلى أمر المؤمنين بالسيف ولم أبعث إليه بالساعد الذي يضرب". فه...

- المغيرة بن شعبة من الدباء المشهورين وكان يجيد الكتابة ويتكلم الفارسية، وإن كان لا تقطع متي تعلم الفارسية وما إذا كان ذلك قبل وفادته على زيدجرد أو بعدها. وقد اتّخذه رسول الله ﷺ من كتبته. ففما أصلت ثفيف أرسل النبي إلى الطائف لهدم أصنامها وتسوية أموالها. وفيروز الجوسي الذي قتل عمر ابن الخطاب وهو يصلي كان مولى للغيرة بن شعبة.

(1) الفروسية العربية. - نقول من المعروف أن عمرًا أديى صصامة إلى خالد بن سعيد في حرب الراية في عهد أبي بكر، وهو ما يتناقض مع هذه القصة.
وأخيراً المعنى بن حارئة عرفناه في الصفحات السابقة نلخصه جميعاً في أنه
كان أخا المثنى بن حارئة الشيباني شهد معه مواقع كثيرة.

هذا الوفد المنتقى الذي كان على أعلى درجات الكفاية لما أوفد له، نلاحظ
أنه بالإضافة إلى الميزات الشخصية التي تجعل لكل منهم وزنه الذاتي، فقد كان
فيهم من عارك الفرس وعر كهم وممارس حروب العراق في الجولات السابقة،
وفيهم من وفد في الجاهلية على ملوك الفرس، فيهم من يعرف اللغة الفارسية،
ثم كانوا جميعاً يجمعون بالإضافة إلى الرأي والفكر وحسن الأحوال أنهم كانوا
ذوي ميزة ومنظر وسطة في الجسم. فكأنما اختار سعد لهذه الوفادة من
اختيار كشفاً فناً وكشفاً طبياً وكشفاً هيئة.
المراسلات قبل نهاية الوفد

رسالة إلى عمر

وعسكر رستم سبأب خارج المدارس على طريق الخيرة، فكتب سعيد
إلى عمر:

إن رستم قد ضرب عسكره سبأب دون الدائر، وزحف البنا بالحيول
والقيووم وردهاء فارس [كنزتهم ومنظمهم]. وليس شيء أهم إلى ولا أنا له
أكثر ذكرآ مني ما أحبت أن أكون عليه، ونسنن بالله ونتوكل عليه. وقد
بعت فلانا وفلانا وهم كما وصفت (1).

الوفد في عيني الفرس

خرج الوفد من القادسية على الخيل وأميرهم النهان بن مقرن. ومروا في
طريقهم على معسكر رستم وواژرو حتى عبروا دجلة فقدموا أسبابهم، القيووم
من الدائر، وانتهوا إلى باب إيوان زدجرد وقفوا على خيوت عروات [غير
مسرجة] معهم جنانيب (2) وكلاً صُلب واستناز لدخوله. فتغر كوا على الباب

(1) الطبري 3/ 595: س ش س عن أبي حمزة عن ابن سيرين. واسمه بن أبي حمزة.
(2) جنب البغيز فاده الي جلبه. يقال فرس جناب وخيلي جنانيب.
والمعنى هنا أنهما وقفوا الي جنانيب خيوطهم عروات غير مسرجة.

71
حتى بعث يزدجرد إلى وزرائه ووجه أرضه يستشيرهم فيما يصنع معهم وما يقول لهم. وانتشر بين أهل المدائن أن وفداً من المسلمين جاء لمقابلة الملك، فأجتمعوا حولهم في جمرة كبيرة ينظرون اليهم، وعلىهم القتالات والارتجال، كمساء أسود مرعب في صفر كانت تلبسية الأعراب؛ وقد أبدى سيفه دقة، وفي أرجامه العمال. تزود بنت كيسان الضبة عن بعض سياقات القديمة من حسن إسلامة بعد ذلك وحذرك ذاك اليوم الذي قدم عليهم فيه وفد المسلمين، قالت:

اجتمع اليوم الناس ينظرون اليهم، فلم أر عشرة (1) قط يعدون في الهيئة بألف غيرهم، وخيلهم ينطوف موبوء بعضها بعضًا، وجعل أهل فارس يرونهم ما يرون من حالهم وحالة خيلهم... (2)

اجتمع بيزدجرد

التي يزدجرد من إجتيازه مع بطانته. فلما اجتمع رآهم أذن للوفد فدخلوا عليه فأحمرهم بالجلوس. وكان سيء الأدب صياناً في تصرفه، فكان أول ما دار بينهم أن أمر الترجان فقال سلمهم ما يسمون هذة الأردة؟ فقال الترجان البغدادي: ما تسمي رداءك؟

قال: «البرد».

فتطير وتشام وقال برذجاهان: وتشير ألوان الفرس وشكن ذلك عليهم. ثم قال: سلم عن أحدهم. فقال الترجان: ما تسمون هذه الأحذية؟

قال: «النعل».

فعاد يزدجرد مغلباً وقال: «ناله ناهي في أرضنا».

ثم سأله عن الذي في يده فقال: «سطور».

والسطور بالفارسية الحريقة - فقال: «أحرقوا فارس أحرقمهم الله».

(1) كانوا أربعة عشر.

(2) الطاباقي ٣ / ٤٩٨. س عن عمرو بن محمد بن الشماس وطلحة عن المعترفة.

" عن عطية عن بنت كيسان الضبة عن بعض سياقات القديمة.

72
ولم يكن زيجيت وحده هو الذي استشاط تشاؤماً، وإنما شاركه في هذا كل من شهد من الفرس، فقد كانوا أهل تعبير وتشاؤم، يشعرون ويتغافلون بما يرون ويسعون. ولم تكن هذه البداية من زيجيت إلا استهلاك ثاني لا يتفق وجدلية الموقف وإن كان يتفق في التميم عن نفسية الرجل ووزنه.

النعمان يتكلم

ثم قال زيجيت للمرجح: "سُلِّمَ ما جاء بك وما دعاؤك إلى غزوة والولوع بلادنا? أم أن أعتنأ أجنمانك وتضايقنا عنكم اجتازتم علينا؟"

فقال لهم النعمان بن مصرع: "إن شئت أجب عنكم ومن شاء آثره". فقالوا: "بل تتكلم، وقلو لملك: "كلام هذا الرجل كلامنا".

وتكلم النعمان فقال:

"إن الله رحمنا فأرسل النجا رسولًا يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعرنا الشر وينها عنه. ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة. فلم يعُّ إلى ذلك قبيلة إلا أصابوا فرقتين: فرقة تقاربه وفرقه تباعده. ولا يدخل معاً في دينه إلا الخواص، فكث بذلك ما شاء الله أن يكث. ثم أمر أن ينذب من خلفه من العرب وبدأ بهم وفعل. فدخلوا معه جميعًا على وجهين، مكره عليه فاعطب وطائع أتاه فازداد. فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العبادة والضيق. ثم أمرنا بأن نبدأ بنينتين من الأمم فندعوه إلى الإنصاف. فنحن ندعوكم إلى ديننا، وهو دين حسن الحسن وقصب القبيح كله. فإن أقسم فلأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه، الجزية [الجزية]

فإن أقسم فلأنا الجزية. فإن أجمع إلى ديننا خلقنا فكيم كتاب الله وأفنادكم عليه، على أن تحكوا بأحكامه وترفع عنكم وأفنادكم وبلادكم.

وإن أقسموا بالجزاء قبلنا ومنعناكم، وإلا قاتلناكم."
وتكلم زيدجرد فقال:

إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقح عداً ولا أسوأ ذات بين منكم. قد كنا نؤكل بكم قرى الضواحي فيكفومناكم. لا تغزوكم فارس ولا تتقدمون أن تقوموا لهم. فإن كان عددٌ تحق فلا يغرينكم منها، وإن كان الجنده دعا لم فرضنا لكم قوتنا إلى خصيبكم وأكرمنا ووجهكم وكسوكم وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم.

مقالة المغيرة بن زواوة

فسكت القوم برهة، ثم قام المغيرة بن زرارة بن النبي الإسْبَدُي فكان خطيب الوفادة. قال:

فأنا الملك، وإن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم، وهم أشراف يستحون من الأشراف. وإنما يحكم الأشراف الأشراف. ويعظم حقوق الأشراف الأشراف، ويبتدد الأشراف الأشراف. وليس كلما أرسلوا به جمعه لك، ولا كلما تكلمت به أجوايك عليه. وقد أحستوا، ولا يحسن بثلك إلا ذلك.

فجاوبني لأنك الذي أبلغتك ويشهدون على ذلك. إنك وصفتني صفة لم تكن بها عالمًا.

فأما ما ذكرت من سوء الحال فإنا كان أسواً حالًا منا، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكل المناضفات والجلبان والعقارب والحياة فنرى ذلك طعامًا. وأما المنزل فإنها هي ظهر الأرض، ولا ننبذ إلا ما غزناه من أوبار الإبل، وأشجار الفم. دينا أن نقتل بعضنا ببعض ونغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليشفن ابنه، وهي حبة كراهية أن تأكل من طعامنا، فكاننا قبيل اليوم على ما ذكرت لك.

فبعث الله البينا رجلاً معرفًا. نعرف نسبه وعرف وجهه ومولده. فارضه خير أرضنا وحسبه خير أحساننا، وبيته أعظم بيوتنا وقيمته خير قبيلتنا، وهو بنفسه كان خيراً، في الحال التي كان فيها أصدقنا وأجلمنا فدعنا إلى أمرٍ قلم
يجيب أحد، "أول من ترب (1) كان له [سندأ] وكان الخليفة من بعده، فقال وفرنا وصدِّيقنا وكدُونا وزاد ونقصنا فلم يقل شيئاً إلا كان، فقدذ الله في قلوبنا التصديق له واتباعه، فصار فيها بيننا وبين رب العالمين، فما قال لنا فهو قول الله وما أمرنا فهو أمر الله.

فقال لنا إنه يزكر يقول إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء، وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء، وإني يصير كل شيء، وإن رحمتي أدركتكم فبعثتكم هذا الرجل لأدلكم على السبيل التي بها أنجحكم بعد الموت من عذابي، وأدلكم داري دار السلام. فشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق.

وقال من تابكم على هذا فله ما لكم وعليكم. ومن أبي فاعرضوا عليه الجزية ثم امتهنوها مما متعون منه أنفسكم. ومن أبي فاقتطوا، فأنتم الحكم بينكم، فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقي منكم أعقبته النصر على من نآوته.

فاقتهر إن شئت الجزية عن يد ويأتم صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك.

جواب يزجود
قال يزجود وقد مس كباراؤه أمام حاشيته وبطانته:
أ تستقبلين مثل هذا؟
قال: "ما استقبلت إلا من كشمي، ولو كنتي غيرك لم استقبلت به.
فاستنشق يزجود غضباً وصاح فهم:
ولو أن الرجل لا للتصل لقتلكم، لا شيء لكم عندي.
ثم التفت إلى بطانته وقال:

(1) تاربه كان نربه وجمعه أتريب أي صديقه.
إثنيني يقر من تراب.
فأنا به.

قال: "أخيوك على أشرف هملا. ثم سقوه حتى يخرج من باب المدن.
ارجعوا إلى أصحابك فأعلمونه أنى مرسل اليمجم وسمحت بدفيفك (1) ودفيفك في خندق القادسية. فنكس الله به وسلم من بعده. ثم أوردو بلادكم حتى أنشكل في أنسكم، ناسكم ما ناسكم من سوء ... من أشرفكم؟"
فسكت القوم إلا عاصم بن عمرو وقد افتت لأخذ التراب وقد سره ذلك.
قال: "أنا أشرفهم، أنا سيد هملا. فهمئنيه؟"
فسألهم يدجود: "أكذك؟"
قالوا: "نعم."
فهموه على عنقه.

تهويش

من المؤكد أن تهديد يدجود للوفد بغزو بلادهم لم يكن يمكن التنفيذ من الناحية العملية، فإن جزيرة العرب مع اتساعها وغفائها وطبيعة تضاريسها ومع اعتبارها تجايل يحكمها الفرس أو غيرهم من غير أبناءها، كل ذلك قد جعلها درعاً حرصية لم يفكر أحد في العصور القديمة في غزوها.

إنها مرتان على سبيل الخصر. مرة حين أخرى قائد رومي أمبراطور الروم فجهز حملة بحرية لغزوهما، من ناحية البحر الآخر، ونتيجة لجهزتهم الجغرافية السواحل فقد تحطمت جميع السفن الحاملة للحمل على الشعاب المرجانية الفاصلة بجذاء الساحل الغربي على البحر الآخر فيها عدة سفينة واحدة رفع فيها قائد

(1) يدفيفك: يدفيفكم. وفي قصة قال مالك بن نويرة أن خالداً قال لجند: "دافعوا أسركم بديرهم. فيقصد أن يدفيفهم من الورد، فقوم الجند من كنائة أنه يريد قتالهم فقتلهم. وربا كانت الأصل يدفيفكم"، فحدث تصحيف.

76
الحملة فكأهالأمبراطور بالاعدام. ومرة أخرى حين أراد أرده أن يغزو مكة
بالفيل، وكلناها مينينا بفشل ذريع.
لا ندري إن كان يدجرد كان يدرك تلك الاستحالة، ولكن الذي لا شك
 فيه أن المسلمين كانوا يعلمون أن تهديد يدجرد لم يكن أكثر من صياغ. وإذا
 كانوا في حلات سابقة بأعداد قليلة قد استطاعوا أن يهزموا جيوش الأمازيغية
 العجوزة تلك في أواخر الجزء، فكيف لو انتقل الميدان إلى ديارهم؟ ليكون حينها
 أكثر قدرة على إيقاع الهزيمة بعدوهم. غير أنهم كانوا على يقين من أن ذلك العدو
 كان أعجز من أن ينقل المعركة من دياره إلى ديارهم.
 نسوح هذا الاستطراد بناءة أن رأينا أحد كتابنا المحدثين ينطلي عليه
تهويش يدجرد فكتب يقول:
و ... كانت (١) القادسية من أهم المعارك التي خاض المسلمون غمارها ضد
 أعدائهم، وسمعهم أهميتها أن الفرس كانوا قد قربوا غزو بلاد العرب إذا كتب
 لهم النصر ... 
 نعود فننكر أن تخطيط المسلمين قام دائمًا على أن يحتوا بهجاتهم إذا
 دارت الدائرة عليهم حيث يعجز عدوهم عن ملاحقتهم فيها. هذا الاعتبار الحق
 في استراتيجية المسلمين لا ينبغي أن يقبيح عن أذهاننا.
للوفد يعود
خرج الوفد من عند يدجرد وعاصم محيل وقر التراب من الإيران والدار
حتى أتي راحلته (٢) فحمله عليها ثم أمرعوا في السير حتى أتوا سعدًا بالقادسية
وبسيطهم عاصم قر بباب قدس وقال:
«يبصروا الامير بالظفر. ظفرنا إن شاء الله».

(١) الفتح العربي للعراق وفارس ١٩٣٨.
(٢) الرحلة: ناقة الركوب. واثبت أنهم وفروها على المدائن على ظهور الخيل وليس على
الإبل، وبنى هذا لبساً في الرواية.

٧٧
ثم مضى حتى جعل التراب في حجر هن رفع فدخل على سعد فأخبره الخبر،
فقال سعد:
"أبشروا فقد والد أعطانا الله أقاليد ملككم".
ثم وصل سائر الوفد.
المجوس يتشاركون
وعاد جلسات يزدجرون ينظرن فيها صنع وما كان من قبول المسلمين جمل التراب وتتشاموا من ذلك على عادة الفرس، فقد رأوا فيه أن الملك أعطاهم أرض ملكه وسمى ترابها فاشتد ذلك عليهم. وانفلت رست من معسكره سبابه اليندجارد الملك يساله ما كان من أمره مع الوفد وكيف رآهم. فقال له الملك:
"ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم. دخلوا علي ودما أتمن باعقل منهن ولا أحسن جواباً منهن ...
وأخبرهم بحديتهم حتى قال:
"لقد صدقني القول.. لقد وعد القوم أمراً ليديركنها أو ليمون عليه. على أن وجدت أفضلهم أحماقتهم، لما ذكروا الجزية أعطيتهما تراباً، فحمله على رأسه فخرج به ولو شاء انقباً بغيره وأنا لا أعلم!"
وفتحن رست لما فات الملك إدراكه فقال: "أنا الملك إنه لأعلمهم."
وتطرير رست من ذلك فخرج من عند يزدجارد كنتا غضبان. وكان منهم:
"كانا فبعث في أثر الوفد وقال لاهل ظهره وخاصة: إن أدركهم الرسول تلافينا أرضنا، وإن أعجزوه سلمك الله أرضكم وأبنائك."
فرجع الرسول من الخمرة بفواتهم، قال رست:
"ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك، ما كان من شأن ابن الحجازة الملك!
ذهب القوم بفاتح أرضنا".
فلما ذلك ما زاد الله به أهل فارس غضبا وتشاؤما. (تشاموا من أخذ التراب أن يكون نذيراً بالأخذ الأرض).  
78
يوم الحيتان

وفي (1) بين خروج وقد سعد إلى يزدجرد ورجع من عنده، بعث سعد سرية عليها قائده الطلائع سواد بن مالك التميي إلى النجف (2) فاستباق منها ثلاثية دابة بين بغل وحبار وثور. وكان الصيادون قد فرغوا من تجميع كيات كبيرة من سمك صادوه، فحمله سواد على الدواب وعاد به نحو القادسية، وبلغ الخبر إلى آزادرمرد بن آزادرميه زربان الحرة - وفي بلغ هذا الخبر إلى آزادرمرد ما يؤكد بشكل عملي نقص أهل الحيرة لمعدهم مع خالد ورجعهم عملاء للفرس كما كتب سعد إلى عمرو -.

فخرج آزادرمرد ليلة في خيل يطلب سواداً ومن معه ويعترضه. وشاهد سواد آزادرمرد يبدع في أثره، وقد قال أن سوف يدركه، فقد كان آزادرمرد في خيل وكان سواد لا يتجاوز بطبيعة الحال سرعة الحمير والبغال والثيران التي يستطيعها، فكلف من سريته من يبلغها المسمى بالقادسية ومال هو وفرسان معه إلى آزادرمرد فالتقوا على قطرة السيلتين وظل يقاتلهم وينعمهم من أيديهم.

______________________________

(1) الطبري 3 / 470 م، عن خبر عن الشعبي.
(2) في الأصل « إلى النجف والفرesan إلى جنبها» والفرسان جمع فرضة وهي موارد الارضية، ويطلق فرض الفرس على الأراضي الأهلية من السكان حول الأنهار. وفي غياب الصحاح فرضة النهر، تلهمه التي يستقي منها، وفرضة البحر أيضاً موط السفن، ونظن أن المصود هذا النجف ( وليس النجف).
القنطرة حتى أطمأن إلى أن الغنية قد نجت فانصرفوا وأتبعوها فأغلقوها المسلمون وصُبحوا بها العسكر. فقسم سعد السمك بين الناس وقسم الدواب ونفّذ الحرس إلا ما رُدّ منه على المجاهدين، وكان في الغنية سبياً فأسمه عليه [بالقرعة].

هذا اليوم من أيام الغارات التمانيّة غرف بيوم الحيتان. وكان العرب يقولون الحيتان ويفقودون به السمك.

وبعث سعد سرية من تم الرباب عليها ماك بن ربيعة الحمامي [تم الرباب ثم الواثلي] ومعه المسارق بن النعيم التميّز الربيّع. وأغاروا على العدوّ - على حوالي 250 كيلو متراً شماليًا - وأغلب الظن أنهم سلكوا طريقاً في جوف الصحراء. فأصابوا إبلا ليتغلب والتمر فاستولوا عليها ولع من فيها وعادوا بها إلى سعد فنحورت البلد في الناس وأخذوا بها.

وبعث على النهرين (1) عاور بن الحارث الفهري من المسلمين الأوائل الذين هاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة وعند شهد بدأ، عهده في سؤرية ووجهوا على باب ثوراء مهاجري كثيرة، فملكون أرض شغلى وهي نهر زيدان جهة الأنبار، فعادوا بها إلى العسكر المسلمون.

---

(1) كانت كورة (إلى ما) بهباث الأعلى سنة طساسي (نواحي) هي بابل وطهران والقلعة العليا والطهارة السفلى وعين النمر. (المالك والملاك 8، والجراح وصنع النبأ 238).
الباب الرابع

رستم يتحرك

جيش رستم
نزل رستم بسماط وجمع السلاح وآلات الحرب وأدواتها، وعبا جيشه
فجعل(1):

٤٠٠٠٠
مقدمة عليها جالنوس.
٣٠٠٠٠
ميمنة عليها هرمزان.
٣٠٠٠٠
ميسرة عليها مهران بن برام الرازي.
٢٠٠٠٠
مؤخرة عليها بيرزان.
٨٠٠٠٠
تابع الخدمات.

هذه مائة وعشرون (٢٠) ألفاً من المقاتلين حلف التبع. نذهب الى أن نصفهم
[ستين ألفاً] كان من الفرسان (٣) ونصفهم [ستين ألفاً] كان من المشاة.

(١) الطبري ٣/٢٠٠٠٠
«عن محمد وطلحة وزيد وعمرو بإسناهم.
(٢) فتح البلدان ٢٤٣.
(٣) الطبري ٣/١٠٠٠٠
عن هشام بن عروة: أرسل رستم نذروف لنفسه وهو بالقادسية في ستين ألف. وفيه ٣/١٠٠٠٠
عن ابن حذافة عن عائشة عن ابن أم كلثوم: أنا رستم زحف للسجد وهو بالقادسية في ستين ألف. وفيه ٣/١٠٠٠٠
وعيبيه: نذهب الى أن نصفهم ستين ألفاً مما أحسن لنا في ديوانه سوى النجاح والرقيق حتى نزل القادسية...
وإن نذهب إلى أن الذي يحب في الديوان إنما هو من كان من الفرسان الأشراف. أما المشاة الذين
كانوا من الفلاحين يجمعون على عجل ثم يكن لهم عند سادة فارس أي اعتبار، ولم يكن =

(القادسية - ٦)
وبالرغم ما كان عليه، فقد أراد أن يصطنع الشجاعة أمام الملك فقال له:

إنه فقد الله علینا القوم يكون فیزرون وجهنا إلى ملكهم في دارهم حتى نشغله.

فأخبرهم في مقتله هذا بسباط مرن به وقد سدد إلى زيدجرد ذهابًا إلى المدناء
وإباع منها ثم علم بما كان من شأنهم مع الملك فرأوا رؤيا كرهوا وأحس بالشر منها
وكره الخروج ولقاء المسلمين فاختلف عليه رأيه واضطراب. وعاد يسأل الملك
أن يغذي جالونس ويقيم هو حتى ينصم أن يصمرض. وقال له:

إن غنيا جالونس كنناً، وإن مسيح أشد عليهم من أشبه، فإنظر
فهو الذي يريد وإن يكن الآخر وجهت مثله ودمعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما.
فإذا لا أزال مرجوا في أهل فارس - لم أهتم، ينشطون ولا أزالهم في
صدور العرب ولا يزالون هؤلاء الإقدام مما أبشارهم، فإن بشرهم اجتراوا
آخر دهم وانكسر أهل فارس آخر دهم، (1)

فأبلى الملك.

(1) وهو أي أجر أو غيره فلا معنى لقيدهم في ديوان (انظر الطريق إلى المدناء - النظام الجريفي في فارس).

أما الجيش باكث فكان مائة وعشرين ألف مقاتل فرسان ومشاته وذلك بخلاف التبع الذي
يفمون بأعمال الخدمة كإعداد الطعام وعطف الخيل والبغال. فمن محمد وطائحة وريادة بإسنادهم
أن رست خرج من المدناء في ستين ألف مبتع (هم الفرسان) وأنه خرج من سباع في المائة
وعشرين ألفاً كليم مبتعة. وإن هذا عدد هو الذي كان في القادسية (الطبري 3/500).
وذكر الرفيق (الفارسي) أنهم خرجوا من سباع في مائة وعشرين ألفا (الطبري
(الطبري 3/500).

وهذا التحريج يوقف بين ما نتناقض عن تعداد جيش رست في قال ستين ألفاً، فإنه
نقد الفرسان الأشراف الذين كانوا عباد الجيش، ومن قال مائة وعشرين ألفاً، فإنه على الجيش
بعد أنهم من المشاة اله، وكانوا من الفلاحين، ومن قال مائتي ألف فقد أضافهم الهم الخدمة
والتجيء والريفي.

82
رستم يتباطأ

واعد رستم إلى سباط يلتقا فيها ولا يتحرك منها. وكتب إلى أخيه كتابًا

وإلى رؤوس أهل فارس (١)؛

ه من رستم إلى بندوان مزبان الباب، وسائر أهل فارس الذي كان لكل
كون يكون في نفس الله به كل جسد عظيم شديد، ويفتح به كل حصن حصين،
ومن يله. 

ففُرموها حصنكم وأعدوا واستعدوا. فكانكم بالعرب قد وردو بلادكم
وقارعونكم عن أرضكم وأبنائكم.
وقد كان من رأيي مدافعتهم ومطاراتهم حتى تعود سعودم نحواً قابي
الملك.

وأحذر، يدجرد أن رستم يتلكا فأمره بالتتحرك من ساطب، فعاد رستم يكتب
إلى أخيه بعلك الكتاب الأول ثم زاد فيه ما ساقه إليه تنفيجه:

"... فإن السبكة قد كدرت الماء. وإن التعائم قد حست. وحسن
الزهراء واعتقل الميزان، وهو بحمام.
ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظرون علينا ويستولون على ما يليتنا. وإرث
أشر ما رأيت أن الملك قال لنصير اليم أو لأمير أن يفسح أنا سائر اليم (٢).
وخرج رستم من سبط فلقيه جابان على فنطرتها فتشكيا (٣).
قال جابان: "ألا ترى ما أرى؟".
قال رستم: "أما أنا فأفاد بخشاش وزمام ولا أجد بدًا من الانتقاد عشرام ورأى
وأمر رستم جالوض بالتقدم نحو البحرية، وقال له: "أزحف زحفاً ولا
تنجب إلا بأمرى."

(١) الطبري ٣ / ٥٠٥ س ش س عن محمد وطلمحة وزيان وعمر بعسادهم.
(٢) ٣ / ٥٠٦ "عن الصلاة بن بحرام عن رجل.
(٣) ٣ / ٥٠٧ "عن محمد وطلمحة وزيان وعمر بعسادهم.

٨٣
وبلغ جالنوس النجف فضرب عسكره وأقام فسطاطه بها.
ونزل رستم بكوثة. وكتب وهو بكوثة إلى جالنوس وايازذمرد:
"أصيبي في رجل من جند سعد".
فركا بنفسها في سرية من مائة رجل طليعة حتى انتهت إلى القادسية فأصابا رجل وجدوا قبل القنطرة فاختطفاه وأحس المسلمون بما حدث فانطلقوا في أرواح فأعجزوه وأفلتو به إلا ما أصاب المسلمون من أخرياتهم. وانتهى جالنوس وايازذمرد إلى النجف فأرسلوا الرجل إلى رستم وهو ما زال بكوثة.
قال له رستم: "ما جاء بك وماذا تطلبان؟".
قال: "جئتنا نطلب موعود الله".
قال: "وما هو؟".
قال: "أرضكم وأبنائكم ودمائكم إن أبتيم أن تسلموا".
قال رستم: "إذا قتلت قبل ذلك؟".
قال: "في موعود الله أن من قتل منا قبل ذلك أدخله الجنة وأخرج لم بقي منا ما قلت لك، فنحن على يقين".
قال رستم: "قد وضعنا إذا في أيديكم".
قال: "وحك يا رستم! إن أعجكم وضعتمكم فسلكم الله بما تبرهنك ما ترى حولكم، فإنكم تناول الإنس وننازح القضاء القدر".
فاستغاث رستم غضبا وأمر به فضرب (1) عقده.

اغتصاب

وخرج رستم من كوثة حتى نزل في بَرْس. فغصبت جنوده الناس أمواتهم واعتدوا على حرمهم وفوقهم على نسائهم وشردوا الجحور، فضح الأهلية - وهم من الجويس - إلى رستم يسكنون مما يلقون في أمواتهم وبنائهم. فقاضم رستم فيهم، فقال:

(1) الطبري 3/575 ش س عن النجش بن السري عن ابن الرفيق عن أبيه.

84
هنا بعض أهل فارس، والله لقد صدق العرب، والله ما أسلمنا إلا أهالينا.

وأعد الله العرب في هؤلاء وهم لم ولنا حرب، أحسن سيرة منكم. إن الله ينصركم على العدو وينبسط لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاة بالعهد والإحسان. فآمر ضرحاً عن ذلك إلى هذه الأعماج فلأرى الله إلا مغيرة مما يحكم، وما أيا بآمن أن ينزع الله سلطانكم منكم؟

ثم بعث رجلاً فاعتقلوا له نفراً من يشكي من فضيلة أعناكم. ثم ركب ونادي في الناس بالرحيل فخرج ونزل بإزار دير الأعور.

ثم خرج منها فانصب إلى المطاط فصغر بين الفرات وبين النجف فيا بين النجف إلى الحورون إلى الغريبين. ونصب سرادة إلى جانب الدرب.

مثهمون

ودعى بأهل الجزيرة لمناقشة الحساب. فلما دخلوا عليه أرغي وأزبد وتوعدهم.

وهم لهم فقال لهم: بيا أعداء الله. فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا، وكتنتم عيوننا لهم علينا، وقوينتمهم بالأموال.

ثلاثهم وحدهم اليوم. فأصابهم الرعب واتقنه باب بئسقة وقالوا له: «كن أنت الذي تكلمنا.» فقدم أن بئسقة إلى رستم وقال: دا أنت وقولك إذا فرحنا ببقيته، فذا فعلاً وأي ذلك من أمرهم نفرح؟ إنهم أعلونا أن عبد لهم، وما هم على ديننا، وإنهم ليسهمون علينا أن من أهل النار.

وأما قولك إذا كنا لهم عيوننا، فإنا الذي يوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم. وقد حق أصحابهم ومنهم وخلاهم الهر، فليس يتعهم أحد من وجه أرادوه إن شاروا أخذوا بيئناً أو شالاً.

وأما قولك إذا قويناهن بالأموال، فإننا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا إذ لم

(1) الطبري 3/508
منمنونا معاً، أن نُسأِي وأن نُحْرَب وتقتل مقاتلينا، وقد عجز عنهم من ليهم من فنكم فكننا نحن أعزب.

ولعمري لأنتم أحب الدنيا منهم وأحسن عندهم بلاء، فامتنعونا منهم نكون لكم أعياناً فإنا نحن بنزلة عواج السواد [العجم] عبيد من غلب.

فلا تجمع علينا أفنين.. أن تعجز عن نصرتنا وتدمرنا على الدفع عن أنفسنا.

وبلادنا 4.

أحسن ابن بقالة الجواب وأقنع به رستم فقال من حوله: صدقكم الرجل.

وسكت عنهم. وفي الواقع أن موقف عرب العراق كان تماماً كذكر ابن بقالة.

فلم يفرحوا بالغزو الإسلامي ولم يعينوه.

بات مع الملاءكة.

وبات رستم بووار الدير تطارده هواجسه فرأى في المقام (1) أن ملكا جاء.

حتى دخل عسكر فارس فختم السلاح أجمع! ومكث رستم في مقدمة ذلك بعض الوقت حتى إذا اطمأن أمر جالوس أن يسير من النجف فسار بالمقدمة حتى نزل بينها وبين السيلحين، وارتحل رستم يجده من الدير فنزل النجف مكارث المقدمة. وكان ما زال ينقاً في مسيره حتى فقد قطع ما بين المديان إلى سباط ومنها إلى القادسية [مسافة 185 كم] قطعها في أربعة أشهر بمعدل كيلومتر ونصف.

في اليوم، لا يقدم ولا يقاتل على أمل أن يضجر المسلمون بكمهم، وأن يقدروا حامسهم ويجدوا أطرافاً، وهو يتلقي قتالهم مخافة أن يتحقق تنبؤاته فيلقى ما لقي من قبله، لولا أن الملك كان من ورائه دائماً يستغله وينهضه من كل منزل.

ينزله فيقدمه حتى أسمى القادسية.

وأما نزل رستم النجف عادته أحلامه المزعجة، فرأى الملك الذي (2) رآه.

(1) الطبري 3/ 5 09 س ش س عن النضر بن السري عن ابن الرفيل عن أبيه.
(2) المصدر السابق.
الطبري 3/ 5 16 س ش س عن مجالد عن الشعيبي.

87
في حلول السابق ومعه النبي صلى الله عليه وسلم وعمر، دخلوا معسكر الفرس فأخذ الملك سلاحوهم فخذهم جندهم ثم حزمه ودفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصبح رسم وقد ازداد حزنًا. ورأى أحد من معه ذلك - وكان يدعى الرفيق - فغضب في الإسلام، وكان ذلك الحلم الذي دعا إليه الإسلام. وعن طريق الرفيق هذا بلغنا كثير من وقائع هذه الأحداث التي كانت تقع في الجانب الفارسي.

ثبتات على الخطة

وأدرك عمر بما يجري أن الفرس يطاردون المسلمين فعند ذلك على سعد خطته ويبعد إلى المسلمين أن ينفذوا حذور أرضهم وأبتدأ يطاردونهم أبدًا حتى يرغونهم على الخروج اليوم حيث اختاروا الميدان. وآقتام المسلمون بالإمداد وأطلقوا وقعت وطنوا أنفسهم على الصبر والطلاوة فكانوا يغروون على السواد فانتشروا وما حولهم فحووه وهم مقيمون حتى يفتح الله. كارث ذلك في يوليو وأغسطس (حزيران وتوز رآب) وهو موسم يجدون فيه القمح والحرب الصيفية بعد جنها وذل ذلك التمورة.

ولم يكن عبد المسلمين أن يكروا في ميدان قتال دون قتال، فقال بعضهم لسعد: "لقد ضاق لنا المكان فأقدم".

ولا شك أن صاحب هذا القول لم يكن يدرك خطة قيادته، وهذا يدلنا على أن الخطة كانت سراً لدى القيادة لم تتفصح عنها للاستيجال.

وأجر سعد من كل شيء بذلك قائلًا:

"إذا كفتم الرأي فلا تتكثفوا، فإننا لن نقدم إلا على رأي ذوي الرأي، فاسكنوا ما سكننا عنكم (1)."

من المبادئ المسلم بها اليوم وتأخذ به الدول كقاعدة من قواعد الأمن مبدأ يقول: "المعرفة على قدر الحاجة" يقوم على اعتبارين:

(1) الطبري ٣ / ١٠٠٥ ش س عن محمد بن قيس عن مومي بن طريق.

٨٨
1 - خطأ تكليف الفرد بعمل مع إحاطته بقدر أقل مما يلزمه لأداءه.
2 - خطرة حصول الفرد على معلومات تزيد عن حاجته لأداء العمل المطلوب به.

فالمعرفة على قدر الحاجة يعني قدرة الفرد على تأديته العمل المكلف به بأقل قدر ممكن من المعلومات، وذلك خوفاً من تسرّب المعلومات والخطط إلى العدو، وأن الفرد غير مسؤول عن معلومات معينة مسؤولية مباشرة لا يشعر بنفس المسؤولية التي يشعر بها نحو المعلومات التي هو مسؤول عنها مباشرة بحكم تكليبه. ولقد كان الجندي المسلم مثالياً في جنديته ولم يكن معنى هذا إهدار القواعد السلبية بل كان الصواب في إعهابه دائماً. وإن اقتناه كل فرد ببداية المعرفة على قدر الحاجة يمثل تضخيف الفرد وأخذ الدعمات الحامة لقطع السلب على العدو نحو محايدته من معلومات. وإن قدراً كبيراً من المعلومات التي تسمى بالمعلومات المعرضة - يتسقط الأعداء كيفاً اتفقت من مسقات الألسنة والثرثرة التي لا داعي لها. ولا شك أن خير أماني لذلك هو الكثبان وألا يعرف الفرد أكثر مما يلزمه، فالمعرفة على قدر الحاجة.

بذلك أخذ سعد.

زحف السلاح.

وتوقف زمن فترة أخرى وهو بالنجف وجدت تعبئة قواته (1).
فكان هو بالنجف.
وهو مرزاني على ميمنته.
و impoverان على ميسرتاه.
وجالوس على المقدمة بين النجف والسيلحيين.
وهم جاذبوه بين رسم وجالوس.
وبيزان على المؤخرة.

(1) الطبري 3 / 1050م ش راشد محمد وطلحة رزيق بإسنادهم.

89
خريطة رقم (5) مواقع الجيشين قبلي المواجهة.
وزاد بن يحيى صاحب فرات سرياً على المشاة.
وكناري على الجملة [الخيل].
وكان الجند حينذاك مائة وعشرين ألفًا، فيهم ستون ألف متبوع ومنستين ألفًا خمسة عشر ألف شريف من أشراهم.

هرمزان - قائد الميمنة - كان صاحب تصر (١). وسياق بي ذكر كثير.

ومهران - قائد الميسرة - بن بحرام جوين صاحب الثورة المشهورة الذي تار على هرمز الرابع وأسقته عام ٥٩٠ م. وقد كان بحرام من قواد الفرس المشهود لهم على مر التاريخ الفارسي غير أنهم لم ينجح في حربه ضد بيزنطة فانتزع هرمز القيادة منه بشكل فيهما فثار بحرام حتى سقط هرمز وقتل ودخل بحرام المدائين وفوج نفسه غير أن الأمر لم يستقر له ففر إلى تركيا حيث قتل. ومهران هو ابن ذلك القائد الثاني. وقد مر بنا ذكر مهران في حملة خالد بن الوليد إذ كان قائد الفارسية في عين النمر حين هاجها خالد ثم انسحب منها دون قتال مما هزم خالد عظة. ويفهم من صفته بأنه مهران بن بحرام الرازي من أهل الري جنوب بحيرة قرون.

وجلالونس قائد المقدمة مرت ذكره في حملة أبي عبيد. فهو الذي أرسله رستم مداً للجباي ونصرا فانهزمما قبل أن يدركها وجلات قلابه ما في إقليماء، ثم التقى بهم أبو عبيد وهزهم وفر جلالونس. وقد غضب منه رستم غضباً شديداً وأعاده على مقدمة بهمن جازوه في موقعها الجسر، والآن يعود رستم ويجعله على مقدمته.

أما زاد بن بديش - قائد مشاة الفرس في القادسية فهو الذي سبق أن صالح خالد بن الوليد على الجزية وكتب خالد لميادين الذي في ربيع الأول عام ١٢٠ ه بعد سقوط الخرجة. نقض عهده وخرج مع رستم يحارب المسلمين. وحين يبرز لنا اسم زاد بن بديش صاحب فرات سربا، فإننا يعني الرجل وإقليمه. ونظر أن قيادته للمشاة قد جاءته نتيجة أن إقليم فرات سربا قد ساهم بنصيب

(١) الكامل للعمرد ٨٨/١
وافر في الفلاحين المشاهين من الفلاحين الذين هم شعب فرات سريعا فيها بين
دجلة والفرات.
وتقدم رستم مرحلة أخرى فارتحل من النجف ونزل مكان بهمن جازوية
بينا ارتحل هذا فنزل مكان جالوس وارتحل جالوس إلى كليتاراذ فنزل بهما
وقد خيله أمام مكانه هذا نور القادسية.

فاوية تموينية
والفرس(1) في مواقفهم تلك بعث سعد سواد بن مالك التميمي قائد الطلائع
وحبيبة بن النعيم البارقي - الذي وفده على عمر فأمره على قبائل السراة وأندمع
مع سعد - بعدها سعد في مائة (2) ومائة فأغرموا على النهرين (3). وكان سعد
قد نجاها إذ بعدها أن يعتني ويبتعد كثيرا.
واسترعت عيون رستم تنقل إليه أخبارهم فأرسلهم خيلًا. والمثال بلس
سعدًا أن خيل أوقلت وبعدت، فدعا عاصم بن عمرو السليمي وجبار بن أبي سمرة
الأسدي فأرسلها في آخرهم يقاتلهم فسلكا نفس طريقها، وقال سعد لها:
«إن جمعك قتال فأتى عليهم».
فلقين عاصم وجبار بين النهرين وأصطيادا (4) وأحاطت بهم خيل رستم
وتزيد استخلاص ما بين أيدهم من غنائم.
قال سواد حبيبة:
"اختير إما أن تقوم لهم وأستاقت الغنية أو أقيم لهم وتستاقت الغنية.
قال حبيبة:
"أقم [أنت] لهم وننهيم عني وأنا أبلغ لك الغنية».

---

(1) الطبري 12/3
(2) في الأصل مائة مائة ( يعني عشرة آلاف ) والمعقول أن يكون صوابها كما أثبتنا.
(3) من بحقياق الأعلى، وهذه هي الغارة الثانية على النهرين.
(4) لم ننتمي إلى موضوعها.
فأقام لهم سواد وانفلت حليضة بالغنائم [لم تذكر المصادر طبيعتها ونحمسها
كانت مواسية]. فلقبه عاصم بن عمرو فظف حليضة حين رأها على بعد أن تخلو أخري من خيول الفرس فأخرج عن طريقها، ولكنها ما لم أن تعارف، فساق حليضة عينه نحو القادسية ومضى عاصم إلى سواد. وكان الفرس في أثناء ذلك قد استطاعوا استنفاد بعض الغنمينة وما زال سواد مثمناً بهم. ولم يهدم تفكيرهم إلى مثل ما هده سواداً تفكيره، فلو ذهب بعضهم بما استندفا وثبت بقيتهم للقتال لفازوا بها، ولكنهم ظلوا جمعاً في التحاج والغنمية حتى بلغهم عامر واجبار في خيلها، فما إن راهم المحس حتى وراء الأدبار تارك ما كانوا قد استرجعوا فاستردها منهم المسلمون وعادوا إلى سعد بنصرهم على عدوهم.

والغانائم وبالسلامة لم يفقد منهم أحد.

وغاية استكشافية

وبعث سعد طليحة بن خويلد الأمد ومغرور بن معدي كرب الزبيدي بعثها سعد في غير قوة من خيل كالطليعة في ه دورية استكشافية، فكان طليحة وحده مكلفًا بعسكر رستم وكارب عمرو في خمسة من أصحابه مفاجأ ببعض جالوس. وأمرهم أن يصيروا له بجلاهم ليستخبره. كان ذلك الصبيحة اليوم الذي أمر رستم في جالوس بهذه جاودية بالتقدم نحو القادسية، والمسلمون يعلمون أن جيش الإخوة بالنجد لا يشعرون بخروجهم. فاما تجاوز طليحة ومغرور فقتطر القادسية لم يسروا إلا فرسخًا وبعض فرسخ [حوالي 7 كم] حتى رأوا خيلاً عظيمة وقوات الإخوة تتحرك بسلاحها قد ملأوا الطوف (1).

(1) أظهر ترحية طليحة بن خويلد في آخر الكتاب تحت عنوان "ترجمة مشاهير قادة الفتح".
(2) عمرو بن معدي كرب قدمنا تعريفاً به في وفد سعد إلى زغور.
(3) الطبري 361 سوف عن محمد بن قيس عن مويس بن طريف.
(4) "عن أبي عمرو عن أبي عثمان النهدي.
(5) الوفد وما أشرف من الأرض على ريف العراق، وجمعها طوف. (أسد الغابة 258) عن مراصد الأطلال.
قال بعضهم: «ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم وهو يرى أن القوم بالنجف».
فأخبروه الخبر.
وقال بعضهم: «ارجعوا لا تندفع 1 بكم عدكم».
قال عمرو: «صدقتم».
وقال طلحة: «كنتم مما بعثتم لنخبروا عن السحر [سرح جند الموس] وما بعثتم إلا للخبر».
قالوا: «فيا تريد»؟
قال: «أريد أن أخاطر القوم أو أهلك».
قالوا: «أنت رجل في نفسك غير ولن تفعلي بعد قتال عكاشة بن حصن
فرجع بنا».
فابي وفارقهم. وبلغ معداً وهو بالقادسية خبر رحيلهم فبعث في أثاثهم
فيس بن هبرة الأسود وأمره على مائة وقال له: «إن لقيت فناناً فانت عليهم».
وخرج قيس حتى لقي عمراً وقد فارقه طلحة ومضى وحده ما بيد. وسأل
قيس عن طلحة فقال عمرو: «لا علم لي به». وساروا جميعاً حتى أشاروا على
النجف من جهة الجوف.
قال عمرو: «أريد أن أغبر على أدنى عسكريهم».
قال قيس: «في هؤلاء».
قال: نعم.
قال قيس: «لا أدعك والله وذاك، أتعرض المسلمين لما لا يطيقن».
قال عمرو: وما أنت وذاك؟
قال قيس: «إني أمرت عليك، ولو م أكن أميراً لم أدعك وذاك».
وشهد الأسود 2 من يزيد في نفر معه.

---

1) نذر الجيش فلنا جعله نذيراً. نذر به عله فحذره واستعد له، وقال نذروا بالمدمر.
2) أنظر ترجمة الأسود بن يزيد في آخر الكتب تحت عنوان "ترجمة مشاهير قادة الفتح".

94
إن سعداً قد استعمله عليك وعلى طبيعة إذا اجتمعتم.
قال عمر: «وأيبلة يا قيس إن زمننا تكون علي فيهم أميراً لزمان سواء».
فلن نعد صاحبك الذي بملك لكنه لنا لتفارقته.
قال قيس: «ذاك عليك بعد مرتاك هذا».
رجا اله إلى سعد يخبرن الجرب الخزيهم وبعض الأسرى منهم، وبأفراس غنموها. وبكاد كل واحد منها صاحبهم. أما قيس فشكلا عصيان عمر وأما عمر فشكلا غلطة قيس.
قال سعد: «يا عمر الخير والسلام أحب إلي من مصاب مائة [من المسلمين]
بقليل ألف من العجم]. أتعمزم إلى حلب فارس، فتصادمهم بمائة؟ إن كنت لأراك أعلم بالحرب مما أرى!»
قال عمر: «إن الأمر لكا قلت».
أما طبيعة فقد ترك أصحابه ومضى وحده بعارض (2) المياء على الطوف
حتى بلغ معسكر رست للس في داخله ليلين وثابت فيه يجوزه وينظر ويتوم،
فأما كان آخر الليلة أتيت أفضل من توسم في ظلمة المعسكر وفيها فرس لم ير في
خيلهم مثله، وفساطة أبيض لم ير مثله، فقل سيفه وقطع به مغرد الفرس
لجمه وتربه يقوده فهو يمشي بفرسه وخرج بعدو به. وأحسن الفصل.

(1) في الرواية أن عمراً قال قيس: «أن أروع عن دينرك هذا الذي كنت عليه
و أغفل عليه حتى أومت أحب بن من أن تتأمر علي ثانية»، أسقطنا هذه العبارة من النص
خلافناها العقول، إذ أن عمراً كان من سبقهم ثم ردها وتدارعها عنا ورجع إلى الإسلام، وبسبب
رده حرم من الجهد في عهد أبي بكر. ثم حسن إسلامه وهذه الصفة سمعه له ولغيره من أصحاب
الردة أن يجاهموا في عهد عمر. لم يكن من المقبول عقلنا أن يصدر عنه مثل هذا القول، ولو
قاله لكان لسعد معه شأن، ولو تجاوز سعد لما تجاوز عمر. هذه العلة تدعونا إلى إسقاط العبارة
من النص خالفناها للمعاصم بالاستناد إلى إجاح الرواة.
(2) بعارض يعجبب - عارض سار حبالا - عارض الرجل أحد في عوض من الطريق
إي ناحية.
بما أحدث فتنادوا وركبو الصعبة والذول وتعلب بعضهم فلم يسرق فرسه وخرجوا يجدون في أثره
ولحق فارس منهم في الصباح فلما أدركه وصوب اليه رجع لهطم عند طليعة فرسه ومال به عن تصوير الفارسي فانصب الفارسي بين يديه وصار أماميه، فتحرك علية طلحة وطعنه برجمه فقمع ظهره، وأطلق مدفع برسه ففتح به ثلث وقد رأى مصير صاحبه وها ابنه فازداد حقنا فما حق بطلحة ويوأله الريح ليطمعه عند طليعة فرسه فانصب الجوسي أمامه وركز علية طلحة وقد شرع رجع ودعا إلى الأمر، وأدرك الجوسي أنه مقتول فاستسلم. وكان قد اقترب من معسكر المسلمين، فأمره طليعة أن يركض بين يديه وهو يسوقه من خلفه برجيه وهو على فرسه فامثل للأمر.
وأقبل جمع آخر من الأعم يجدون في آثارها فرأوا فارسيهم وقعد قنلا وشاهدوا الثلاث يركض مستفزا أمام طليعة وقد أوقعو على دخول معسكر المسلمين فأحكموا ونفّضوا ثم عادوا من حيث آنوا. لما علم المسلمون بذبح الجوسي اليوم تعبوا للقتال. وجاء طليعة على فرسه يسحب وراءه الفرس الذي غم وأسيره يدعو بين يديه ودخل عسكر المسلمين ففرعوا منه ثم أجازوه حين عرفوه، فدخل على سعد. قال له سعد: "وهلك ما وراءك؟" قال طليعة: "دخلت عساكرهم وعجستها منذ الليل وقد أخذت أفضلهم توسعا وما أدرى أصبت أم أخطأت وها هوذا فاستخبره". وصلما الفارسي
وأقسم الترجمان بين سعد والأسير.
فقال الأسير: "أعومني على دمي إن صدقت؟". قال: "نعم الصدق في الحرب أحب اليئا من الكذب".
قال: أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عن بيتي، فينتشر الحروب وعشيتهما وسعت بالأبطال ولقيتها منذ أنا غلام إلى أن بلغته ما ترى، ولم أر ولم أسمع مثل هذا. إن رجلا يقطع عسكري لا يجري على أبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفا يخدم الرجل منهم الحسنة والعشرة إلى ما هو دون، فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند وهتك أطلال بنته فأذنها، فأنذرته به فطلمه، فأدركه الأول وهو فارس الناس يعدل ألف فارس فقتله، فأدركه الثاني وهو نظيره فقتله، ثم أدركه ولا أظن أنهن خلت بهدف من يعدلي، وأنا القاتل بالقنتربين و لما أسمو به جدام نصا، فرأيت الموت قاستمرت.

ثم أخبره عن جيش فارس بأن الجند مايله وعشرون ألفا، وأن الأتباع مثلهم خدام له، يعني أنهم كانوا جمعا 10000 مائتين وأربعين ألفا. وأسلم الأمر فسبيته مسلمًا وشهد مع المسلمين القادسية وكان من أهل البلاء. وعاد مسلم إلى طليحة فقال له:

لا والله لا تهزمون ما دمت على ما أرى من الوفاء والصدق والصلاح والمؤاساة، لا حاجة لي في صحبة فارس.

عذراً للخروج
قال: سعد بن قيس بن هيبرة الأندلسي: اخرج يا عاقل فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنو عليه حتى تأتي بعين مموم القوم.
فخرج قيس ثم سرح سعد في أثر عمرو بن معد برطبة بن خويلد فلتحا به وقد حاذى قنطرة القادسية فانضما إليه وانتهوا إلى خليل كثيرة بإزاء القنطرة ثانى من جهة عسكرهم قدمها أمامه جالوس.
وصاح قيس بن هيبرة: قتلاوا العدوكم يا معشر المسلمين.
وأنشب القتال فثاروا يبتازرون سنة ثم حمل عليهم فأصابهم منهم أثى عشر.

(الطبري 3/4، 514)
قتلوا وثلاثة أسرى وأصاب منهم بعض الفئامم. وعادوا بذلك إلى سعد فقال:

"هذا بشري إن شاء الله إذا لقيت جميع الأعظم وحدهم فله-Amalan."

أراد سعد بإبراك عمر وطليعة مع قيس بن هبرة الأسدي في سرية تلك
أن يعفًى على آثار ما كان في السرية السابقة. ودعاه سعد بعد رجوع السرية.

قال لها: "كيف رأيت قيسا؟"

قال طليعة: "رأيناه أكتانا."

وقال عمر: "الامير أعلم بالرجال منها."

قال سعد: "إن الله تعالى أحيانا بالإسلام وأحيانا به قلوبنا كانت ميتة وأمات
به قلوبنا كانت حيّة. وإنني أحذركم أن تؤثروا أمر الجهليبة على الإسلام فتعمت
قلوبكم وأنتنا حيّان. وإنما السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق، فما رأي الناس
كاأيام أعظم الله بالإسلام."
الباب الخامس

وجهاً لوجه

آخر الطريق

نزل رستم السليحيان وبات بما فما أصبح من عده قدّم جالنوس (1) فنزل تجاه القنطرة في مواجهة زهرة بن الحوية والقنطرة بينها. وبذلك وقف جيش رستم بن فرخزاد وجيشه سعد بن أبي وقاص وجهًا لوجه.

نزل بهمن جاذوبه منزل جالنوس بطيئةً. ونزل رستم بمن معه من ميمنة ويسرة ومؤخرة منزل ذي الحاجب بهمن جاذوبه بالحرية.

ثم قدم بهمن جاذوبه حتى إذا بلغ المتبقى تياسى، فما كان تجاه قديس الحصن الذي على خندق القداسة وهو الذي اتخذه سعد مقراً له [خندق خندقًا غير أنه لم ينزل فيه وإنما ارتحل جالنوس فنزل عليه حتى يظل في المقدمة. وقيت للفرس خلال تجاه القنطرة خلف المتبقى، بينما زهرة والمقدمة على الجانب الآخر من القنطرة أمام المتبقى.

وصلت السلفية

وأقبل رستم في قواته فوقف بهم أمام عسكر سعد من وراء المتقى، ولا بد أن سعداً حينذاك كان ينظر اليهم من أعلى قدنين يرهقهم ويترحم ويفرحهم.

(1) الطبري 3/ 655 من عمره وعليه وختامه وعبد وزياد ومشاركه المجلد وسعيد ابن الرحيان.

99
خريطة رقم (٤) مواقع ما قبل المعركة

فبري أعداداً من الجندي والخيل والأفيال لم يجمعهم من قبل فقت في حرب العراق. وأنزل رست جنوده فبا جازوا يتلاحعون وهو ينزلهم منازهم ويخدهم أماكنهم حتى أتموا ودخل الليل من كثرتهم.
وبات رستم وعسكره تلك الليلة من وراء العتيق والمسلمون ممسكون عليهم
لا يحركون(1) ساكناً. لا شك أن الغنم المجوس حال وصولهم إلى نهر العتيق
لم يكونوا على التنبؤ والمسافر الذي يهجمهم من الالتحام بالمسلمين فيا لو هاجموهم
حينذاك، ولكن هل كانت من الصوارب أن يشحن المسلمون هجومهم عليهم وهم
يصلون تباعاً? إن أغرى ولو فعلوه لكان ذلك خروجاً عن الخطة المرسومة ولا
يحمل بقائد في المجوس أن يخرج عن خطته المدروسة المرسومة لاستهواء أغرى
عرضي غير مدروس. ولو حدث ذلك فقد كانت الدائرة على المسلمين - وهو
احتيال في الحرب جائز - لسأ موقفهم أياً سوءاً إذ يكون العتيق وراء ظهورهم
ومستنقعات الماء عن أذىهم وعن شنايلهم، ولأعداد يوم الجسر نفسه على
مقياس أكبر.

هواجس أخرى
وأصبحوا من ليتهم تلك وهم بواطنين العتيق، فضدا منجم رستم على
рестم بطل رآه من الليل!
قال: "رأيت الدلول في السياها دلوا أفرغ لماوه، ورايت السمكة في ضحاح
من الماء [الضحاح من الماء: قريب القفر - الضحل] تضطرب، ورايت النعام
والزهيرة تزهر".
قال: "ويحك هل أخبرت بها أبداً؟"
قال: "لا".
قال: "فأكمها!
أف هؤلاء المجوس. كانوا يتبعون الأحلام والتنجيم يؤمنون به حتى في أشد
حالات الجد، حتى لقد كان رستم يبي أي ما يرى وما يراه منجموه(2).

(1) الطبري 3/ 616 من شمس عن العباسي الطهARA
(2) الطبري 3/ 626 من شمس عن الشهابي.

101
في هذا اليوم أصبح رستم راكباً في خيله، فنظر إلى المسلمين (1)، ثم سار
جنوباً بشرق عادياً العتيق نحو خفان يستعرض المسلمين وينظر إليهم حتى بلغ
إلى آخر عسكرهم، فرجع وسار حتى بلغ القطورة وهو يتأملهم، وصعد على
شيء مرتفع يشرف عليههم. ثم نزل واجه نحو القطورة ووقف عليها وراحل
زهرة فخرج إليه حتى وقف معه، فحدثه رستم حديثاً يريد به الصلح على أن
يرجع المسلمون عنهم مقابل جعلهم لهم. قال فيا قال:
"أنتم جيراناً وقد كانت طائفة منكم في سلطانان، فكنا نحمم جوارهم
وكنف الأذى عليهم ونوليهم المرافق الكثيرة ونخفيهم في أهل بادتهم فنرفعهم
مراعينا ونثيرهم من بلادنا ولا تنتمون من التجارة في شيء من أرضنا، وقد كان لهم
في ذلك معاش ..."

وظل يعرض لزهرة بالصلح تليحاً لا تصرحاً.
قال زهرة: قد صدقت. قس كان ما تذكر، وليس أمرنا أمر أولئك ولا
طلبنا طلبتهم. إن لم نتأمك لطلب الدنيا وإنما طلبتنا وهمنا الآخرة.
كناا كافر يدين لكم من ورد علىكم وما بضرع لكم يطلب ما في أيديكم.
ثم بعد الله تبارك وتعالى علينا رسولاً فدعانا إلى ربي فاجنناه. فقال لبنيه
إني قد سلدت هذه الطائفة على من لم يدين بدنياً، فانتميهم بهم ومنهم وأجعل
هم الغيبة ما داموا منبئين به. وهو دين الحق لا يرغب عنه أحد إلا ذل ولا
يعتصم به أحد إلا عز.
قال رستم: وما هو؟
قال زهرة: أما عودته الذي لا يصلح منه شيء إلا فيه فشادة أن لا إله إلا
الله وأن محمد رسول الله، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى.
قال: ما أحسن هذا، وأي شيء أيضًا؟

(1) الطبري 3/177 567 من شعر عن النصر عن ابن الرفيق عن أبيه.

103
قال: "وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى.
قال: "حسن، وأي شيء آخر؟
قال: "والناس بثناء دم وحراء إخوة لأب وأم.
قال: "ما أحسن هذا. أرآيت لو أني رضيت بهذا الأمر وأجنبكم الله ومعي قومي، كيف يكون أمراً أترجعون؟
قال: "إي والله ثم لا نقرب بلادكم أبداً إلا في التجارة أو حاجة.
قال: "صدقني. والله أما أن أهل قارس منذ ولي أرديش لم يدعوا أحداً يخرج من عبادة من المتغ מתلون إذا خرجوا من أعمالهم تعودوا طورهم وعادوا أشراهم.
 فقال زهير: "نحن خير الناس للناس فلا نستطيع أن نكون كا تكون. نطيع الله في السفينة ولا يضرون من عصى الله فينا.
انصرف رستم فدوا حاشيته وتدارسو هذا الحديث فسخروا(1) منه وألغوا. قال رستم: "أبناكم الله وأحكمكم. أخزي الله أخرعننا(2) وأجبنناا. وكانت الرفيف الذي تقدم ذكره ورغب في الإسلام حاضراً ذلك الاجتماع مع هؤلاء القوم الذين ذا كرمهم رستم. يقول الرفيف هذا: ه فما انصرف رستم ملتً إلى زهير فكان إسلامي و كنت له عدداً (3) محدوداً معه] وفرض لي فرائض أهل القادسية.
رسل الله رستم (وأرسل رستم رجلاً إلى زهير (3) يقول له: 

(1) في الأصل "فخموا منه" بنفس المعنى.
(2) الخروج: الرخأة في اليمن، وقد خرج الرجل أضف فهو خروع - خفات الصحاب.
(3) الطبري 3/ 518 على عن محمد وطليقة وعمر وزيد بإسنادهم.
" 3/ 3/ 24 " عن أبي عبان الهادي.
" 3/ 3/ 24 " عن محمد بن عبد الله بن ثعيم عن ابن عمر.
" 3/ 3/ 24 " عن النصار عن ابن الرفيق عن أبيه.

103
ان رسم يقول لكم أرسلوا لينا رجلا نكلمه ويكفنا
وابن صرف. فارسل زهرة إلى سعد بذلك، ورسل سعد إلى الغيرة بن سمعة
وقيس بن أبي رهم وعرفجة بن هريرة وحذيفة بن محسن وربيعي بن عامر وقيرة (1)
ابن زاهر التيمي الواثق ومذاعر بن عمدي العجلي والمضارب بن يزيد العجلي
ومعبد بن مرة العجلي وكان من دهاء العرب، فجاوزوا اليه وكانوا جميعاً من يتق
سعد بدینهم ورأجم
قال: ما إن مرسلكم إلى هؤلاء القوم فإنا عندكم؟
قالوا جميعاً: نتبع ما تأمرنا به ونتنحئ اليه. فإذا جاء أمر لم يكن هناك
فيه شيء، ننظرنا أمل ما ينغي وأنفعة للناس فكلمناهم به.
قال سعد: هذا فعل الخرَّامة، اذهبوا فتهوا.
قال ربيعي بن عامر: إن الأعاجم لهم آراء وأداب، ومتى نأتيهم جميعاً
يروا أتنا قد احتفلنا بهم، فلا تزدهم على رجل.
فالله جماعاً على ذلك.
قال ربيعي: فسأ قومي.
فبعث سعد إلى هذه الوفادة.

ربعي بن عامر
خرج ربيعي ليدخل على رسم عسكره فاحتجزه الذين على القنطرة وأرسالوا
إلى رسم بجهته، فاستشار عظاء قومه. قال:

١٠٤
ما ترون أم تنهاون؟ 
 فأجموا على التباهي (1) فاظهروا الزبرج وبسطوا البسط والباقث (2) ولم يتراكوا شيئاً ووضع لرست سرير الذهب وألبس زينته ووضعت الأنيقة (3) والوسائد المسوحة بالذهب. وأقبل ربعي على فرس له ربيعة (4) قصيرة ومعه سيوف معلوم وغطته لفافحة ثوب بال ورجه تم حده بسيف من جلد غير مدبوع ومعه حفصة (5) من جلود البقر ليس فيها خشب ولا عقب على وجهها أدبي (6) جلد آخر مستدير مثل الرغيف ومعه قوسه ونبله فلما انتهى إلى رست ووصل إلى اول البسط قيل له أنزل فتشاه ذلك وجعل فرسه على البساط فلم ينزل عليه وربطه بوسادتين فتشاه ثم أدخل الحبل فيها فلم يستطيعوا أن ينهوه وإنما أروه النهاون. وأدرك ربعي ما أرادوا فداراد استحررهم.

كان على ربعي درع له كأنها إضافة (7) ورداؤه عباءة بعشر قد شقها وتدرع بها فشدها على وسطه بشيء مما غنمه من الفرس في معركة السابقة وقعد شله رأسه بعامتها وكان أكثر العرب شروعاً وعامتها نسعة (8) بعيه وبارسه أربع ضفادع قد فمن قياما كأنهم قرون الوعول.

قالوا له: هل سلاحك (9)?
قال: إنما أتكم فاضع سلاح باهرك. أتم دعوتوني فإن أبيهم أن آتيك إلا كأريد إلا رجعت.
فأخبروا رست فقال: اذنوا لى هلى هو إلا رجل واحد (9).

(1) في الأصل: التنها، وتعتقد الصواب التباهي في ميدان فلانه.
(2) الباقث: وسائد صغيرة للانكماش.
(3) الأنيقة: نوع من البسط.
(4) الرغيف: كثيرون في وجهين والأنثني، والأنثني زاهياً ورائدة زاهياً، أي عظيمة.
(5) الحفصة: الغدير ورجه الشبه في توجها وهسولة حركتها مع حركة الجسم ولا يكون ذلك إلا في دروع الحلق المرهود.
(6) النسيمة: سيوم أو حلب عريض طويل تشد بها الرحال.

105
ولا أقبل ربي يتوكأ على رعه - ومكان زوجته نصل - يقارب الخطو ويزيج البصر والبسط يزيج رعه فها ترك لهم غرفة ولا بساطا إلا أفسده وترك كمتهما خرفا. فما دنا من رسم تعلق به الحرس فجلس على الأرض ورك رعه بالبسط.
قالوا: ما حملك على هذا؟
قال: إننا لا نستطيع القعود على زينتكم هذه.
قال رستم: ما جاء بكم؟
قال ربعي: الله أبعثنا واللهم جاهنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.
فأرسلنا بدنه إلى خلقه لدعوه عليه. فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك من ورجنا عنه وتكرنا وأرضه يليها دوننا. ومن أبي قاتلنا أبداً حتى نمضي إلى موعود الله.
قال رستم: وما موعود الله؟
قال: في الجنة فمن مات على قتلن من أبي، والظفر لم بقي. فقال رستم: قد سمعت مقالتكم فهل أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنتظر؟
قال: نعم، كم أحب اللوم؟ أيوماً أو يومين؟
قال: لا بل حتى نكابب أهل رأينا ورؤساء قومنا.
وأراد مقاربة وحمايته.
قال ربعي: إنما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل به أثنا أشتر لا فتكون الأعداء من آذاننا ولا نجعلهم عند اللقاء أكثر من ثلاثة، فنحن مترددون عنكم ثلاثة فانظر في أمركم وأمرهم، واختير واحدة من ثلاثة بعد الأجل.
اختير الإسلام وندعك وأرضك.
أو الجزاء [الجزاء] فنقب ونكف عنك، وإن كنت عن نصرنا غناك تذكاك منه وإن كنت يه محتاجًا منناك.
أو المنابذة [الحرب] في اليوم الرابع.

106
ولسنا نبِدؤ فِيَا بِيْنَنَا وَبِيْنِ الْيَوْمِ الْرَّابِعِ إِلَّا أَنْ تَبْدَأَا ؟ أَنَا كَفِئِلَ لِكُلِّذٍ عَلِّيَ أَصَابِيحِي وَعَلِّي جَمِيعٍ مِنْ تَرْيِى ؟
قال: أَسْمَعِيْنَ أَنْتُ؟
قال: لا، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ كَلِّجَدَ بِعْضٍ مِمَّنْ بَعْضٍ يَحْيَى أَدْنَاهُمْ عَلَى أُعْلَمَ.“
فَانْفُرَّد رَسَّامٌ بِرَؤْسَةٍ أَهْلِ فَارِسِ.
فَأَقَالَ: مَا تُروْوَ أَيْمَنَ كَلِّمَاهُ قَطَّ أَوْضَحَ وَلَا أُعْزُ مِنْ كَلَامِ هَذِهِ الْرُّجْلِ؟
أَقَالَ: مَعَاذُ اللَّهِ أَنْ تَمَّ مَّنْ تَمَّ إِلَى شَيْءٍ مِمَّنْ هَذَا وَتَدْعِي دَيْنُكَ هَذَا الْكَلَابِ.
أَمَّا تَرْى إِلَى ثَيْبِهِ؟
أَقَالَ: وَيَحْكُمُ لا نَظُرَّوا إِلَى الْشِّبَابِ وَلَكِنَّ أَنْظُرَوا إِلَى الرَّأْيِ وَالْكَلَامِ وَالسِّيْرَةِ. إِنَّ الْعَرَبَ تَسِتَّخْفِي بِالْبَلَسَةِ وَالْمُأَكِّلِ وَيَصُوْنُونَ الْأَحْسَابِ. لِيَسْمَعُونَ مِنْكُمْ فِي الْلَّبَاسِ وَلَا يَرُوُنَّهُمْ مَا تَرُونَهُمْ.
فَأَقِلَّلُوا إِلَى مَلَائِكَةِ مِنْهُ وَيَعْبَّأْنُونَهُ وَيَهْدِيونَهُ فِيهِ.
فَأَقَالَ لِهِمْ: يَهْلُ كَلَامِ إِلَى أَنْ تُرَىُنَّ فَأَرَيْكُمْ؟
فَأَخْرَجَ سَيْفَهُ مِنْ خَرْقِهِ كَانَ شَهِيَّاً ثُمَّ أَلْحَقَهُ فِي قُلُوبِهِ.
فَأَقَالَ لَهُ: اَخْبِرُهُمْ فَفَعَّدَهُ.
فَأَرَى مَنْ وَضَعْنَا وَبَعْضُهُمْ حَجِفَتْ فِرْمَى تُرْسُمُ بَيْنَمَا فَخْرَقُهُ وَوَرَمَوا.
حَجِفَتْ بِسَمِهِ فَسَلَّتُ.
فَأَقَالَ لَهُمْ: يَا أَهْلُ فَارِسِ إِنْ كُنْتمْ عَظِمَتْ وَلَبَاسُ وَالْبَيْسَةُ وَالشَّرَابُ وَإِنَا صَغْرَتُنَا.
فَأَرَى مَنْ وَرَجَعَ إِلَى مَعِشَكُهُ إِلَى أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى الأَجَلِ الْأَنْطَجِيِّ الَّذِي مِنْهَجُهُ لَهُمْ.
وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَيَامٌ.
الحديقة بن محصن
فُمَا كَانَ مِنْ الْغَضِبِ بَعْثَ الفَرْسِ: أَنَّ إِبْتَعَ الْبَيْنَا ذَلِكَ الرُّجُلِ.
فِي بَعْثَ سَعْدٍ الْمُسْلِمِينَ حَدِيقَةٍ بِنْ محِصنٍ وَهُوَ مِنَ الأَزْرِدْ وَلَهُ تَارِيْخٌ مَعْرُوفٌ. كَانَ مِنْ قُوَادِ أَبِي بَكْرِ لِقَتَالِ الْمُرَتَّدِينَ وَقَدْ وَجَهَّذَ أَبِي بَكْرَ وَمَعِهِ عَكْرَمَةُ بَنْ أَبِي جَهلٍ.
١٠٧
لقتال مرتدي الأرد في عمان، فدعاه حذيفة إلى الإسلام فأسلموا كله، إلا أهل دبا فلوا أبو بكر عليهم، ومات أبو بكر وحذيفة أميرهم. وكان من أصحاب الأيام بالعراق فكان مع المنى بن حارنة وقد شهد معه البوبي ثم كان على المقدمة في غارات المنى على أسواق الشمال وأغار مع المنى على تكريت.
وقال حذيفة على رستم في زيو بيسه ذي ربيعي الذي ذهب به الأمام حتى إذا كان على أدنى السطح قالوا له: انزل.
قال: ذلك لو حبتكم في حاجتي، فقولوا للكم أنه الحاجة أم لي؟ فإن قال لي فقد كذب ورجعت وتركتكم، فإن قال لي لم آتيكم إلا على ما أحب.
قال رستم: دعوه.
فدخل حذيفة بقرسه حتى بلغ رستم وهو على سريره.
قال له رستم: انزل.
قال: لا أفعل. وأبي.
قال رستم: ما بالك جئت ولم يجيء صاحبنا بالأمس؟
قال: إن أميرنا يجيب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء فهذه نوبتي.
قال: ما جاء بكم؟
قال: إن الله عز وجل من علينا بدينه وأرانا أبايه حتى عرفاها وكناه
له منكرين.
ثم أمرنا بدعو الناس إلى واحدة من ثلاث فأجابها إليها قلبناها:
الإسلام ونصرف عنكم.
أو الجزاء وتعكم إن احتجتم إلى ذلك.
أو النابضة.
قال رستم: أو الموادة إلى يوم ما.
قال حذيفة: نعم. ثلاثة من أمس.
ولم يجد رستم عنا إلا ذلك فرده وأقبل على أصحابه فقال:
ويفحكم، ألا ترون ما أرى? جاءنا الأول فغلبنا على أرضنا وحققت ما
لا أعلم وأقسم فرسه على زريب نينا وربطه به فهو في فين الطائر ذهب بأرضنا وما فيها بهم مع فضل عقله. وسائرنا هذى اليوم فوقه علينا فهو في فين الطائر يقوم على أرضنا دوننا.

وظل رستم يتحدث به مثل هذا حتى أغضبه وأغضبوه.

المغيرة بن شعبة

فلا كان الغد أرسل رستم إلى سعد أن يبعث إليه رجل، فبعث إليه المغيرة بن شعبة. وجعل المغيرة إلى القطرة فأجازه زهرة إلى سلسوس فأبلغه إلى رستم فحجزه حتى استذنوا له، ولم يفعلوا شيئا من شاراتهم وزيتهم الذي كانوا عليه، وعليهم التبان والثياب المنسوجة بالذهب ويضطهم على غلطة (1). ودعا رستم تجاجه وكان عربيا من أهل الجزيرة اسمه عبدوي. وأقبل المغيرة يمشي له أربع ضفائر، وفرق رأسه أربع فرق من بين يديه إلى فقاته وفرق ما بين أذنيه (2)، ورثى حتى جلس مع رستم على سرته ووسادة، فنخرب أخو رستم!

وحول الدرس فتفرثوه وأنزلوه ومغطوه (3).

قال المغيرة لأخى رستم: هل تنظر، فا زادني هذا شرفًا ولا نقص أخالك. كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم. إنما معشر العرب سواء لا يعبد بعضنا بعضًا إلا أن يكون عاريا لصاحب فأطلست أنكم تورمت قومكم كنا تواري، وكان أحسن من الذي صنع أن تغوب أن تضركم أرباب بعض وأن هذا الأمر لا يستفيم فكم فلم نصمه، والأنكما ولكن دعوتوني. اليوم علت أن أمركم مضاء وأنكم مغولبون وأن ملككم لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول».

(1) الغلطة: عشر ميل، حوالي 185 مترًا.
(2) الطرية 3/4 من حيث ابن إسحق.
(3) نشوء: زغدوه، ووضع الرجل: ضربه ضربة غيبة مبرح. تتر الشيء: حرصه.

109
وإذا كان المغيرة يعرف الفارسية حينذاك فهو لم يظهر معرفته بها فكان الترجمان يترجم مقالته. قال له المغيرة:

"ه ويكف يا عبود. أنت رجل عربي فأبلغه عن إذا تكلمت كما تكلفتك

" عليه.

بينما قالت السفينة من الجوسي: "صدق والله العربي".
وقالت الدهاطنين: "والله لقد رمي بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه".
قال الله أولاً لنا، ما كان أحصين حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمه، من الطبيبي حين تفقد أمارة حربة التعبير أن تميل إلى سماع ما يذيعه أعداؤها لا سيما إذا كان حقاً. وأراد رستم أن يحت في آثار ما حديث فقال وهو يزاحم:

" يا عربي إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك فتتراخي عنها خفاية أبت يكسرها حال ينبغي من ذلك فالأمر على ما نحب من الوقاية وقبول الحق".

ثم أشار إلى السهام التي موجه وقال:

" ما هذه المغازل التي معك؟ لا تروا أن هذه المغازل تفتي عنكم شيئاً".
قال: "ما ضر الجرئة ألا تكون طولية".
ثم رماهم كما فعل ربيعي في أمسه الأول.
قال رستم: "ما بال سيئك رئا".
قال: "رث الكسوة حديد المضربة".
ثم عاطفه سييفه لبراه.
قال رستم: "تكلم أم أتكلم؟".
قال المغيرة: "أنت الذي بعثت البينا فتكلم".
وتكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وطوله وقال:

" لم نزل متمكنين في البلاد ظاهرين على الأعداء أشراً في الأمم فليس لأحد من الملوك مثل عزنا وشرفاً وسلطاننا، ننصر على الناس ولا ينصرون

(1) من المعروف أن سهام الفرس كانت طويلة وكافوا يسمعونها فتانياً.

110
عليّنا إلا اليوم واليومين أو الشهر والشهرين للذينوب، فإذا انتقم الله فرضيّ ردَّ الينابيع وجعلنا لعذابنا شر يوم هو آت علينا. ثم لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم. كنتم أهل قشف ومعيشه سبتة وشقاء وجهد. لا نراك شينا ولا نعدكم، وكنتم تانوناً من بين تاج وأجهر ووفاء، وكنتم إذا فحتت أرضكم وأصابتم السنة استغفتم باحثة أرضنا فتأمر لكم بالشيء من التمر والشِيْر ثم نردكم.
فأكلتم من طعامنا وشربتتم من شرابنا واستطلعتم من ظلالنا، فذهبتم فدعتم أصحابكم ثم أتيمتوهم، وإنما نظركم مثل رجل كان له حائط [بستان] من عنبر فرأى فيه ثعلباً واحداً فقال: ما تعلم واحد، فانطلق الثعلب فدعه الثعلب إلى الحائط فلم يجتمع فيه جاء الرجل فسد الجهر الذي دخل منه فتم قتلهم جميعاً.
وقد علمنا أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهاد في بلادكم، فارجعوا علينا عامكم هذا فإنكم قد شغلمونا عن غارة بلادنا وعن عدوتنا ونحن نوفر لكم ركابكم (1) حفا وترضا، فاننا أمر لميرككم بكسرة وبلغ وألف درهم. وأمر لكل رجل منكم يوفر ثم وصولين وتنصرفون عننا فإن لست أشتقي أن أتقلنكم ولا أسركم، فارجعوا علينا عافاكم الله!»
وتكلمت المغيرة بن سهيلة فهم الله وأثنى عليه وقال:
»إن الله خالق كل شيء ورازقه فمن صلى شيناً فإنما هو يصنعه والذي له. وأما الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك من الأدعاه وتمكنت في البلاد وعظم السلطان في الدنيا فنحن نعرفه ونسنا نكرره، فذاك صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم.
وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال وضيق المعيشة واختلاف القلوب فنحن نعرفه ونسنا نكرره، كنا في مثله أو أشد منه، نفضلنا في أنفسنا عيشاً.

(1) أي نحمل لكم ركابكم. والوقت: الجمل الغليل.
الذي يقتل ابن عمه ويأخذ مسالة فخاكة، يأكل المثل والدم والعظام، والله
ابتنائنا بذلك وصيّرنا إليه والديننا دوّل، ولم يزل أهل شدائده يتوقعون
الرحمة حتى يصبروا إليه، ولم يزل أهل رحائبها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم
ويسبروا إليها.

ولو كنت في آثاركم الله ذوي شكر كان شكركم يقصر لما أودتكم وأسلكم
ضعف الشكر إلى تغيير الحال. ولو كنت فيه أبتناب به أهل كفر كان عظيم مما
تناجب علينا مستجابا من الله رحمة ٍفَرَّف بها عنا، ولكن الشأن غير ما تذهبون
ليه أو كنت تعرفوننا به.

إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولنا وأنزل عليه الكتاب، فدعانا إلى الله
وإلى ما بعث به فصدقنا منه مصداق وكذب منا آخر، فقتال من صداق من كذبه
حتى دخلنا في دينه من بين موقن به وبين مثور حتى استبان لنا أنه صادق
واهله رسول من عند الله. فأمرنا أن نقتال من خالفنا ...،
حتى قال: ... فكان ما رزقنا الله على يديه حيلة تثبت في أرضكم هذه،
فلما أذقناها عيانا قالوا لا صبر لنا عنها فجئنا لتنعمهم أو نموت.
قال رستم: إذا تموتون أو تقتلون.
قال المغيرة: إذا يدخل من قتل منا الجنة ويدخل من قتلى منكم النار
ويظهر من بقي منا بن يقي منكم. فنحن نختبرك بين إحدى ثلاث خيال،
إلى الإسلام ولكم فيه ما لنا وللكم فيه ما علينا، ليس فيه تفاوض بيننا
أو الجزاء عن يد وأنتم صاغرون ...،
فلما يفهمها رستم فقال: ما صاغرون؟
قال المغيرة: أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدنا بالجزية يحمده أن
يقبل منه، وإن احتاج البنا لملك. فكن لنا نعذب تؤدي الجزية عن يد
وانت صاغر وإلا السيف إن أبت. والإسلام أحب البنا منها،
فاستشاط رستم غضبا وقال: ما كنت أظن أن أعيش حتى أجمع منكم
هذا المعشر الغرب، وخرج عن ما ينبغي أن يكون من أخلاقيات سادية الدول

١٥٢
وما يجوز من مستوى التفاوض بين الأمم فينط إلى مستوى السوقة والدهماء،
وغير خنجر، ثم نسي أحلامه تتبعه فحلف بالشمس.
"لا يرفع لكم الصبح غداً حتى أفرغ منكم وأقطعكم أجمين. لا صلح بيننا
وبينكم"

وخرج المغيرة من مجلس رستم، فلما صاروا وحدهم قال لهم رستم:
"أين هؤلاء منكم؟ ما بعد هذا؟ أم يأتيكم الأولان فسراكم واستحرجاركم؟
ثم جاءكم هذا فلم يختطفوا وسلكو طرفاً واحداً وأزدوا أمرًا واحدًا. هؤلاء
والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين. والله لئن كان بلغ من إديهم وصونهم لسرهم
أن لا يختطفوا فا قوم أبلغ فيه أرادوا منهم. لئن كانوا صادقين ما يقوم طولاء
شيء ".
فلحوا وجدوا، قال: "والله إن لأعلم أنكم تصفون إلى ما أقول لكم وإن
هذا منكم رثاءً.
فازداوا لاجأة.
وأرسل (1) رستم مع المغيرة رجلاً وقـال له إذا قطع القنطرة ووصل إلى
أصحابه فناده: "إن الملك كان منجماً قد حسب لك ونظر في أمرك فقال إنك
غداً فثقاً عينك، فقال له الرجل ذلك.
فقال المغيرة: "بشرتي بخير وأجر ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشبعكم من
الشرك، لأن الأخرى ذهبت أيضاً".
فرآهم يضحكون من مقالته ويتبعون من بصيرته. ورجع الرجل إلى
رستم بذلك.
فقال رستم: "أطيعوني يا أهل فارس وإني لأرى الله فيكم نفحة لا تستطيعون
ردها عن أنفسكم".
وكانت خيول الفرس تتحرش بخيول المسلمين، تلتقي على القنطرة لا تلتقي

(1) الطبري ٣/٢٤٤ م عن النضر بن الرقيف عن أبيه.
(القادسية - ٨)
إلا علىّا، الفرس يدؤون والمسلمون يمسكون عنهم الأيام الثلاثة لا يدؤونهم. ولكن يصدرونهم ويردونهم.

ساعٌ الوُفُد

ثم بعبث سعد إلى رسمٍ (1) بقية ذوي الرأي فها عدا ربعًا وعذيفة والمفرة. فكانوا ستة، خرجوا حتى جاءوه. فقالوا له: هٌو أُمِّي فأوْلَى يقُول لك إن الجوار يحفظ الوُلادة، وإني أدعوكم إلى ما هو خير لنا ولا غالب، العافية أن تقبل ما دعاء الله والله وترجع إلى أرضنا وترفع إلى أرضكم ويعضنا من بعض إلا أن داركم لكم وأمرككم فيكم، وما أصبتم مما وراءكم كان زيادة لكم دوننا وكن لكم عنوننا على أحد إن أردكم أو قوي عليكم. واتق الله يا بسم لا يكون هناك قومكم على يديك فإنه ليس بينك وبين أن تغبط به إلا أن تدخل فيه وتطرد به الشيطان عنك.

قال رسم: "إني قد كنلت منكم نفراً ولا أنتم فهموا عني رجوت أن تكونوا قد فهمتم. وإني الأمثال أوضح من كثير من الكلام، وسأضرب لكم مثلكم تبصروا..."

إنكم كنتُم أهل جهد في المبحة وقَأَشَف في الهمة، لا تنحنون ولا تنتصفون. فلم ينسوا جواركم ولم يُدْعِ المواساتكم، تقتلونن المرة بعد المرة فنحمركم [فونكم] ثم نردكم، وتأثروا أجراء وتجارأ فنحمر لكم.


---
(1) الطبري ٣ / ٥٢٥. ٥ س س عن محمد وطغلة وزيد.
(2) يقصد يوم الجسر. الطبري ٣ / ٥٢٦. ٥ س س عن عمار بن سعدة اللفتة الضي عن رجل من بني ربيعة شهدوا.
فلا تطاعمنا بطاقتنا وشربوا شرابنا وأظفروا ظناً وصفتم قومكم فدعاوهم،
ثم أتبعتمهم. وإذا ملككم في ذلك وقلتما كمثل رجل كان له كرم فرأى فيه
ثعلباً فقال وما تعلب! أفانطلق الفيلب فدعا الناس إلى ذلك الكرم ففعلوا
عليه سدّ عليهن صاحب الكرم الجير الذي كن يدخل من منه فتقلين. إنما ملككم
مثل ثعلب دخل جحراً وهو مهؤزل ضعيف إلى كرم فكان فيه ياكل ما شاء الله
فرآه صاحب الكرم وأراه ما به فرحه، فاما طال مكتبه في الكرم سمن
وصلتب حاله وذهب ما كان به من الهزاز أشر فجعل يبعث بالكرم ويفسد
أكثر مما يأكل. فاشتقت على صاحب الكرم فقال لا أقدر على هذا من أمر هذا،
فأخذه له خشية واستعان عليه فذاب له وجعل يراوحوه في الكرم فرأى
أنهم غير مقتلين عنه ذهب ليخرج من الجير الذي دخل منه فنشب، استغله
وجوه ذو مصلنة وهو سمين. فها، وهو على تلك الحال صاحب الكرم
فلم يزل يضربه حتى قتله. وقد جئتم وأنتم مهبل وفقد سلمتم شيئاً فانظر وا
كيف تخرجون!

ومن أمثالكم فيا تصفون مثل جرذان أسقط جرة فيها حب وقطرة تقبء،
فدخل الأول فأقبل فيها وجعل الآخر ينكل منها ويرجع ويكملها في الرجوع
فيا، فانتهى سمن الذي في الجرة [أي بلغ نهاية السمن] فأشا تقى إليه
ليزى خس حس حاله فاضقل عليه الجير ولم يطغ الخروج فشك القلق إلى أصحابه
وسألهم المخرج. فقل له ما أنت خارج منها حتى تقوم كما كنت قبل أن تدخل
ففَكَّهِ ووجَعَه نفَّس وغي في الخوف حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أيّ
عليه صاحب الجرة فقتله. فأخرجوا ولا يكون هذا لكم مثال.

إن رجاء وضع ملاك وجعل طعامه في فوتأت الجرذان فخرجوا سله فدخلوا فيه
فأراد سده قبل له لا تفعل إذا الخروج، ولكن ألقى جباله ثم اجع في قصة
موجزة إذا جاءت الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها فكلما طل علّيكم
جرذان قتلتموه. وقد ساعدت عليكم فذاكم أن تقتموا القصبة فلا يخرج منها أحد
إلا قتل.
وما دعوكم إلى ما صنعتم ولا أرى عدلا ولا عدلا؟

لم يخلق الله خلقًا أولى من ذنب ولا أضر أما خلقكم يا مشر العرب، ترون الهلاك وبدليكم فيه العلم. وأضروا لكم مثلكم. إن الذنب إذا رأى العمل طار وقال من يوصياني اليه وله درهمان حتى يدخله لا يندهبه أحد إلا عشاء، فإذا دخله غرق ونشب وقال من يخرجني وله أربعة درهم.

وقد علمت أن الذي حملكم على هذا الحر والعبد، والجهد فارجعوا عنا عامكم هذا وامترموا حاجتكم ولكم العود كلما احتاجتم، فإن لا أشبه أن أقتلكم».

فرع رسول من ثورته العقيمة وأجابه (١) الوفد فقال قائلهم:

«أما ما ذكرتم من سوء حالتنا في مضى وانتشار أمنا [عدم اجتماعه] فننا تبلغ كنها. يموت الميت منا إلى النار ويبقى الباقى منا في نسى، فينابون في أسوأ ذلك بعث الله فينا رسولًا من أنفسنا إلى الأنس والجن، رحمة رحم بها من أراد رحمته، ونفقة نتقتم بها من رد كرامته. فبدأ بنا قبلة قبيلة فلم يكن أحد أشد عليه ولا أشد إنكارًا لمجاها به ولا أجهد على قتله ورد الذي جاء به من تومه ثم الذين يقولون، حتى طابقناه على ذلك كلنا، فنصبنا له جمعًا وهو وحده فرد ليس معه إلا الله تعالى فأعطي الظهر علينا، فدخل بعضنا طوعا وبعضنا كرهًا ثم عرفنا جميعا الحق والصدق لما أتانا به من الآيات المعجزة، وكان ما أتانا به من عند ربي جهاد الآمنين فسأمتنا بذلك فيما بيننا نرى أن الذي قال لنا ووعدنا لا يخسر عنه ولا ينقص حتى اجتمعت العرب على هذا، وكانوا من اختلاف الأرأى فيها لا يربط الخلايل تأليفهم.

ثم أتيناك بأمر ربكنا نجاهد في سبيل وتسنف، لأمره وتنجز موعده وندعوك إلى الإسلام وحكه، فإن أجبتموك أولكم ورجعنا، وخلفنا فيكم كتاب الله، وإن أبقتم لم يحل لنا إلا أن نعتديكم القتال أو نقتدوا بالجزي.

(1) الطبري ٣ / ٢٨٠ س ش من عن صحيح وطليعة بإسنادها وزيد معها.
[الجزيرة]. فإن فعلتم ولا فإن الله قد أورثنا أرضكم وأبناكم وأموالكم، فاقبلاً نصيحتنا، فوالله لإسلامكم أحب لنا من غنائكم، ولقتلكم بعدٌ أحب لنا من صلحكم.

وأما ما ذكرت من رئائتنا وقلتنا فإن أدانتنا الطاعة وقانتنا الصبر. وأما ما ضربتم لنا الأمثال، فإنكم ضربتم للرجال والأنهار الجسام وللجد الهزال. ولكننا نضرب مثلكم. إنها مثلكم مثل رجل غرس أرضًا واختار لها الشجر والجب وآخري إليها الأنهار وزينتها بالقصور، وأقام فيها فلاحيين يسكنون قصورها ويقومون على جناتها. فخلا الفلاحون في القصور على ما لا يحب وقيد الجنة بفضل ذلك، فأطال نظرتهم. فاما لم يستحبوا من تلقاء أنفسهم استحبابهم فكلبواً، فدعوا إليها غيرهم وأخرون عنها فكان يذهبوا عنها تخطفهم الناس وإن أقاموا فيها صاروا خولاً فولا. يكلونهم ولا يلفكون عليهم فسوسهم الحسف أبداً.

ووالله إن لم يكن ما نقول لك حقاً، ولم يكن إلا الدنيا ما كان عما ضررنا بهمن الذين عيشكم ورأيناه من زنير حكم من صبر وققررناكم حتى نغليكم عليه.
نهاية المفاوضات

إلى هنا وقد جاءت هذه المفاوضات إلى نهايتها. وفي الواقع أنه لم يكن لأي مراقب أن يتوقع لها منذ البداية غير هذه النهاية.
قال رستم: "أتعبرون الينان أم نعبر اليكم؟"
قالوا: "بل نعبرون الينان".

وخرجوا من عندنا فرحاء، فأرسل سعد إلى وحدات المسلمين أن يقفوا مواقفهم. وأرسل إلى رستم يسمح له بالعبور ويقول له:
"شانكم والعبور".

وبدأت جموع الفرس تتجه نحو القنطرة لعبورها، وكان سعد في مقدمها الطويل. ووفق القادسية قد اعتزم أن يحتفظ في يده بهذه القنطرة لأهميتها البالغة. فهي خرجت سهل للمجوس حين تدور عليهم الدائرة لم يشا أن يتركها لهم حتى لا يتاح لهذا الجيش الضخم أن ينسحب إلى مواقع أخرى فيصلد في معارك ثانية.
المطلوب إبدا هذا الجيش - أو إبدا أصغر ما يمكن منه - لا مجرد دفعة إلى الوراء. الهدف تجميد القوة العسكرية لفيسفار لا أكتساب قطعة من الأرض، فإذا أبدى هذا الجيش افتتاح الأرض من ورائه، أما اكتساب الأرض مع بقاء الجيش سليماً فإنه يكرر في هجاء مضادة مرة بعد مرة ما دام متائكة سليماً. كذلك رسم عمر خطته، ولقد مر بنا فيا كتب إلى سعد د... ثم الزم مكانك.
 فلا تبره فإنه إذ أحسوك أنفسهم بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدهم يجدوه فإن أنتم صبرتم لعدكم واحتسابتم لقتاله وثوينيهم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا ولا يست معهم قلوبهم ... وفي رسالة أخرى ... فإن منحك الله أدارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتسم عليهم المداين فإنه خراباً إن شاء الله. هذه عبقرية الحرب للخليفة ومن واجب قائد الميدان «النيل مارشال». أن ينفذ هذا وتحققه، وإذا فلن يترك لهم القنطرة وقد استحوذ عليها.

فأرسل سعد إلى العجم رداً على إرادتهم عبر القنطرة يقول:

«ولا كرامتي، أما شئت فقد غلبتكم عليه فإن نرد عليكم، تكونوا معبراً غير القنطرة.»

فبات الجوع يردموان المتقى(1) بالزرع والتراب وبالقصب [البوص والغاب والكيبات] وبراذع رواحلهم وأمعتهم طوال الليل حتى الصباح فجعلوه طريقاً واسعاً منبسطاً واستمتمهم بعدما ارتفع النهار من اليوم التالي. كان ذلك أمام قديس قصر القادسية وحصناً.

(1) يبدو أن الشهر كان يذهب متحدي خال من الماء كما ماتة آخر تلك المنطقه في الصيف.
الباب السادس
أرمان
المهيب 12 شعبان 15 ـ 19 سبتمبر (أيلول) 626 م

عبور
تام رستم وراح الأنابع من جيشه يردمون العنق. ومع أصوات المعالل
أغفى رستم فحاودته أحلامه ورأى ذلك الحلم المتكرر. رأى ملكاً ينزل من
السياء فأخذ قريق أصحابه فيختم عليها ثم يصعد بها إلى السيا. فاستيقظ مهموماً
mعوزنا ودعنا خاصته فقص عليهم ما رأي ثم انفعل فقال:
ه إن الله ليعظنا لو أن فارس تكوني أتعظ! أما ترون النصر قد رفع عنا
وتردون الريح مع عدونا وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطق، ثم هم يريدون
مغالبة بالجريبة [بالإرغام].
ثم شرعوا يعودون العنق بثقافهم حسب تعبثهم فرقة وراء فرقة، كما
عبرت فرقة أخذت (1) مواقعها وصفت صفوياً.
وتأتي رستم جانباً هواجه وتشاؤه وعمل بالواجب عليه من الظاهر بـا
يلقب بقائد شجاع يستعرض لياقته ورفصه، فأمر بقسمه فأسرج وأتى به اليه
فوت فرقة فإذا هو عليه لم يمسه ولم يضع رجله في الركاب.
ثم قال: "غداً ندقم".
قال له رجل: "إن شاء الله".
قال رستم بكل كفره: "وإن لم يشا! ـ إذا ضغا العلب حين مات الأمد

(1) الطبري 3/279: "سن ش Bush عن محمد وطلمة وزياد ومروه بإسنادهم.
(2) 3/279: "عن الأعشى.

123
يدكرهم بموت كسرى برويز - قد خشيته أن تكون هذه سنة القرود.

ونصب لرستم سرير أمام العنق وضرب عليه طيارة [نظف سراذنها مفتوحاً أو على مظلة تصفق الرياح أطرافها] وجلس رستم على هذا السرير يباشر إشرافه على تعبئة جيشه ووضع فرقته في أماكنها وصف صفوفها. ونصبت إلى جوار رستم على يمين سريره راية فارس الكبرى [درس كابمان] على خشب موصولة طولًا (1). كان مع رستم في هذا الحشد ثلاثة وثلاثون فرقة جملة في القلب ثمانية عشر وثلاثية وفي الميسرة سبعة وثلاثة على الصناديق في الرجال. وجعل في الميمنة مثمانية أقيال وفي الميسرة سبعة وكلاً على الصناديق في الرجال. كان المدائن عددًا بعدد تعصره وليس فيه مجال لمقدمة ومؤخرة. كان هرمزان على ميمنة رستم فوضع قوات المقدمة عليها جالوس بينها. وكانت مهران على ميسرة رستم ورستم يبرزان وقواته من الطلائع بينها. وخشى رستم أن يترك المسلمين فرصة الانتفاض من وراء العنق فوضع خيلًا من وراء القنطرة حيث كانت خيل المسلمين أمامها في فيه القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين والمجوس كل منها تغلقها على الطرف الآخر.

سلاج الإشارة

أما عن الاتصال بالمدائن فقد وضع له يُدجرد نظامًا جديدًا مستحدثًا بذلك من نظام البريد التقليدي، فقد بدأ بذلك من يوم يُبعث رستم من المدائن، فقد وضع ملف على باب إيران وأمره بالزوم مكانه ذاك فلا يبرحه ووضع رجلاً آخر من الدار حيث يسمع الرجل الأول الذي على باب الإيران، وثالثًا خارج الدار حيث يسمع الرجل الثاني وهكذا على كل دعوة (1) وهي مسافة السمع. فما نزل رستم بسابقات الذي بها فقد نزل، فأعدها الذي يليه يبلغ بها الذي يعده وهكذا حتى قالهم الذي على باب الإيران، وهكذا كان كلاً نزل من باب عدة الحرب.

(1) ذكرناه بإفادة في الجزء الأول من «الطريق إلى المدائن» ص 99 فصل الأعلام والروايات.

144
رسم أو ارتحل أو حدث أمر صاح به الذي عنه ثم الذي يلبه حتى تبلغ من باب الإيوان، فنظم ما بين المقاب الكبير والدائين رجال وأدرك نظام البريد. هذه الطريقة التي كان عليها أن تغطي مسافة تبلغ حوالي 250 كيلومتراً بين القادسية والدائين تقدر أنها كانت تحتاج إلى حوالي 2000 ألفين [ من الرجال ذوي السمع الحاد والعقير عالية]، ونقدر أن اللمحة الدقيقة من أربع كلمات كانت تصل من القادسية إلى الدائن في حوالي أربع ساعات في حين كان يصل البريد في حوالي ثلاثة أيام.

هذا في حين كان سعد يعتمد في اتصاله بعمر على أن يبعث إليه كل يوم بردة.

وكان الناس في كافة شبه الجزيرة فإن بين العداب إلى عدن وفياً بين الأيلة والعقبة [ يتبعون باهتة باللغ ما يكون من أمر القادسية حتى أن كان الرجل ليبرد الأمر فيقول لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون من أمر القادسية]، وكان عمر يخرج كل يوم حتى يصبح حتى ينتصف النهار يستغبر الركاب على أهل القادسية.

مصافى

وأخذ المسلمون مصافى فأدخل سعود المقدم وزهرة بن حويه التميمي، وكذلك المؤخرة وعلى عاصم بن عمرو التميمي في الوسط بين ميمنة عبد الله بن العتم وبين ميسرة شرحبل بن السمط. وك ول الطوارق [ المبارزة ] إلى صاحب الطلائع سواد بن مالك الأسدي، وشغيل المسافات والفجوات فخلط بين الجند في القلب والمجنات. ونادي منادي سعود في جيشه:

ه ألا إن الحس لا يجل إلا على الجهاد في أمر الله يا أيها الناس، فتحمسوا وتفغاروا على الجهاد.

(1) الطبري 3/ 583 ش عن عبد الله بن مالك وطلحة.
(2) « 3/ 583 عن مالك بن سعيد.

125
سعد هريش

رأينا فيها سبق أهميّة القائد العام في المعركة. ولقد اعتاد المسلمون دائمًا أن يجدوا بينهم في صورة جوادها كواحد منهم. كذلك كان خالد، وكذلك كان النعمان والفقعاء، وعاصم والأقرع وغيرهم. أما اليوم فقد تحالفت الأمراض والأدواء على وصفها، فلم يستطيع أن يركب ولا أن يجلس فاعتقل القصر وأكف عن فقهه.

وسادة في صدره تشرف على الناس، وأسفل منه في الميدان خلفته خالد بن عرفطة يرحمه الله من أعلى بالرفوع فيه أمه ونهيه. وكان آخر صفوء المسلمين إلى جانب القصر.

شفب والفرس في مصافه، والمسلون في صفوفهم، ومن الجواد أن تبدأ المعركة في أي لحظة بأمر يصدره قائد أي من الفريقين اختلف الناس على خالد بن عرفطة.

وكان من شعبه عليه وأعرض قوم من وجهة الناس.

ورأى سعد أن الأمر لا يتحمل هذا وأنه يحتاج إلى حزم.

فقال: "احموني وأشرفوا بي على الناس".

----------

(1) عرق النسا مرض يطلق على إصابة عصب الطرف السفلي الأسفل وهو Siatic nerve.

يتكون من الأعصاب القطنية والجمجمية التي تبدأ في أسفل العضود الفقري وتتجمع وتكون العصب الذي يشتد لبعض الوقت على جانب العضود الفقري في أعلى الخذ الأيمن خلف عظمة الحوض ويأخذ مجرى خلف الفخذ وخلف بطن الرجل ثم إلى أسفل القدم. فإذا أصاب هذا العصب فإن المرض يحدث بالصدأ يبدأ من أسفل العضود الفقري في الظهر إلى خلف الفخذ والساق، يصاحب الام ألم الحركة والمشي ويفتقر عند النوم على الظهر دون حرارة.


(2) الطبري 3 / 530 من شمس عن عمرو وردحلة وزيدان بإسنادهم.

3 / 531 " عن القاضي بن الوليد الهذلي عن أبيه عن أبي نواس.

3 / 573 عن ابن جعفر عن سلمة عن ابن سحقي عن وهب بن كيسان عن

عبد الله بن الزبير.

136
فأرتقوا به فأكثب على وجه مظلمًا عليهم وصفهم أسفيل حائط قدياٌس.
فخطبهم وقال : ١٠٠ أَمِّي وَاللَّهُ لُوكَ أَنْ عَدوُّكُم بحشركم جعلتمكم نكلاً
لفركم. ثم أمر بالمشاغبين فحبسوا، وكان من حبس أبو محنث الثقفي، حبسهم صدع
وقيدهم في القصر.
قال جربير بن عبد الله الباجي يؤزر سعداً: "أما إلى بايعت رسول الله صلى الله عليه
على أن أسمع وأطيع من ولاد الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً.
وقال سعد : "ولله لا يعود أحد بعدا بحسب المسلمين عن عدوهم وشاغلام
وهم بإيامهم إلا سننت سنة يؤخذ بها من بعدي."
سكن الناس بعد ذلك والزموا الطاعة فخطبهم صدع. حمد الله وأثنى عليه
ثم قال:
"إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَلَكِ وَلَا لِقُوَّتِهِ خَلِيفُ.
قال جل يثنياً، ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرشها عبادي
الصالحين.
إِنَّ هَذَا مِيراثكم وموعود ربككم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجيج، فأنتم
تطعمون منها وتأكلون منها وتقاتلون أهلها وتجيبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم
بما ثال منهم أصحاب الأيام منكم.
وقد جاءكم من هذَا الجمع، وأنتم وجه العرب وأعيانهم وخير كل قبيلة
وعز من ورائهم، فإن تزهدوا في الدنيا وترغبو في الآخرة جمع الله لكم الدنيا
والآخرة ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله، وإن تفشاوا وتهنوا وتضعفوا تذهب
ريحكم وتوبوا (١٠٠ آخرينكم).
وكتب سعد إلى الرايات:
"إِيٌّ فَدِ قُدْ استخلقت عليكم خالد بن عرفة ناطقة. وليس ينفعني أن أكون
(١) الطبري ٣/٣١٠ السري عن شبيب عن سفي عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم.
مكانه إلا وجيبي الذي يعودني وما بي من الحبون. [ الحبون والدمام. ] فإني مكب على وجهي وشخصي لكم باد فاسمعوا وأطيعوا فإنيا بامركم بآمرٍ وبعمل برأي.]

وقرى هذا النشور على المسلمين فزادهم خيراً وانتهوا إلى رأيه وقبلوا منه وتجاروا على السمع والطاعة وأجمعوا على عذر سعد والرضي بها صنع.

الحماس للمعرفة

ورجع أمير كل جند إلى موقفه من أصحابه وخطب أمير كل قوم أصحابه وتحاضوا على الطاعة والصبر وتواصلوا.

قال عاصم بن عمرو: "في الجردة فقال: 'إن هذه بلاد قد أحل الله لكم أهلها وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين ما لا ينالون منكم وانتم الأعلام والله معكم إن صبرتم وصدفتمه الضرب والطعن فلكم أمواكم ونسائكم وأبناءكم وبلادكم.

وإن خذهتم وفضلتم والله لكم من ذلك جار وحافظ لم يبق هذا الجمع منكم باقية خفافة أن تعدوا عليهم بعائدة هلاك الله جميع. اذكركم الأيام وما منحكم الله فيها. أولاً ترون أن الأرض وراءكم بسابس قفار ليس فيها خطر [ عطاء ] ولا وراء رمع اليه ولا يمنعه به؟ اجعلوا الآخرة هكيم".

عبر المجوس نهر العقيق وعبر رستم ثم سار فنزل بين الحصن والمعيق وقاد وافقيهم ومؤذن سعد يؤذن لصلاة الغدأ. وقد كان رستم حين نزل النجف بعيينا منهم إلى معسكر المسلمين بالقادسية فانغمس فيهم كواحد منهم ولا بد أن ذلك العين كان من عرف العراق ولم يكن من الفرس - فرأوه يستانون عند كل صلاة ثم يصرون فيفرقوه إلى مواقفهم، فرفع الله فأخبر به بخبرهم وما

(1) الطبري ٣ / ٢٩٥ السري عن شبيب عن سيف عن حبان عن مسعود

(2) " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " 

128
رأى من سيرهم حتى سأله ما طعامهم، فقال: «مكبت فيهم ليلة، لا والله ما رأيت أحدًا منهم يأكل شيءًا إلا أن يموز عيدانياً لهم حين يمسون وحين ينامون وقيل أن يصبحوا».
فما أذن مؤذن الغدابة رآهم رستهم يستكونون فنادي في المجوس أن يركبوا.
قال: «وإيب؟»
قال عليه ذلك: »إنما تحشيشهم هذا للصلاة«.
فقال رستهم: »بابا سهان مر أنشد [وعنها أثاقي صوت بالغدابة - بقصد الاذان] أكثر كبدى أحقر الله كبده. وإني هو عمر الذي يحكم الكلاب فيهم المقلق، علَّمهم هؤلاء حتى (١) علموا».
وأرسل سعد إلى الذين تنتهي لهم آراء الناس مثل التنف الذي أتى رستم: المغيرة بن شعبة وحذيفة بن مخضص وسر بن أبي رم وعوفة بن هريرة وربيعي بن عامر وقريفة بن زاهد ومذكور بن عدي والمضارب بن يزيد ومعبد بن مرة، وإلي أصحاب النجدة مثل طلحة بن خويلد الأسدي وقيس بن هبيرة الأسدي وغالب بن عبد الله الليثي وعمرو بن معدي كرب الزيدى وأمثالهم، وإلي الشعراء مثل الشماخ بن ضرار والخطيئة وأوس بن مغراء وعبدة بن الطبيب، وإلي ذوي الفضل منهم من سائر الأصناف فأرسلهم إلى المسلمين في مواقفهم وقال لهم:
وانطلقوا فقوموا في الناس بما يجتمع عليهم ويخلق عليهم عند مواطن الناس فإنكم من العرب بالمكان الذي أنت به، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدهم وسادتهم فسيروا في الناس فذكرواهم وحرضوه على القنال.
فساروا في المسلمين بما كلفوا به.
قال قيس بن هبيرة الأسدي: »أما الناس احذوا الله ما هداكم له وأبلاكم

(١) الطبري ٣ / ٤٣٧ /٣٥٩ـ« عن حرام عن مسعود.
(٢) ٣ / ٤٣٧، « عن النضر بن الرفيق.
(القادسية - ٩)
يا داودكم، واذكروا آلاء الله وارغبوا إليه في عادته فإن الجنة أو الشياطين أمامكم، وإن لم تسحره هـذا القصر إلا الخمر والأرض القفر والظُهراب (11) الخسر والفلات التي لا يقطعها الأداة.

وقال غالب بن عبد الله: "أما الناس أمجد الله على ما أبلاكم وسلوه يذكروا معاً معكم وابتهجوا بكم، يا معاشر معده ما عشمتكم اليوم وأنتم في حصنكم [ يعني الجبل ] ومعكم من لا يعصيكم [ يعني السوف ]، واذكرنا حديث الناس في غد فإنه بكم غداً، ابدأ عنده، بم يبدع يبدع، يبدع.

وقال ابن الهذيل الأسدي: "يا معاشر معده أجعلوا حصنكم السوف وكونوا عليها كأسود الأحمر وتردوا لهم وترذي النمور، واذرعوا العجاج ونظروا إلى الله، وغضوا الأبصار، فإذا كت السوف فإنها أمومة، فارسلوا عليهم الجنادل [ الحجار ] فإنهما يؤذن لها فليس له نذور فيهما.

وقال بسر بن أبي ريم الجحشي: "أحمده الله وصدقوا قولكم بفعل فقد خدمت الله على ما هداكم له ووحدتوه ولا إله غيره وكبرتوه وآمنتم بنبيه ورسله فلا تؤمن إلا وأنتم مسلمون، ولا يكون شيء بآهن علىكم من الدنيا فإنها تأتي من ماء يبزها ولا تقياها فتنهب منكم، لعمل بك وانصرفوا الله ينصركم.

وقال عاصم: "يا معاشر العرب انكم أعينا العرب وقد صدتم الأعيان من العجم، وإنما تخاطرون بالجنة، وخاطرونا فإنها، فلا يكون على دنياكم أحواط منكم على آخركم. لا تحصدوا اليوم أمرًا تكونون به شيئًا على الدنيا. وصدتم: قدتم.

(1) ظراب جمع ظرب وهي الرابية الصغيرة. والخش التل.
(2) المجاج الغبار، والدخان أيضاً. والمجاج كل ذي صوت من قوس وريح وتقوه.
(3) الخطر السباق الذي يتراهن عليه. خثار الصحاح، يعني تشSalvarون على الجنة ويسابقون على الدنيا. وصدتم: قدتم.
وسارعوا إلى مفرقة من رجلكم وخمسة عرضها السهول والأرض أعدت لمقت音箱 وإن عظم الشيطان عليكم الأمر فاذكرؤا الأخبار عنكم بالمواسم ما دام للأخبار.
أهل !
وقال ريمي بن عامر: إن الله قد هدمك للإسلام وجمع به وأركزي الزبادة.
وفي الصبر الراحة، قوادوا أنفسكم الصبر تعتمدا، ولا تعودوا الجزء فعتمدا.
وقام كليم بمله هذا الكلام وتوأقي المسلمون وتعاهدوا واهتناجوا لكل ما كانت ينبغي لهم. وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك وتعاهدوا وتوأصوا واقتراوا بالسلام. وكان المتوجون في صفوف الفرس ثلاثين ألفاً.

أوضاع الجيشه:
وقد نظم رستم جيشه في الميدان كلًا كي:
١٣٠٠٠٠ مقاتل [بصرف النظر عن التبع] معهم ٣٠٠ فيلة [بصرف النظر عن ثلاثة أفيل]] للملاك لا تقاتل]، مع كل فيل ٤٠٠ مقاتل [بصرف النظر عن ثلاثة أفيل]] للملاك لا تقاتل] على حافة الفاتحة، المشاة في الخلف والأفيل أمامها وأمام الأفيل الفرسان، ثم كانت تعبثهم كما أوضحنا في الخريطة (ص ١٣٠). وهي كالتالي:
هرمزان على الميمنة ٧ أفيل ١٤٠٠٠ فرسان ١٤٠٠٠ مشاة جند.
ahraw.
جالوس على يساره ٥ أفيل ١٣٠٠٠ فرسان ١٣٠٠٠ مشاة جند الباب.
بهم في الوسط ٥ أفيل ١٠٠٠٠ فرسان ١٠٠٠٠ مشاة جند همدان.
بيرزان على يساره ٦ أفيل ١٢٠٠٠ فرسان ١٢٠٠٠ مشاة جند ناوند وسجستان.

(١) الطبري ٣٥٠ س ش س عن مجالد عن الشم.
مهاجرة على المسيرة - 6 أشواط 13000 فرسان 12000 مشاة - جند الري، والجبل، وكان سير رسم وطبارته وإيبله ريا فارس الكبري (دربش كابان) يقع
في قطاع بين جاذوبية.
وكان صم المسلمين مع حائط قدس، والجندة (1) من مراهم، وكانت تعشنهم كأوضحها في الحرية (ص.1301)، وكان عامة ما ينقرن به البراجع - براغوا الحبل - وقد أعرضوا فيها الجريد يقرون بها عن أنفسهم، وعصب من لا يكين له وقائرة رؤوسهم (2) بالأنساب [البلد] أنساب الرجال، يطوي الرجل ينسر رحلة على رأسه يتقي به، والفرس عليهم دروع الحديد والبلاط [البلد: نوب عشوم].

أربع تكبيرات

أرسل سعد أمرًا إلى جيشه إنه أزموا موقفكم. لا تحرروا شيئًا حتى تصلوا الظهر، فإذا صلبت الظهر فإني مكبر تكبيرة يفبروا وشدو ششو نعاليكم واستعدوا وأعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم وأعلموا أنا أطيعتموه تأيدًا لكم.

إذا كبرت الثانية فكبروا وتهنعوا ولتستم عدتكم. 
إذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا. 
إذا كبرت الرابعة فشدو النواجد على الأضراس واحتلو فازحفوا جميعًا.
حتى تخلطوا عدوكم وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله. (3).

(1) الطبري 3/ 1301، (2) هذه القراءة (ص.1300) وصلت في الكبير الأخير أساس علمها. 
(3) الطبري 3/ 1303، (4) الطبري 3/ 1305، (5) ش. عن عمر بن أبي الوليد عن منصور عن محمد عن عبد الله بن أبي بكر.
(6) " عن منصور بن الوليد عن منصور بن سعد. 
(7) " عن زكريا، عن أبي اسحق.

132
وكان عمر قد أظلم سعداً غلاماً وكان من القراء. فلما صلوا الظهر أمر سعد
الغلام أن يقرأ سورة الجهاد - وهي سورة الأنفال - وكان المسلمون يتعلمونها
كلهم. فقرأ على أقرب الكتائب إليه فقررت في كل كتبة. فهشت قاوب الناس
وعينهم وعرفوا السكتة مع قراءتها (1)
الطوابد المبارزة
فلا فرغ القراء حكب سعد من فوق القصر فكب الأقربون إليه الذين يلونه
وكبر الناس بتكرير بعض فتحشش الناس [تحرب كوا حماسا].
ثم كبر الثانية فاستتم الناس ووقفوا مستعينين.
ثم كبر الثالثة فبرز أهل النجدة من الفرسان فأنتشروا الفتن، خرج لهم
فرسان من الجهوس فتبادلون الطعنات والضربات. وكان أول من قتل أعجمياً يوم
القادسية ربيعة (2) بن عثمان بن ربيعة أحد بني نصر بن معاوية بن بكر بن
هوازن ابن منصور [ يعني كان في الميمنة ].
وخرج أمام صفوف بني أسد، غالب بن عبد الله الأسد وهو ينشد:
قد غلبتم واردة الميالح ذات اللبان والبان الواضح
أني سما بطل الشاب وفارج الأموي المكادج (3)
فخرج إليه هرمز وكان من مالك الباب على رأسه تأجج، فأسره غالب أسرأ
فجاء به سعداً فدخل عليه وانصرف إلى مبارزة جديدة.
وخرج عاصم بن عرو أمام مواقع بني تميم وهو يقول:
قد علّمت بيشاء صفراء اللحبيب مثل اللجبين إذ تغشى الذهب

(1) الطبري ٣/٤٩٦ السري عن شبيب عن سيف عن خلان عن مسعود بن خراش.
(2) نثر البلدان ١٤٦.
(3) الميالح ذا اللبان والبان: الصدر. اللبان: استعاره لفقراء الحج. اسم:
الذي آتي بالسهم.
أتي أمره لا من يبديه السبب مثله على ملك يغريه العبّب(1)
فطارد رجاء من العجم فهرب منه وتبهع عاصم حتى خالط صفهم فالتقى بفاسر معه بغفل فترك الفارس البلغ وأعتصم بأصحابه فاحتمى بهم واستنفر عاصم البلغ والرجل حتى بلغ صف المسلمين فكشف عن الفتنة فإذا ذلك الرجل كان طباع رستم وإذا ذلك الذي كان معه طعامه من الأخصى والعسل المعقد فأتي به سعديا ورجع إلى موقفه، فما نظر في سعد سعدي انطلقوا به الى أهل موقفه.

وقال: "إن الأمير قد نفلكم هذا فكلوه".

وأعطاهم له، فتقدى عاصم ومن معه يومه بغداة رستم.

وهذه المبارزة دائرة بين الفرسان على طريقة الكر والفر، وصفوف المساواة متكبّبة في انظار التكبير الرابعة من سعد، قام قائد مشاة بين نه من قضاعة وكان اسمه قيس بن حذافة بن جروثة يخطب فيهم معه.

قال: "يا بني نهد انهدوا، إما ستعتهم نهدا لتنفعوا".

هذا أمر منه لجنده بالتحرك قبل أن يأمر القائد العام بذلك فبعث إليه خالد ابن عرضة [خليفة سعد] يقول: "وأي الله لتكمين، أو لأولين، ملك غيرك".

فكلف الرجل.

خرج فارس من الفرس يصبح، مرّ ومرّ، يعني رجل لرجل يطلب المبارزة. وكان ذلك أمام القطاع الذي تشكله(2) بجدة وكندة، وكان عمرو بن معدلي كرب الزيدي يسير بغفره بين الصفين يحترض المسلمين ويجمههم ويقول: "يا معشر المهاجرين [المجاهدين] كونوا أسوداً فإنما الأسود من أغلى شئه.

(1) بيضاء صفرا اللب يقصد بها فرسه، السبب: الوسيلة كتابة عن فئة بنفسه أنه بدخل بعدها وصلة القلم، كما جاء في شتى عليّ يكتب ذلك بك.

(2) نقص المصدر، الطبري 357 هـ عن أصحاب بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم (الباجي) قال معايرو بن معدلي كرب وهو يخفض الناس بين الصفين ... الخ.
إن الرجل من هذه الأعاجم إذا ألقى مزراً، فقد قوسي [إذا هو تيسمضة...]
وقت ذلك العمجم بين الصفين وكان من أشارتهم لا يكاد تستقطب له نشابة،
فرمي عمراً بنشابة فصاصت سنة قوسه وهو متنكبة [معلقة في منكبها وراء
ظهره] فانقلت إليه عيني ثم جعل عليه فبارزه ثم اعتنقا وأمسكه من حزامه
وسحبه من فوق فرسه فحمله وضعه بين يديه على فرسه هو ثم عاد به إلى
صفوف المسلمين فما اقترب منهم كسر عنقه ورمى على الأرض ونزل إليه فذجعه
من حلقه بالسيف وأخذ سلبه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويلفاف من
دبيبه وعاد يقول للسلمين: 
هكذا فاصبعوا يمهم.
قالوا: ٦٥ أبا ثور من يستطيع أن يصنع كما تصنع!

التحام

ثم وقع حادث مؤسف فريد من نوعه، فقد خرج من صفوف المسلمين رجل
من ثنيف ارتفع ولاق بالموجس، فأخذوا رأسه عين يوجهون إليه هجومهم فباحاهم
على مسيلة، وأخبره أن باس المسلمين في الجانب الذي به مسيلة (٦٥).
فوجه الفرس إلى وجوهه الذي فيه مسيلة ثلاثة عشر فتيل هكذا كل جناحهم
الأيمن بقيادة هرمزان وجالنوس (يعني ٥٠٠٠ مقاتل). وألقى هذه القوة
الكبيرة بشقيق على مسيلة، وألقوا تحت أرجل خيولها حسكي الحديد ورشقهم
بالنشاب فكانه المطر عليهم. وربط العجم خيلهم بعضها إلى بعض للاطيفوا.
هذا وسائر المسلمين والفرس على موقفهم.

وفرقت الأتالما ما بين الكتائب فنفرت خيول المسلمين وثبت مشاتهم بغير
اعتقاد على الحيل حتى كان المجوس أن يطحنوا مسيلة ومن كان معهم في موقفهم من

(٦٥) الطبري ٣٤٧٦ عن ابن حذافة عن سبأ بن محمد بن اسحق بن إسماعيل بن أبي خالد
مولي مسيلة عن قيس بن أبي حازم البيهلي وكان من شهد القادسية للسلمين.

١٣٥
النجمه وصدأ، وكندة. وأرسل سعد إلى بني أسد ومهم ثلاثة آلاف على ميمنة بحيلة يقول لهم:
"ذَبْبِوا عن بحيلة ومن لافقها من الناس".

خريطة رقم (٨) القادسية (٣)
الزحف

فقام (1) طليحة بن خويلد [الذي كان صاحب ردة بني أسد ثم عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه وبلغوا ]، قام في قومه من بني أسد فقال:

ويا عشيرتكم: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان من أسداء - هو ] الموقن به.

وإن هذا لعلم أن أحداً أحق بإغاثة هؤلاء منكم استغاثتهم.

ابتدأهم الشدة وأقدموا عليهم إقدام اليوت الحَرَّيّة، فإما سيّم أسداء

لتفعلوا فعله.

شهدوا ولا تصدوا [ يعني اهجموا ولا تتقفوا مدافعين ] وكروا ولا تفرحوا.

الله در بريعة، أي في بريعة يَفْشَرُون وأي قريب يَغْشَون، هل يصل إلى موافقهم!

فاغتنوا غناء موافقهم أعانكم الله.

شهدوا عليهم باسم الله .

وخرج حمّال بن مالك الأسد، والربيع بن عمرو وغالب بن عبد الله الليثي

[ لتَبَيَّنَ كَانَة وَكُلَّ نَاتَّة إِخْوَة أَسْدَاءَ ] و كانوا ثلاثة أخذوا موافقهم مع أسد

كل خرج من كتبته نحو القيادة. قال المعرور بن سويد وشقيق بن سلامة الأسداني:

الطبري 3/ 688، عن محمد بن فليس عن موسي بن طريف.

137
فَشَّدُوا والله عليهم ما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفَيْسَةَ عنهم فأخبرت [وفي أثناء ذلك] خرج لطبيعة عظيم منهم فبارزه فما لببه طبيعة أن قُتِلَ.

والتفى طبيعة يجالوس وجهًا لوجه فضربه طبيعة ضربة على رأسه فشقت مغفره طولاً )1( ولم تنفد إلى رأسه. وقال:

أنا ضربت الجالوس ضربة حين جيادُ الخيل وسط الكَبْبَةُ )2(

---

(1) فتح البلدان ۲۴۷ و ۲۴۶.
(2) الكببة: الكوكبة، وهي الحاشية.
يقول الرواة: «وإن على كل فيل عشرين رجلًا». ونرى في هذا الرقم مبالغة فإن نظم فيل يتسع لجلس عشرين رجلًا. وكانت بطولة بني أمية من هذه الهجمة مثار إعجاب المسلمين وهم ينظرون اليهم، وكانوا يتسللون إلى البطولة والقداء. فهم الأشتهى بن قيس الكندي [زوج أم فروة أم الح angericonic] في فهم من كندة فقط، ويا معشر كندة الله لا كندة بني أمية فأرقي. يقورون وأيهم هدنة يهرون عن موقفهم.

منذ اليوم أحق قوم ما يليهم وأنتم تنتظرون من يكنكم الأض. أشهد ما أحستم إسوة قومكم العرب منذ اليوم وإنهم ليقفون ويفانون وانت كجمة على البك تنظرون. وكانت المبارزة جهوا على الركب من الأساليب الدفاعية في القتال [ارجع إلى فصل السيف من باب أسلحة العرب من كتابنا الطريق إلى المدائين]. فوثب إليه عشرة منهم فقالوا:

"عطر الله جدك! إنك لتؤبَّسنا جاهادا، ونحن أحسن الناس موقفا، فنحن الذي خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسوهم، فإن نحن ماعكم."

فتحول موقف كندة من الدفاع إلى الهجوم فأزالوا من أمامهم من الجيوش وردوه إلى الوراء.]

وأما رأى العجم مما صنع بنو أمية بالأفلاج ووجه اليهم جالنوس وهم جاذون [400 مقاتل نصفهم من الفرسان وألف فيلال]. كذلك جمع كبار قادة الجيوش، أفراد [الحايل] فرسانه وألقى بهم ضد أمية. كان هرمزان ملتحما بصرة المسلمين، أما سائر المسلمون في القلب والميمنة [كل من عن يمين أمية] فكانوا ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، وبنو أمية تدور عليهم رحى الحرب ثابتةً.

(1) الطبري 3/538 من شمس عن عمرو بن قيس عن موسى بن طريف.
لمجوس، فكبر سعد التكبيرة الرابعة فزحف جميع المسلمين ونشطت فيول المجوس على طول خط القتال. فحملت في الميمنة واليسرى على خيول المسلمين فكانت الخيل تخاف منها فتتحجم عنها وتحيدها عن طريقها، وكان فرسانها يلحون على المشاة أن يمنعوا ظهور الخيل ويردوها إلى الأمام.

وأرسل سعد إلى عاصم بن عرو من يقول له:

"يا معشر بني تميم، ألسنت أصحاب الخيل والخيل أما عندكم لهذه القبلة من حيله؟"

قالوا: "بل والله".

خريطة رقم (10) القادسية (4)

140
ثم نادي في قومه فجمع أفضل من في بني تميم من الرماة وآخرين لهم مهارة وخفة حركة في القنابل، ووضع خطته على أساس مشاغلة ركبان الفيلة ثم مهاجمتها من الخلف في غفلة منهم. قال لهم:
"يا مشروع الرماة دبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل".
وقال: "يا مشروع أهل الثقافة استديروا الفيلة فقطعوا ورستها".
خرج معهم جميهم وقومهم فشقوا طريقهم نحو الأقيل التي تهاجم بني أسد والرحى تدور عليهم.

(1) الرضوان: الأحزمة التي تثبت توابيتها على ظهورها.
وامثنياه

كان سعد يرقب ذلك من فوق القصر لا يطير الجلوس معه إلا مستوفياً
أو منطحاً على بطنه ، فكانت يتعلق ويتقلب لا يصبر على ما يري . وكانت
أمرته سلسلة بدت خصبة آرمة اللثني تنظر معه من فوق القصر وترى ما يري :
فلما شاهدت ما يصنع جند البـبـاب يقدمه جالنوس وجدت همدان يقدمه بين
بقليلة أسد قالت :
وامثنياه ولا مشني للخيل اليوم .
وكان سعد قد أضجره ما كان في نفسه وما يرى في أصحابه على مسافة
ثلاثمائة إلى أربعمائة متر منه ، فلطم وجهه من الليث وقال :
أين اللثني من هذه الكتبة التي تدور عليها الرحي [ يعني أسدآ ] وعاصمآ
 وخيله ؟
وأثار هذه العبارة ذكريات اللثني الزوج الراحل العظيم .
لو كان اللثني حياً لكان له هنا مع الأعجاب شأن كشأنه يوم الجسر بالمروحه
ويوم الثوب وبوم بغداد ، ويومن كل يوم لقي المجوس فيه . ولئن لطمها سعد بيده
فلتلمه بلسانها وهو الذي تستطيع .
قالت : أغيرة وجيّبنا لا ؟
تعيره ابتداها فوق القصر وعدم ركوبه مع جيشه .

١٤٢
قال: وَالله لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تقدرني وأنت ترين ما بي والناس أحق ألا يعذرون؟ (1)

نتيجة يوم أرمك وأمطر رماة تم الذين كلفهم عاصم ركنان الأقفال بباب من سهامهم والنجاح معهم في معركة تراشق، وفياهم مشغولون بذلك تمكن الآخرون من بلوغ مواقع خلف كل فيل فأخذوا بذنابها وأربطة توابيتها فقطموها وارتفع عواء الأقفال فما بقي للجوس يرمي فيل إلا أعرى. وكان كلا سقط صندوق بن فيه هجم عليهم المسمون فيماهم.

خريطة رقم (111) القادسية (٥)

(1) الطبري ٣٥٤٢ عن السري عن شعب عن سيف عن محمد وطلحة.

(2) الطبري ٣٥٥٥ عن ابن حيد عن سلمة عن ابن عمرو بن عبد الله بن أبي بكر.
فَتنسفت أسد، وردت ثمّ عنها هجوم العجم إلى مواقفهم الأولى، ثم اقتُلوا
حتى غربت الشمس ودخل بعض من الليل، وكان يمرُّ بهم فروع المسلمين
ورجع الجووس كل إلى مواقعه الأولى وقد قتل من بني أسد يوم أرماح خمسة
رجل من الآلاف الثلاثة، فحملت بنو أسد عبده يومه عن الناس وكان
عاصم بن عمرو حامي الناس الذي رد عادية الجووس عنهم،
وقال عمرو بن شمس الأسدي:

أولو الأحلام إن ذكروا الحولما
وأتنا النازلون بكل تفطر
تروي فينا الجهاد مسومات
مع الأبطال يعمالكن الشكبا
تروي فينا الجهاد مجللات
تنسبه من فوارسها الخصوما
بهم، مثل سلم مكحوري
إذا لاقت باصا أو خصهما
ففسنا فارسا عما أرادت
وكان لا نحاول أن تصيرنا

لمأنا المارعاء

حملت أيام القادسية أحياء أرماح وأغواط وعمس. ولم يُصَّد أحداً من
الرواة أو المؤرخين القدامى ولا من الكتب الحديثة حاول أن يفسر هذه الألفاظ
أو يقوم لها معنى، وقد ذكر الدكتور محمد حسين ركيل أنه لم يجد لهذه الأسماء

(1) أولو الأحلام: أصحاب العقول، والحلم: العقول.
(2) نلعه: نجد أو نتركه، فهي من الأصداد.
(3) يعلمون: يضن، والشكيكية حديثة اللجام التي توضع في فم الطائر.
(4) مجللات: هاجرات، جلخ الفرس على القوم حمل عليهم وهجم، تنده تكف وتمنع.
(5) سلم مكحوري: سلم ساخن، كتابة عن الاستعداد للمعركة، القروم: اللحم المكرم كتابة
عن الكهنة.
(6) يرم من المكان: يتركه.
أي تمليل، والكلمات الثلاث ليست أسماء أماكن. وفي اللغة رمت الشيء والشيء خلطه وأرممت الحالب في الضرع أبقى فيه شيئاً وأرممت وارتممت في حالة أبقى وترك وحبل أرماة ورمات خلق. هكذا في التجد، ونستطيع أن نagher هذه المعاني في ذلك اليوم، فقد اختلطت فيه شدته على المسلمين وعلى الجموع، ولم تنطه المعركة إلى نتيجة حاسمة شارب كل ما سبق من المعارك التي كانت تنبع في يوم بل بقي منها شيء للأيام التالية. هذا ما نذهب إليه في تمليل تلك التسمية والله أعلم.
ليلة الهداة

توقف القتال بعد العشاء، وانتهت الجبهة في هدوء، تجاجز هؤلاء عن هولاء ولهذا سميت ليلة الهداة. وقد أثبحت هذى الهداة لبعضهم أن ينقطع أثناء الليل إلى العدوان للقاء أهل ونقل الأخبار اليوم.

وفي مضايقات نساء المسلمين بالعذيب جلست النساء بنت عمر شاعرة بني سلم المضمرة ومعهما بذورها أربعة رجال تعظيم وتحرضهم على القتال.

قالت (1) : إنكم أسلتم طامعين وهاجرتم [ جاهدتم ] إختركم. وقد تعبدون ما أعد الله لعظمى من الثواب الجزيل في حرب الكافرين. واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الدنيا. يقول الله تعالى : في أهلهم الذين آمنوا أصبوا وصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون. فإن أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قنال عدوكم مستنفرين وباداء على أعدائه مستنفرين. فإذا رأيت الحرب قعد شرطت عن ساقها واضطرمت.

(1) الاستعباد ٦٨٧ نسخة - الإصابة ٥٥ نسخة - في النص أنها قالت: «وويل الذي لا إله إلا هو إنكم بذو رجل واحد كما أنكم بذو امرأة واحدة، ما خنتم وأباكم ولا فرضت خالكم ولا هجيت حسبكم ولا غيرت نسيكم...» ولكن من العلم أن وأولاد النساء لم يكونوا أبناء رجل واحده فقد تزوجت مرتين، الأول عبد العزيز بن رواحة وأنجبت منه أبا شجرة، والثاني مرتاس بن أبي عمار وأنجبت منه زيد (قيل يزيد) وماريا وعمرها (النساء شاعرة بني سلم - د. محمد جبار الجنيبي ٧٦٢). وقد ذهبنا الدكتورية بنت الشاطئ إلى أن الرواية موضوعها، وحسبنا إسفاق هذه الفترة منها، ولعل هذه الفترة في النص أن تكون تقلت إلى قصة النساء من قصة المرأة النجمية بعدها.

١٤٦

وكلما أمرة من النجوم لما بنو أربعة شهدوا القتال ذلك اليوم، فما بدأ الصباح بنبلج قالت لهم: "إنكم أسلمتم فلم تبدوا، وهجرتم فلم تئدوا" (1)، ولم تكن (2) بكم البلاد تتفججَم السمة (3). ثم جثم بأمك عجوز كبيرة فوضعتها بين أيدي أهل فارس، والله إنكم بنو رجل واحد كما أنتم بنو أمة واحدة. ما كنت أباكم ولا فشمت خالكم. انطلقوا فأشهدوا أول القتال وآخره (4)

فانصرفوا عنها مسرعين يشتدون، فلما غابوا عنها رفعت بديها إلى السماء.

وهي تقول: "لهم ادفع عن بنى" (5).

فرجعوا إليها بعد ذلك وقد أحسنوا القتال ما جرب منهم رجل جرحاء (6)

تلك أمهات لم تنتفع حتى فقدت عواطف الأمومة، ولكنها ارتفعت بإياها إلى مصاف فوق مستوى ما نهاد من الأمهات. كانت كل منهن تعلم أن الموت حق وأن أحداً لن يموت حتى يستوفي أهم فكانت تضن بديها أن يعتد على أحد منهم بعين أو خور عنده الزحف وحين البناء. إذا كان ذلك هو حال النساء الأمهات المجائز فكيف إذا كان حال الرجال! لعودهم في اليوم الثاني.

147
الأغوات

الجدة 14 شعبان 15 - 20 سبتمبر (أيلول) 1336 م

صباح جديد

نحن الآن في اليوم الثاني - أغوات - من أيام معركة القادسية. أصبح الصباح والجيشان على تجهيز وقـد حل المسلمون شهداءهم وجرحائهم من أرض المعركة، بينما ترك الجيوش جثث قتلاء لمغفرة كما هي حيث قضت. وقـد وكل سعد رجلاً ينقلون الجرحى إلى مضارب المسلمين بالعذيب حيث النساء يقمن عليهم يرضوهن في قضاء الله عز وجل عليهم. كذلك وكل رجالاً ينقلون الشهداء إلى مشروق وهو واد بين العذيب وبين عين الشمس فدفنوا في جانبهم القريب من العذيب وال بعيد عنها. وكانت النساء يغفرن القبور. سبحان الله... عجب! لا مرأة تحفر قبرًا لا تدري يدفون فيه بعد قليل زوج أو أخ أو ابن أو أب أو غريب، إن شهد من المسلمين وكنى فلكهم الآن سواء. كان المسؤول عن شؤون الشهداء والجرحى (1) حاجب بن زيد الأنصاري من الأوس وكان من شهد أحداً. ووقف المسلمون في الميدان ينظرون حول الشهداء والجرحى، فما أن خرجت (2) يهم الإبل وتوجهت نحو العذيب حتى طلعت نواحي الجبل الآتية من الشام.

(1) الطبري 3 / 500 س. ش. عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم.
(2) الإصابة 1369 وقال حاجب بن زيد بن تميم بن أمية بن خلف بن بياض.
(3) الطبري 3 / 544 س. عن محمد وطلحة.

149
جيش خالد يعود

لقد خرج خالد من العراق في صفر 16 هـ. بنصف جيش العراق حينذاك إلى الشام، فأدرك عالمات الشام. ومن حيث كانت الحالة راكدة في العراق في انتظار القادمة والإعداد لهـا، بينما كانت المعارك دائرة في الشام فقد ترك عمر ذلك الجيش في الشام يخوض معاركه الواحدة تلو الأخرى مع أبي عبيدة بن الجراح. فلما أن لاحظ بوارد القادسة وكان المسلمون قد تم لهم فتح دمشق
كتب عمر إلى أبي عبيدة بصرف جيش العراق، أصحاب خالد، إلى العراق - ولم يذكر خالدًا - حينئذ كان أبو عبيدة في خيار بين أن يبعثه مع جيشه أو أن يتمسك به، فضل به لنفسه حيث كان يعتمد عليه أكبر اعتبار. فبعث الجيش بدونه إلى العراق. ذلك الجيش كان تسمية آلاف يوم خرج مع خالد ولكن الروايات (1) تذكر أن المائتين إلى العراق كانوا سنة آلاف منهم خمسة آلاف عدنانيين من ربيعة ومضر وألف قحطانيين من أبناء أهل حجاز اليمن من مراد وهدان وغيرهم. وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص وهو ابن أخي سعد ابن أبي وقاص. وكانت مقدمتهم ألفًاً على القعقاع بن عمرو وقد قدمه نشام أباه. وكان على الميمنة قيس بن مكحول المرادي، ولم يكن قيس المرادي من شهد فتح العراق مع خالد وإنما أتاههم بالبرموم ثم انضم إلى هـذا الجيش الموزع على الشام إلى العراق. وكان على المنحرفة المخازر بن عمر (2) العبد، وعلى المؤخرة [الساقية] أنس بن عباس السلمي (3). ويبدو لنا أن هذا الجيش كان هو جيش خالد في جملته إلا في تفصيله، فكما رأينا لقد ذهب الجيش تسمية آلاف وعاد ستة آلاف كذلك كان يحتوي على عناصر لم تكن منه حين غادر العراق.

مع خالد.

(1) الطبري: 343، (2) الطبري والإيساوي: 8959، (3) الطبري والإيساوي: 727، وكان أنس صاحبًاً قدم على رسول الله في سبحةة على بني سلامة عام الفتح فاسفوا.
القمع في المعركة

وأسرع القمع بالقدمة فسبق أصحابه وطوي المسافة فبلغ القادسية صبيحة
يوم أغوات (1). وقبل دخولهم إلى القادسية قسم القمع أصحابه إلى عشرات
مائة عشرة - كما بلغ عشيرة منهم مد حضرا سراحوا في آثارهم عشرة
أخرى، وكان القمع في أول دفعة قاتل الناس وسلم عليهم وباشرهم بالجنود
وقدم شهيد جاذوبه

وقال:
"يا أبا الناس إنني قد جئتكم في قوم والله إن لو كانوا يمكناكم ثم أحسوا
حصدكم حظوكم وحاولوا أن يطيروا بها دونكم. أبا الناس أصنعوا كما أصنع«.

مصرف يهن جاذوبه

وتقدم القمع بين الصفين في القطاع الذي يشتهله قومه من بني تميم وهو قلب
الجيش أمام القصر ثم نادي: 
"من يبارز؟، أي لِياقة بدنية تلك التي تنتج مصلحة أن يأتي من سفر بعيد مثل هذا ثم
يثَجَمّل حلقة وصوله! واطمن الرجال سألوا أيها القمر، نواخذ القمع معهم ونزلت
عليهم السكينة وقالوا فيه يقول أبو بكر:
"لا ينزع جيش فيهم مثل هذا«.
صدق أبو بكر وصدق أيضا حين قال: "لصوت القمع في الجيش خير من
ألف رجل"

وخرج ذو الحاجب لنداء القمع ولم يكن القمع قد التقى به من قبل ولا
عرفه إلا سباعا، فسأل له القمع: "من أنت؟، رد: "أنا يهن جاذوبه«.

ففَلَف الدم في عروش القمع وكاتبا وجد شيئا كان يبحث عنه صاحب:

"يا لئازئ أبو عبد وسليت وأصحاب يوم الجسر«.

(1) كان قيمه قيس بن أبي حازم وهو ابن سبعة عشرة سنة.

الطبري 3/435 من شمس بن محمد وطلحة.

101
ثم ترابزا بالسيوف فقطرت القعقاوات، فكان بهمن جاذوبيه قائد قلب المجوس في القادسية وقائدهم يوم جسر المروحة أول القتلى يوم أُغوات.

الطولد والمبارزة

ثم انضم الي القعقاوات ثلاثة ذكر لما وازرتهم وهم:
   ١. عمرو بن عمرو بن عتاب.
   ٢. عمرو بن نعيم بن عتاب بن الحارث بن عمرو بن همام.
   ٣. عمرو بن شبيب بن زنبق بن الحارث بن ربيعة، أحد بنى زيد.
وكلهم رباحين من بني يربع بن حنظلة من تم.

وكان القعقاوت يرمى بصبرة نحو الطريق وصارت خيله تطلع قطعاً كله ظلمت قطعة كثر القعقاوات وكثير المسلمون تجعل على المجوس للمبارزة ويخال بهم البراقعين الثلاثة. وظلت الخيل تطلع وترد دفاعات حتى الليل فنصبت المسلمون لذلك ودب فيهم الأمل وكان لا ينام بالأسما مصيبة. فبدأ يوم أُغوات يمشي حضاناً وحذاءين ومعكر السهام ويجهر الفيلة جميلاً فقد كسرت نوابتها بالأمس وبداوا إصلاحها حين أصبحوا واستغرق إصلاحها منهم طوال يوم أُغوات فتم تظهر مرة أخرى حتى كان الغد ولم يقاتل العجم يوم أُغوات على فل. وفوت ذلك كله في عضده.

وخرج القعقاوات بين الصفين مرة أخرى ونادي: ٥ من ببارز؟

وأراد قادة المجوس أن يستردوا معنايتهم وأن ينذروا بهم جاذوبيه الذي كانت جثته مشتقة بين الصفين ينظرون إليها، فخرج اليه رجلان أحدهما بيرزان قائد مؤخرتهم [١٠٠٠٥] اتخذوا مواقفهم بين رست وبن ميسرة التي عليها مبران] والآخر ينذروا. فانضم الى القعقاوات الحارث بن ظبيان [أحد بنى تم اللات من الراب وكات صفوهم الى جوارهم على بنيها ]، فبارز القعقاوات بيرزان فسدد لهم القعقاوات ضربة صغيرة فوق عينقه أذرت برأسه. وبارز ابن
نحبان بن وزر فداربه ضربة أطاحت برأسه أيضاً، ثم برزت فرسان المسلمين

للبارزة فكان الفتح يقول لهم:

هيا معاشر المسلمين بشرؤهم بالسدوف فإنا نجد الناس بها.

وتوارى الناس وتشابوا، فاجتهدوا بها حتى المساء.

وبرز رجل من الجسور أمام صنف بكراً بن وائل فنادي: من يبارز؟
فخرج له علبة بن جحض العجلي ففرحه (1) علبة فأصابه في صدره وشق رئته، وقبله الآخر فأصابه في بطنه وانتشرت أمعاؤه وسقطت مما إلى الأرض. أما الجموسي فمات من ساعته، وأما علبة فلم يستطع القيام وحاول أن يعيد أعماه إلى مكانها فلم ينتم له ومر به رجل من المسلمين فقال له علبة: يا هذا أغني على بطني، فأدخل له أعماه فأخذ بساقته ثم زحف نحو صف الجمجم دون أن يلفت إلى المسلمين وراءه فأدرهم الموت على ثلاثين ذراعاً من مصرعه.

وهو يقول:

أرجو بها من زينا ثواباً
وقفشت نفسه (3)

وخرج رجل آخر من الجمجم فنادي: من يبارز؟ فبرز له الأعرف بن الأعلم العقلي من عامر بن صعصعة من قيس عيلان بأقصى اليمينة فقتله، فخرج له مجوسي آخر فقتله فخرج إليه بعض فرسانهم، وأحاطوا به فاقطعوا وسقط سلاحه من يده فأخذوه لعبوا في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه وهو يقول:

(1) كل يوم أمرهم واحد يتحم بعضاً وأي بعضهم شامع، (خنار الصحاح).
(2) النجح الضرب في خارج البحر.
(3) الطبري 3/ 465: س نص عن النص في الзамين بن زيد والقاسم بن سلم عن أبيه.

153
وان يأخذوا بزي فائي دجلة
والنيجير من وراء عشرتي
وكرتوب لا كثر الألهاء مخيل الأمر
وكانوا بنا سليماً أضمن عيان في اليمين فخرج منها أبناء الجنساء
الأربعة للقتال. قال أولهم:

يا إخوتي إن العجوز الناصحة
مقالة ذات بابت واضحة
فبنا كروا الحرب الضروء لكالمة
من آل ساسان الكلاب الناجحة
قد أينفوا منك يوم الجائحة
وأنت بين حياة صالحة
أو ميتة تورث غنماً راجحة

وتقدم فقال: حتى قتل، فحمل الثاني، وهو يقول:

إن العجوز ذات حزم وجلد
وقد أمرتنا بالسدا والرشد
نصبنا منها وبرأ يا بولود
إما لفوز بارد انكبد
في حنة الفردوس والعش القدح
أو ميتة تورثكم عز الأبد

وقاتل حتى استشهد. وحمل الثالث، وهو يقول:

والله نصفي العجوز حرفنا
فهمدا وبرأ صادق والطمأنا
حتى تلفوا آلل كسرى لنا
إنا نرى التقصير عنكم ضعفاً

وقاتل حتى استشهد. وحمل الرابع، وهو يقول:

لاست خساء ولا لاجرم
إن لم أرى في الجبه جيش الأجم
مراض على الهول خضوع
أو لوفاة في سبيل الأقوياء

154
فقاتل حتى استشهد (1) وبلغ الحسناء خبر بنيتها الأربعة وهي التي عاشت حيائها تبكي أخها صخراً الذي قتل في الجاهلية فقاتل:

وحل القمعان ثلاثين (2) حلة على طريقه الكرب والفر قتل فيها ثلاثين فارساً، كما طالت قطعة كبر وهجم قتل وكان يتجز ويقول:

أزعجي عمداً بها إزعاجاً أطمئن طمعاً صابباً نجدنا أرجو به من جهة أفواجاً وكان آخر من قتل القمعان يوم أفواعُ برز جمعهٌ الحمذاني وفيه قمال القمعان:

۳ حبته جباهة بالنفس أنسمى بالقوم أشد النجس حتى تقضى مشيرياً ونفسي، وبارز الأعور بنقطة شهر برأس سجستان فقتل كل واحد منها صاحبه، وحمل الأعور إلى المذيب حيث أسلم الروح قفان أخوه الأسود بنقطة في ذلك:

لم أر ما كان أحل وأمر من يوم أفواع إذ افتر الشغر من غير ضحك كان أسوى وأكبر.

(1) الاستياب ۳۷۸، والإصابة ۵۵۰ نصاً. وكان عمر بنا الخطاب يعفيها أرزاق أولادها الأربعة لكل واحد منهم مائتي درهم (معاش) حتى قتل

(2) الطبري ۳ / ۴۶۶ وس ش س عن الفصح عن العلم والاسم عن أبيه:

۴ / ۴۴۷ ق. عن محمد وطهجة وزيد.

(3) حبته جباهة بالنفس منحته طمعة قاتلة تذهب بنفسه، هدارة الهدير وهو الحركة مع الصوت مشيرياً، عشريني.
فمظاعفة جديدة

وغلب على يوم أعواء ابتكار فمظاعف طريف وجرديد يدل على ما لذلك العبقرى من إلهام وأبتكار. فقد قصَّ عليه المسلمون ما كان من الأقوال يوم أرماث وكيف خافها خيل المسلمين. وكذا استوحى خالد فكرة كين الولجة من العجم، كذلك فحل الفمظاعف يوم أعواء. أراد أن يرهب خيل الفرس، ولكن أدى إلى ذلك وليس للمسلمين أويل ؟ عمد إلى بني عمه من المشاة فجعلهم عشرات كل عشرة مجموعة فحملهم على إبل قد ألماها وجلوها (١) وشرعها براعة، وجعل لها خيلا أطافتها بها لتحميتها وأمرهم أن يحماها على خيل الجوس يتشاهد بالفيلة ففعلت هذه الإبل يوم أعواء خيل الجوس كما فعل العجم خيل المسلمين يوم أرماث، فكانت تلك الإبل لا تطلع على قليل ولا كثير من فرسان الجوس إلا نقرت بهم خيلهم وركبهم فرسان المسلمين يطعونهم.

ويبعد أن من القبائل الأخرى غير قبيل الفمظاعف فيه فقل، فكان مما ذكر سعد لعمر أن وصف الحارث بن قوم البهذي من بني سلم [من قيس عيلان في الميمنة] بالشجاعة وقال:

(١) أن راكبا مثل الحارث بن قوم، إنه جبل بعيره وبرقه ثم ركب الفراديس [ربما كان الصواب الكراديس] ففرى بينها فإذا بصر بفارس نخط عليه فماتت ثم قتلها ثم وثق على بعيره من قيم. (٣)

وذلك وصف له حسان الذهبي فقال:

(٢) أن رجاء مثل يعقوب، إنه قد جاء في يوم خصبة فوارس يقتل الرجل منهم حتى يرميه ثم يلغيه على عنيته حتى يأتي به مسلمًا. (٣)

الزحف.

واستمرت المبارزة والطراد بين الفرسان منذ أصبحوا إلى انتصاف النهار.

(١) الأصابة ١٩٢٥.
(٢) الأصابة ١٩٣٠.
(٣) الأصابة ١٩٤٧.
فقال صلوا الظهر تراحف الناس فاقتنعوا بها حيث اثنين عشرة ساعة حتى انصف الليل، فكانت هذه الليلة تسمى ليلة السوداء [والسوداه هو النصف الأول من الليل]. وجاءت الخيل في القلب وشدد المسلمون ضغطهم عليه واستخدموا في ذلك الإبل المبرقة فغزت خيل الموس في غياب من مشاتهم ثبت واستمر المسلمون يضغطون على القلب حتى كادوا أن يصلوا إلى رست لولا أن خيل الموس كرمت فاستعادت مواقعها، وقال في ذلك رجل من بنى تمتم سواد كان من يحمي العشرة من حماة الإبل جعل يطلب الشهادة وتعرض لها وظل يحمل وتبطيء عليه الشهادة حتى تعرض لسرير رست يرده فأصاب دونه.

خريطة رقم (12) القادسية (2)

(1) الطبري 3/5 ش ص عن الفام بن سليم بن عبد الرحمن السعدي عن أبيه.
جولان من عمر

وقد بدأ رسول الله ﷺ على سعد مخالب أربعة أسماط ومعه أربعة أفراس هدية
- أو مكافأة - من أمير المؤمنين يقسمها فيمن انتهى إليه البسالة إن كان لقي
قتالاً. فدع سعد مخالب بن مالك والربيع بن عمرو بن ربيعة الواليبي بنت وطليعة
ابن خويلد الفقيسي - وكلهم من بني أسد - وعاصم بن عمرو السيري فأعطاهم
الأسماط، ودعما القمعة بن عمرو والبرويقين نعيهم وعتاب وعمرو بن شبيب
فحلهم على الخيل. فأتى ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع الأسماء وأصاب
ثلاثة من بني يريوع من ثم ثلاثة أرباع الأفراس. وفي ذلك قال الربيع بن عمرو
المدني:

لقد علم الأقوم أننا أحقهم إذا حصلوا بالمهرقات البواتير
ومافتشت خيلنا عشبة أرسلوا
لدن نعدوة حتى أن السيل دومن
وقد أفلحت أخرى الليل الغوير

وقال القمعة في شأن الخيل:

لم تعرف الخيل العراب سواء عشبة أعوات في بنوب القوادس
عشة رحنا بالرماح سمانها على القوم ألوان الطيور الرسارس

158

(1) رهوة : عل ميل. العدووة : من بعد الفجر إلى طلوع الشمس.
(2) الخيل العراب : العربية الأصيلة. الرسارس : المشيطة.
فقال في الليل

وسبح الليل رداءه على الميدان والفريقان ما زالا ملمتمين بقتالان، فكان المسلمون يتعون يعنى ينتشل كل منهم إلى وحدته فتصبح الأسدي يأتي أسد فيجا وسح ليفت النسيم واتياء وهو كذا حتى لا تختلط صفوفهم ويبضعوا في الظلام.

أبو محسن ١١١ في المعاوكة

وعلا صليل السيف وأصوات المعركة فعلت مسامع الذين حسبهم سعد في القصر مقبضين لاعتراضهم على خالد بن عروفة. فصعد أبو محسن الثقفي بعد أن دخل الليل إلى سعد وهو مشرف من فوق القصر يستعفف ويسترضيه ويستمعه أن يفك قيده ويسمح له بالقتال، فزجره سعد وردته إلى معه فنزل إليه ثم جاء إلى أمراء ١٢ سعد فقال لها:

"يا سلمى يا بنت آل خضفه، هل لك إلى خير؟ "

١ انظر ترجمة أبي محسن في آخر الكتاب تحت عنوان "ترجمة مشاهير قادة الفتح".

٢ الطبري ٣٦٤٠ س، عن محمد وطائفة وزيدان بن ثياب وشاركهم ابن مالك عن رجل من طيء. وذكر الطبري رواية عن ابن سمح أن صاحبة هذه الوقعة هي زهراء أم ظبي.

١٥٩
قال : "قلل عني وتعربي البلقاء! فلله علي! إن سلمي الله أن أرجع البلقة حتى أضع رجلي في قيدي".

فقالت : "وما أنا وذاك".

فرجع إلى مكانه برصف في قيده ويوقول:

"كيف حزننا أن ترتد الحيل بالفناء إذا قت وفاعلاني الحديقة وتغطت وقد كنت ذا مال كثير وإخوة وقد شف جسمي أني كل شارق فلله دري يوم أترك موليلة حبيستنا عن الحرب العوان وقد بدت فلله عهد لا أحيى به هذه فراحت سلمي نفسها وقالت:

"إني استخرت الله ورضيت بهمداك".

فاطلته وقالت : "أما الفرس فلا أكبرها".

ورجعت ابنتها، فافتقد أبو مجن الفرس فأخرجها من الباب الخلفي للقصر المواجه للخندق وكانت يقول لها البلقاء، فكر بها ثم دب عليها واخرج إلى الميمنة حيث قومه من بني ثنيف فكبر وحمل على مسيره الفرس يلعب برعه وسيفه بين الصفين [قال بعضهم إن البلقاء كانت بسرجه وقاو آخر يقول بل كانت عريا]. ثم رجع من خلف المسلمين واخرج إلى الميمنة فكبر وحمل على ميمنة الموس يلعب بين الصفين برعه وسلاحه. ثم رجع من خلف المسلمين الى القلب فبرز أمام الناس فحمل على العجم يلعب بين الصفين برعه وسلاحه فكان يقصف الموس ليتشق قصفاً متمكنًا ولا يحمل على رجل إلا نقصه ودق صله، والناس منه في أشد الحطب وهو لا يعرفونه، ويغلب على ظننا أنه كان مثمنًا إذ لو كان
لا يمكنني قراءة النص العربي من الصورة. إذا كنت بحاجة إلى مساعدة أخرى، فأخبرني بذلك.
يتفاءل من ذلك وأن أحسن أخبار معاركه ما كان يأتي به وهو نائم بوقظته(1) بله مثال آخر. الفيلد مارشال مونتغومري الذي قاد الجيش الثامن البريطاني في صحراء مصر الغربية في الحرب العالمية الثانية، وقاد الجيش البريطاني في غزو أوروبا، والذي يبعد من أعظم قادة هذه الحرب، كتب في مذكراته يقول في معرض وصفه لليوم الأول من معركة هيبن من أكبر معاركه الحرب العالمية الثانية، وأشدها حسناً، تلك هي معركة السليمانية الذي هزمت فيه قواته على القوات الألمانية والإيطالية يقودها القائد الألماني الشهير رومل.

في صباح (3) محرم (1942) [يافا] [تصنفت جرائد اليوم. وبعد الظهيرة ذهبت قداً إلى مركز قيادتي بال떤ان الذي أقيم بالقرب من مركر قيادة الفرقة الثلاثين. وفي المساء قرأت كتاباً ثم توجهت إلى فرماي مبكراً. وفي المساء إلى ثلاثة مساء، فتحت فوهات ما يزيد عن ألف مدفع علامة في الديران وتحرك الجيش الثامن للهجوم بنحو 1300 دبابة. في هذه اللحظة كنت أعظم في نومي في غرفة النوم الخاصة بي، لم يكن هناك ما أستطاع أن أفعل. وكنت أعلم أن الأمر سيحتاج إليه بعد ذلك. في كل معركة دائمًا ما تكون هناك أزمة حين يتراجع مصرها في الميزان، وكان في تقديري أن أحصل على ما أستطيع من الراحة حين يتسمى لي ذلك. لقد أصبحت على الصواب إذا فعلت ذلك فقد كان تدخل مطلوباً بسرير، مما كنت أتوقع.

وانتصف الليل فتحجز الغيم وترجح المسلمون وأسرع أبو محجوب فقابل حتى دخل من حيث خرج ووضع عن نفسه وعن دابته وأعداد رجليه في قدده وأنشد وهو مغطى سعيد:

لقد علنت ثقيف غير فخر، بأن نحن أكرهم سيوفا

(1) نيلبون، اميل لودفيج.

The Memoirs Field Marshal Viscount Montgomery.

p. 128 - 23. 10. 42.

162
وأكبرهم دروعا سابغات 
فإن عميّوا فسّل بهم عريفا 
ولم أشعر بخرج يوحفا 
وإن أترك أذيّهم الحَسُّوفا 
لماذا مغواه

عرفنا لماذا أطلق على الأسبوع اسم أرماث. ونظر أن علة اسم معركة اليوم — أغواه — قد بات الآن مقهولاً، فهو اليوم الذي بلغ الغوث في المسلمين بوصول القمعاق وطلائع جيش خالد واشترابها في المعركة وبظهور أثرهم وفاعليتهم فيها، وأيضاً بغياب الأفكار ذلك السلاح الجبار من الجبهة الجنوبية، كل أولئك كان غياثًا للمسلمين استحققه يوم اسم أغواه.
الباب الثامن

عما س

السبت 15 شعبان 15 ـ 21 سبتمبر (أيلول) 1936 م

اليوم الثالث

هـذا هو اليوم الثالث على التوالي من أيام القادسية، أصبح المسلمون على مواقفهم وأصبح المجوس على مواقفهم. وكان من المسلمين والعجم بطول ميل في عرض ما بين الصفين مثل الـ"جهل" الحمراء ما خالطه من دماء. و كانت نسيما ما زالت مغامضة لسعد منذ لطهما يوم أرماه، وفي هذا الصباح أنهى فصليته وأخبره خبرها، وخبر أبي محجى فساحه لسعده ودعا به فأطلقه.

فليلة عقب طريق المذيب

جمع المسلمون شهداءهم وجرحاهم الذين أصيبوا يوم أغواة فكانوا جميعاً ألفين، جمعهم من الميدان فأحرزواهم خلف صفوهم وقال فهم سعد:

"من شاء عمل الشهداء ومن شاء فقيدهم بدماهم."

كذلك حكم الشرع، وأقبل رجال حاحب بن زيد الأنصاري بحماية الشهداء.

(1) الطبري 3/165 السري عن شبيب عن سيف عن محمد وطليحة وزيد بإسنادهم.
(2) في رواية الطبري عن ابن سهيب أن قصة أبي محجى كانت مع الزبراء، وذهب الى أن سعدًا نزل من رأس الحصن فرأى فرسه تعريق فعرف أنها قد ركبت فسال زبراء (أم ولده) عن ذلك فأعبرته خبر أبي محجى فخلن سبيله. (الطبري 4/396).
والجريح إلى العذيب، وسار حاجب ومن معه بذلك المركب المحمول على الإبل فحو الوجه بين القادسية والعذيب ليس بينها يمتد بطحائها سواها فبدأت في أعين الجريح وكأنها واحة غذاء في تلك الصحراة. فكانوا إذا بلغوها وبأحد عقل ويدرك ما حوله سألهم أن يقفوا به تحتها يسترحو إلى ظلها، فإذا وقفا جرت أسستهم بما درجت عليه طبيعتهم العربية من تسجيل تلك المواقف تسجيلاً شعراً.

قال رجل يدعى بويا وهو مستظل بطلاً:
ألا يا إماما بالحالة بين قداسة وبين العذيب لا يجاورك النخل.
وقال جريح من بني هبة من الرابب أو من بني ثور يدعى غيلان:
ألا يا إماما بالحالة بين جرح العين، يجاورك الجمان دونك والرغيل.
فجاوها بريعي - جريح من بني تم الله:
أيا خلة الجرحاء - يا جرحاء العديد، ستقتلك الغوادي (1) والغدبه، الهواطل.
قال الأعور بن قطبة - الذي قتل شهر برازنجستن وأصابه هذا:
أيا خلة الروكبان لا زلت فانفري ولا زالت في أكشاف (2) جرح عائلك النخل.
وقال عوف بن مالك الشيمي - وقيل الشيمي تم الرابب:
أيا خلة دون العذيب بتسليمه، تفيقت الغوادي المدنجات من النخل (3).

الشهدا، والمظلة.
وفي العذيب كان نساء المسلمين وصبيانهم يعفرون الغبار في اليومين يوم أرماث ويوم أغرض بحاني وادي محترق، ففدوها بها ألفين وخمسة من أهل القادسية ومنهم من شهد الأيام قبلها في فتوح العراق.

(1) السحاب.
(2) الأكشاف - الأعور - الكامل للعلماء - يقال فلان في كتف فلان يعني في ظلها.
(3) الثلاثة ما ارتفع من الأرض و ما انهاض فمآ من الأضداد - المدنجات ذات الغام.
أما قبل المجوس فقد بلغوا عشرة آلاف قعد أضيعوا فتركت جثثهم ملصقة حيث قتلت ركاباً لا يعرفون مولاتهم ولا يهمون بجعلهم في مكانهم ما صنع الله للمسلمين يد بهما أرهم وينتهي في معنويات الفرس. ولقد مرّ بنا حين أفردونا فصلاً خاصاً عن المجوسية في الطريق إلى المدائن أتى ذلك الدين كان يحرّم دفن الموتى! وإذا كانوا يتركون جثثهم بجواهر الطف تتبئها.

ثم جاء فاضم.

وكان في يوم عسا قمعة جديدة إذ بات القمعاع ليته كله يسرّب أصحابه سراً إلى المكان الذي فارقه في من الأمس وقال لهم: "إذا طلعت لكم الشمس فأقبلوا مائة مائة كما توارى عنكم مائة فليتبينها مائة فإن جاء هائم فذاك وإلا جدتم للناس رجاءً وجدًا".

ولم يشعر بهم وهم يخرجون أحد من جنود المسلمين. وأخذ المسلمون مواقفهم في وقت مبكر قبل طراز الشمس، ووقف القمعاع ينظر وينطق نحو الطريق ملئياً في روع المسلمين أنه يتوقع هاشماً وأصحابه، فذكر قرن الشمس من وراء الأفق طلعت نواحي الميل فكبر القمعاع وكسر المسلمين وقالوا جاء المدد وكان عاصم بن عمرو قد صنع برجاله مثل صنع القمعاع فجاءوا من جهة خفان وانعشع المسلمون لذلك فقذام فرسهم للطراد وتفككت كناباتهم فتبادلوا الطعن والضرب ومددهم متابعاً كما وصلت مائتا شد وصولاً من أزر المسلمين، فها جاء آخر أصحاب القمعاع حتى اتته الهم هائم في سبعانة من أصحابه، فأخطروا برأي القمعاع وما صنع في يومه، قعبه هائم أصحابه سبعين سبعين لنتلاقى قطعة وراء قطعة، وخرج هائم في أول سبعين منهم معه فهم قيس بن هية (١) بن عبد يغوث قائد ميمنه وكان قيس قعد فقد إحدى عينيه في

(١) فتح البلدان ٦٢٥. وذهب البلاذري إلى ابن قيس بن هية بن مكشح مرادي كان على سبعانة.
البرموك. وكان فيهم أيضاً معيد بن مران الهذاني (1). ويبدو من هذَا أن
سمته هاشم كانت من أهل اليمن التحشانة. وأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب
كبَّر وكَبَّر المسلمون وهم في مصافهم (2).

رجوع الفيلة

في هذا اليوم - عاش - عادت الفيلة إلى الظهر، فقد ظل الفرس نهار
أغواة وباخت في علاج توابيتها حتى تمّ لهم إصلاحها فأصبحوا على مواقفهم وقد
أخذت الفيلة أما كنها بينهم. وكان رستم يدرك أن ما حدث للفيلة يوم أرماث
يمكن أن يحدث مرة أخرى ولذلك اتخذ إجراء مضادًا فجعل مع كل فيل حماة
من المشاة يحمونه أن يقطع أحزمةه، وجعل مع هؤلاء الجملة فرسانًا يحمونهم
فكانوا إذا أرادوا الهجوم على كتفية دلفوا لها نقيل وحوله حماه لينفرو به
خليلاً. غير أن الفيلة لم تكن يوم عاش كما كانت يوم أرماث، فإن الفيل إذا
كان وحده ليس معه أحد كان أورش أما إذا أطلقوا به كا هو الآن كان آنس.

الطراز والجبارزة

وقال هاشم: "أول الفقات المطاردة ثم المرامة".

وأخذ قوته فوضع سهمًا على كبدها ثم نزع فيها فوقعته فرسمها رأسها فجأة
- وكان لا يقاتل إلا على فرس أثري لا يقاتل على ذكر - فقطع أذنها، فضحك
وقال: "وإذا أثاماه من رمية رجل كل من رأى ينطوره. لأن ترون سهمي كان
بالغاشم ولم يصب أذن الفرس؟"

(1) الباري 3 / 562 ش س عن المجلد عن الشعبي.
الاستيغاب 2 / 144 الإصابة 3286.
(2) الباري 3 / 562 ش س عن عبد وطيلة وزيد.
" 3 / 503 " عن عمرو بن الريان عن أسياج بن محمد وقال كنا نرى أنه
كان في اليمن.
" 3 / 562 ش س عن جزدي بن جربس عن عصمة الوليلي.

168
قالوا: «كان يبلغ كذا وكذا » [وفي رواية أنه قبل كان يبلغ العقيق].
فأجأه فرسه ثم تزقّها وقد نزع السمهم ثم ضربها حتى بلغت حيث قالوا. ثم ضربها فأقبلت به تخرجهم حتى عاد إلى موقفه. ورواية أخرى تذهب إلى أنه أجأه فرسه [دار بها] ثم نزل وتركه وخرج الهمي يضربهم حتى بلغ حيث قالوا. وما زالت قواته تصل تباعاً.
وخرج رجل من ميسرة المجوس بين الصفين أمام بني عبد قيس فهدر وشقق.
واتذي: « من يبارز؟ » فلم يجب أحد.
فقال سبهر بن علقمة: « كان قصيرة دمماً: ما مصدر المسلمين قد أصسفاكم الرجل فلم يجب أحد ولم يخرج به أحد. أمّا والله لو أن تدروني خرجت إليهم.»
فأما لم يمنعه أحد أحد سبه وحجحته وتقدم ساراً على رجله. فلما رآه الأعمجمي هدر وصاح ثم نزل الهمي من على فرسه وقد ربط لجامها حزامه وهجم على سبهر فاحتفله فجلس على صدره ثم استل سيفه ليذبحه فتحرك الفرس فجذبه باللجام المثبت حزامه فقلبه عن شبر واستمر الفرس يسحب صاحبه على الأرض فقام شبر مسرعاً وأقبل عليه فأفترسه فصاح الفرس به قال لهم:
« صبحوا ما بدا لكم فولاه لا أفارقته حتى أقتله وأسلبه ».
ففتح وسلبه ثم أتي به سعداً. فقال: « إذا كان حين الظهر فأفتح! »
فوقفاه بالسلب فجعل سعد الله وأتي عليه ثم قال:
« إنني رأيت أن أدخله إياه وكل من سلب سلمأً فهو له ». 
فباحه بائثي عشر ألف درهم (٣). بروي ابن سحير المسقلاني عن شبر بن علقمة.

العبري قال:

(١) الطبري ٣ / ٥٥١ س ش س من محمد وطلحة وزيد.
(٢) الطبري ٣/ ٥٣ « عن عروة بن الريان عن سمعة بن محمد بن سعد.
(٣) الطبري ٣/ ٥٤ « عن عبد الله بن المغيرة العبدي عن الأسود بن قيس عن
أشياخهم شهدوا القادسية. 

١٦٩
بارزت رجل يهم القادسية فقتله فبلغ سله اثني عشر ألفاً فنفلي الأمير
سعد سببه (1).
كان شبر بن علامة نمذاجًا لرجل فقد بسطة الجسد وقوته ولكنها لم يفقد
إيمانه ومعنويته وفتوة قلبه.
و قام قيس بن المكشوف في المسرة فقال:
يا معشر العرب إن الله قد من عليم بالإسلام وأكرمك محمد صلى الله عليه وسلم فأصبحتم
بمنعة الله إخوانا، دو تستكم واحدة وأدركك واحد بعد إذ أنتي يعدو بعضكم على
بعض عند الأسد وتخطف بعضكم ببعضاً احتفظ المثاب، فانصرفوا الله
ينصركم وتستجيزوا من الله فتح فارس فإن إخوانكم أهل الشام قد أجيز الله
هم فتح الشام وانتشال القصور الحر والحصنون الحر (2).

ونظر عروج بن معدوي كرب إلى فيل كان تجاهه وقال لمن معه من بني زبيد
[في المسرة]: «إن حامل على الفيل ومن حوله فلا تدعوني أكثر من جزء ر
جذور مقدار ذبح جبل» فإن تأخيرتم عنني فقدتكم أبا ثور فإنني لكم مثل
أبي ثور، فإن أدركموني وجدتوني وفي يدي السيف».

ثم حمل عليهم ففأشعى عن عزمه حتى ضرب فيهم وسره الغبار عن أصحابه.
قالوا: «ما نتظرون؟ ما أنتي خلفنا؟ أنت تدور كوه وإن فقدتتم فكتماً
المسلمون فارسهم».
فحملوا حملة فانفرج الفرس عنه وقُدّد أوقفوه وطعنوه وطعنوه فوره وما
زال ينفخ في يده يضاريهم به. فما رأي أصحابه وقُدّد مرّ به رجل من العجم
على فرس له، أخذ عروج برجل الفرس فلما خرجه راكبه اضطراب والتفت
الفارس إلى عروج فنهبه ولكن المسلمين حملوا عليه فنزل عن فرسه - الذي قيد
عروج أقدامه - وجرى نحو أصحابه.

(1) الاصابة 956.
(2) الطبري 3/ 540 من أبي كيرمان الحسن بن عقبة.
قال عمرو: «أمككوني من لجاهه».
فأمككونه(1) منه فركبه بدلًا من فرسه.

الألفاظ في المعركة.

واستعمل الفرس الألفاظ فوجهوها ضد كتائب الفرسان فعادت تفرقها كيوم أرمات. فلما رأى سعد ذلك أرسل إلى الفرس الذين أساهوا وانضموا إليه، ضخم وسمسل ورافع وعشقشيق(2) والزئيل وأصحابهم فدخلا عليهم. فسألهم عن الفيلة وهل لها مقاتل؟

قالوا: «نعم، المشافر والعينون لا ينفع بها بعدها».

وكان أكبر الألفاظ فيлан وضعها(3) رسم في القلب أحدهما أبيض وآخرة أسد وكتب أمام بني تيم والثاني أجرب وكان حيال بني أسد. وكانت جميع الفيلة الأخرى آلفة لهؤذين الفيلين تقليدهما وتتبعهما. فأرسل سعد إلى القعقاع وعاصم بني عمرو:

» أكني فيل أبيض.

والربيع إلى حمال بن مالك - أمير المشاة - والربيع بن عمرو:

» أكني فيل أجرب.

واوضح لهم مقاتل الألفاظ.

(1) الطبري 3/ 455 ش ه م عن القادم الحارثي عن الشعبي.
(2) « عن محمد وطلحة وزيد.
(3) وسمسل هو الذي أمره طلحة بن خويلد في غارته على معسكر الفرس بالنجف وجاء به إلى المقدم فأسلم. والزئيل هو الذي ركب في الإسلام بعد أن رأى رسم في النمام وهو بالنجف أبحر ملكاً ختمه سلاح أفلس ثم دفعه إلى النبي فدفعه الى عمر، فلما بلغوا العقيق عبر القطرة

ومال البدرجة فأسلم. أما الآخران ضخم ورافع وعشقشيق فلم نقف على قصص إسلامهم.

(3) نفس المصدر.
الطبري 3/ 456 ش ه م عن المجادل عن الشعبي.
فأخذه القعقاع وعانصم رجعين أصبحم لينتين ودُبَّا في كنبية من خيل ومشاة.

وقالا له: «اكتنفوه لكيروه».

وهما معهم فأطافوا به وخلالوا حراسه والجموا معهم. وظل الفيل متبسرعة بنظر يمنة ويسرة وهو منجي، فحمل القعقاع وعانصم على الفيل وهو متشاغل من حوله فودعا رجعينًا معًا في وقت واحد وتنسيق في عينيه. وجلس الفيل على يديه ورفعته ونفض رأسه فألقى سائحة من فوقه ولدلى خروطوه، فنقل القعقاع ريحه إلى بصره واستغله سيفه ففتح الخرطوم قطعه ورمى به على الأرض، ووقع الفيل على جنبه وقد أعفى، وسقط من كان في التوابيت فوقه فقتلهم كتبية القعقاع وعانصم.

وفي نفس الوقت كان حسان بن مالك والرئيل بن عمرو يقولان لبني أسد:

» يا عشائر المسلمين أي الموت أشد؟!

قالوا: «أن يشهد على هذا الفيل».

فخرجنا إليه في خيل ومشاة حتى أطافوا بالفيل الأربعة عن عينه وشماله لكيروه وقال جالس للرئيل:

» اختبر إما أن تضرب المشفر، [بالسيف] أو أطعن في عينه [بالرمم] أو تطعن في عينه وأضراب مشفره.«

فاختار الرئيل أن يضرب الخرطوم. وخلال مع كتبتهما فلما تتشاغل الفيل بلاحظة من أحاطته به من المسلمين وانشغل سائحة أيضًا ليخاف إلا على بطنان [أحزمة] فقد كان ما زال معقدًا من تقطيع أحزمة الأدوات يوم أرماح، فكان مشغولا بذلك ينظر إلى أجنحته وإلى خلفه في ملاحظة مستمرة لأولئك الذين أحاطوا به. إذ ذاك نفذ جالس والرئيل ونزفت معرفه [نورها] حتى إذا قاما على أطراف حواضها ضرباً حسبه على الفيل وسدد حاسماً طعنة برمه إلى عين القفل، وفوجيء الفيل بالرمم في عينه قد عرَّرها فأفعى على إسناه مفترشاً رجليه وناصبًا يدته ووطنيه، من خلفه من العجم ثم استوي واقفاً ففتح الربيل.
خَرَطُومَهُ بِسَيْفِهِ فَقَطْعَهُ وَبَصَرَ سَائِئَهَ بِالرَّبِّ فَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَجَبِينهِ
بِالطَّيْرِ بِنْ نَصُورٍ مُنْكِرَةَ حَطَبَهُ بِهَا أَنْفُهُ جَعَلَ أَنْفَهُ غَيْرَ أَنْفَهُ أَفْلَتْ بِهَا.
وَبِيَّ الْقِبْلَةِ الأَخْبَرُ - الَّذِي أَعْمَاهُ الْتَقْعَعُ وَعَاصَمُ وَقَطْعَةٍ خَرَطُوْمَهُ -
مُتَّلْدِيًا بَيْنَ السَّفَينَ - سَكَّانُ أَنْفِ صَفِ اللَّعْمَانِ وَخُزْرَهُ وَإِذَا أَتَى صَفِ المَجُوس
فَخَوَاهُ وَهُوَ يُصِبُّ صَحَابَةَ الخِنزِيرِ. وَوَلِيَّ الْقِبْلَةِ الأَخْبَرُ - الَّذِي عُرِيَّهُ مَالِك
وَالرَّبِّي - وَهُوَ يُصِبُّ أَيْضاً فَرَقَ غَضْبَا بَيْنَ صَفُوْفِ الْفَرْسِ يِدْوِسِهِمْ، وَأَفْلَح
صَيْحَاهُ اِسْتِبْناءَ الْأَفْيَالِ الآخِرِيَّة، وَأَنْتَفَتْ مَيْلُهُ أَنَّهُ يَبْتَسُ فِي الْعَمْيِ فَأَبِعَتْ كُلَا
وَخَرَّقَ صَفُوْفِ الأَعِاجِمِ وَعَرْبَتَ العَمْيِ فِي أَثْرِهِ وَظُلِّلَتْ مَنْطَقَةُ حَتَّى بَلَغَ
الْمَدِينَاتِ فِي تَوَابِعِهَا وَفَقَدْ هَلَكَ مِنْ كَانَ فِيَّا.

الْحَزَّةُ بَعْدَ الْضُّوْرَ يُمْمِئُ إِخْرَاجَ الْأَفْيَالِ مِنْ الأَمْرَكَةِ قَبْلَ الْضُّوْرِ فَلِيّ ذُهْبٍ (١٢) وَخَلَصَ النَّاسُ
بِالْفَرْسِ وَهَيَّالٌ ذَرَّاحِ الْمَسْلَمِينَ وَحَمَّاهُم فِرْسَاهُمُ الَّذِينَ قَاتَلُوا أُولُ الْفَتْحٍ
فَاجَبَتَهُمْ بِالسَّيِّبِ عَلَى حَرُسِهِ حَتَّى الْمَسَاءِ. وَتَكْنِبَتْ كَتَابَةَ الْإِلْيَبِ المُخْفِيفَة
الْمِرْقَعَةُ فَكَأَنْوَ بُرْزَوْنَا بِعَرُوْقُهَا لِتَقُدَّمَ وَكَفْكِفَا عَنْهَا فَجَوُهَا. وَفِي ذَلِكْ
قَالَ الْقَعَاهُ بَنُ عَمْرُوَ:
حَضْرَتَ قُوَّامِي مُضْرَّعُ يَعْمَرُّنَّ فَلِيّ قُوَّامِي حَيْنَ هُزُوْنَ العَوَّالِيَّا
وَمَا خَمَّ عَنْهَا نَمُّ سَلَتْ جَوَّهَا لأَهْلَ فِرْسَاهُمُ الْمَلَكَّيْنَ فإِنَّهُ قُالَتْهُ فِي الْحُرُقِ الدُّخُالِيَّة
فِي أَرَايْهَا كَالْبَيْوْكِ مُخْغَرَةَ أَسْمُعُ اِسْلَمُ أَعْيَانَهَا مَا وَقَى آمَنُّ النَّاسِ يَوْمُ عَمَاسٍ وَطَعَنُوْنَ فِي الْلُّيْلِ وَهُمْ عَلَى قَتَالِ.
وَكَانَ عَشْرَةَ إِخْوَة١.

١) فِي الْمَنْجَدِ، الطِّيْرِ وَالطَّيْرِ بِنْ نَصُورٍ: الْفَقْسُ مِنْ السَّلَاحٍ وَهُمْ مِنْ الدَّخِيلِ (عَلَى الْعَرَبِيَّةِ) أَهْدَ.
٢) وَهُوَ نَوْعُ مِنْ الْفَلَيْتِبَةِ كَانَ يَتَسَلَّجُ بِهَا سَائِلِوْ الْأَفْيَالِ وَوَظُرَّرَ اِسْتِعَمَالُهُ فِي الْجُيُوشِ الفَارْسِيَّةِ الْقَدِيمَةِ
وَالْتَرْكِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ، رَجَعَ مِنْ الْطِّيْرِ الْأَمْرِيَّةَ فِي الْتَقْصِيدِ الْحُرُقِيِّ لَفُرْسٍ - دَارِ النَّفَاسِ.
٣) الطَّيْرِيَّ ٣٠٥ سُرُّ سُرُّ عَنْ مُحْمَّدِ وُطَالُةٍ وَزِيَادٍ.
من بني كاهل بن أسد يقـال لهم بنو حرب هم عـقاـق بن حرب وإخوته فكـان
أبدهم (1) يبقـر ليثـذ وينقول: أـنا ابن حرب ومعـي محرقـي أضحـيهم بصـارم رقرقـاق
اذكره الموت أبو أسـحق وجاـشت النفس على الشرقـي
صبرـا عـقاـق إـنه الفراق
فأصاب في فحـه فقال:
صبرـا عـقاـق إـنها الأـسوار صبرـلا لـن تغـدر رجـل نادرـه.
فاستشهد من ضريته تلك.
وأما إلى علم سعد أـن هـنـاك غـنـاية أـسفل من العسكر [مـر ضحـل في
المستنعقات الواقعة إلى مـهـبة وفـي العـمق ] فقـسـح (2) أن يـكون الفرس قد فـطنوا
اليها فانتقى أثـنين من أنتفـصـاله وأقوـامه وهمـا طـلـيـة بن خوـيـل الأـسـدـي
وعمر صـناعي كـرب الزبـيـدي، فبعـثها لـيقوما عـليـهـ يـنـسـب المـوس
من جهـة وقـال لها:
"إن وجدنا التقوم قد سبقوكا اليها فأنزلوا جيـاهـم، وإن لم تجدوا علموا بها
فأنا حتى يأتيكـا أمري".
فُخـرـجـا في بـعـض من معـهـ وقـد كـان آن من رؤـساء أـهل الردـة، ووـكان عمر قد
عـهد إـلـى سعد أـن لا يـبني أـحـدا منهم عـلي مـا، فـلما انتـهـا إلى المـهـبـة لم يـرـبـا
فيـها أـحـدًا.
فقال طـلـيـة: "لـو خضـنا فأثـنـا الأـعـاـجـم مـن خـلـفـهم".

(1) الطبري ٣ / ٥٥٨ قال: كتب إلى السري عن شبيب عن سيف عن قدامة الكهالي
عـن حديثه.
(٢) الطبري ٣ / ٥٥٨ سـم عن النضر عن ابن الرفيق عن أبيه عن مجد بن أبي شجاع
"٣٣ / ٥٥٧ " عن عمر بن محمد عن عبد الرحمن بن جعفر. (ذكره
ابن حجر، عبد الرحمن بن حبيب الأサンدي) ومنه من نبأ على إسلاـة في بني أسـد وفارـق
طلبيـة لما وردت - الاصـابة ٣٧٠ وكان من رواية الفتوح.

١٧٤
فقال عمرو: «لا بل نعبر أصل».  
فقال طليجة: «إن الذي أقول أرفع للناس».  
فقال عمرو: «وإنيك تدعوني إلى ما لا أطيع».  
فانتفأها. ففتحها طليجة بمرفده نحو الأعاجم من وراء العتيم وقد عبره. أما عمرو فقد سار العتيم إلى أسفل من الموضع الذي عثر منه طليجة ومعه من الجند من كان معه ومع طليجة ثم أغارا فشعرهم الفرس. وكان الذي خشيهم سعد فبعد فسق بن المکشوج المрадى (1) في آثارهما في بعين رجل، وقال:
«إن لخفختهم فأتت عليهم».  
فلا بل الخاسرة وجر الفرس يكرون عمراً وأصحابه فكفرهم قيس بنهم، ثم أقبل على عمرو يلومه فتجادلوا واشتدتا فقال أصحاب قيس لعمرو: «إنه قد أمر عليك».  
فغضب وسكت على مضض (2) وقال:
«بتأمر علي رجل قد قاتله في الجاهلية عمر رجل!»

نصوص من طليحة

أما طليحة فقد مضى حتى بلغ ردم العتيم خلف جيش الفرس، فوقفا جاهزين ثم كتبوا تكتيرات في ذهب فعلوا الظلام، فراعي الفرس وتعجب المسلمون، وكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك وأرسل الفرس في طحه فلم يعلموا.

(1) يقول الطبري: «وكان من أولئك الرؤساء الذين نهى عنهم أن يباشرهم المائة»، وظني ذلك خطأ فقد كان فيس بن المکشوج المرادي قائد ميمنة هاشم في انتقالهم من الشام إلى العراق، وكان من الثامنين على إسلامهم حين الردة وكان له دوره وذكره في قمع ردة اليمن.

(2) كا مباغضين وتأت بها أمور في الجاهلية، وفي عمرو قال قيس:

دف لاقتني لاقتيت فرنا وودعت الاحبة بالسلام  
لملك موعدي بني زبيد ومما قامعت من تلك اللحم  
ومثله قد فرنت له نديبه إلى القيصر يشي في الخطة  
الاستياءب 3/ 35 ـ الإصابة 37315 ـ 37319 ـ 7241.  

175
 Ain Sakkal. وفرح المسلمون وسألوا عن ذلك وما يدرون ما هو. وسهل طبيعة
حتى خاص الخدمة ثم أقبل إلى العسكر فأتي سعدًا وأخبره بما كان.

لماذا عباس
كان التفوق ظاهرا للفرس يوم أرماح. وكان التفوق ظاهراً للمسلمين يوم
أغواط. أما يوم عباس فقد كان من أولى إلى آخره شديداً: المسلمون والمجوس
فُقه على السواء. ولا يكون شيء إلا تلاقى الرجال بالأصوات حتى بلغ يدجرد
الثالث بن بشرير في إيوانه، وقد بث الله تعالى الأصوات حتى يبلغه
فتوة بيته، فقولاً ما أفهم الله تعالى في يومين وما أتيح لهم بوصول هاشم
لكسر ذلك المسلمين. وقد انتهى الطريقان يوم عباس على سواء كله بيوم
معنًى اسم اليوم الأول من أيام القادسية - أرماح، وعندما
عرفنا تعليماً معنًى اسم اليوم الثاني أغواط، وقبل أن نمضي مع الأحداث نفس
معنًّى يوم عباس
وليلة الهرير.

في اللغة يقال: عَمِسُ اليوم وعَمِسُ إذا أبدت وأظلم، ويوم عباس شديد
وحرب عباس وعمس شديدة. وليل عباس شديد الظلم (1). والعباس أيضاً
الأسد الشديد. ولقد كان يوم عباس يوماً شديداً يفسر لنا اسمه على هذا الوضوء.
والهرير من هر الكب حزراً إذا صوت دون نباح. ويقال: هر الكب
صوتت. والهار: الكب إذا كسر من أنابه. ولقد كانت ليلة الهرير أصواتاً
في سمث دون كلام ومن ذلك اكتسبت اسمها.

---
(1) الطبري 3/ 553 من مجمل عن الشعبي.
(2) النجدي.
ليلة الهيبر

كان حادث طريفة هذا الذي أدى إلى تحاز هرسة مهنة لتجديد التعبئة.
فكان المسلمون على تعببتهم السابقة في ثلاثة صفوف. الصفوف الأولى للرماة، و
الصفوف الثانية للخيول، والصفوف الثالثة للزوجة المشاة من جلالة الرماح وأصحاب السيف
بطول الجبهة. وخرج فرسان المسلمين للطراد، فخرج عبد الله بن
دي السهمي الخمني وخرج

مسعود بن مالك الأردي وقيدس بن هبة الأردي وعاصم بن عمر التميمي
وأبناي لبردين الهلايا وأمناه، فانبعثوا للقتال. ولكن الفرس لم يتحركوا
والذي هم لم يشدون ولا يريدون غير اللحاف، وإذا رسم قد جدد تعببتهم على
أمر لم يكونوا عليه في الأيام الثلاثة السابقة. لقد رأى في المبارزات السابقة أن
المستوى القتالي للمسلمين يفوق المستوى الفارسي وأن النتيجة كانت دائمًا في غير
صالحة فقرر أن يكون قتاله الليلة زحفًا لا كراً وفراً. فقد جمع صفاً من الفرسان في
القلب له أذان في الجندتين وتابعه آخر مثله، وآخر حتى تمت صفوفه من الجبل
ثلاثة عشر صفاً.

( القادسية - 167)
ولأقدم فرسان المسلمين يبغون الطراد والمارزة فلم يخرج اليوم أحد، فرومهم بالنبال فلم يستهم ذلك عن ركوبهم وهم على مواقفهم. ثم تكتبت الكتابة من مشاتهم خلف فرسانهم.

هذا الذي فعله رستم في صف صفوفه ليلة الهجرة هو الذي وصف الضابط الروماني آمين مارسيلين عليها له وأثنى في الجزء الأول من كتابه الطريق إلى المدن. فصل النظم العربي للفرس، من باب فارس تحت حكم الساسانيين.

زحف بعيد إذن

الفریقان ووقف كل في انتظار أوار قُسۡائه فوِق عدا التراسق بالسهام نتر ذهابا وإبابا في هـذا الاتجاه أو ذلك. وأتى من جهة الفرس سهم مزدلف فأصاب خالد بن يعمر التميمي من بني عمرو من تيم. وبدا أن القمع كان يتضوئ لقتل ومل الوقوف فحُكمت إصابة خالد فحمل على الجهة التي خرج منها ذلك السهم وقام من مه على ساق فحملوا معه وهو يقول:

سَقِى الَّذِينَ كَانُوا عَوُمَاءٍ فَقَرِبَ عِنْدَ يَعْمَرِ 
ذِهَابَ غُوَادٍ مَّدَنٍ فَمَنْ تَمَجَّجَ 
فإِن زِحل الأُوَّام لم تَزَحَّلٌ 

فراحهم القمعاء – والناس على راياتهم ووقف – بعيد إذن سعد وبقي

(1) المزلف الذي يسقط بقرب الهدف ثم يثبت فيصيب الهدف - أنظر الإصابة بالسهام في فصل القوس من باب أسلاحة العرب - الجزء الأول من "الطريق إلى المدن".
(2) الأفراس: الريح الحارة يكسر الإنسان عينه من حرها، والظفرة الأفراس: أشدها حرآ، ي想了想: يقتله. زحل: هرب.
المسلمون بسائر الجهوة وقوفاً في انتظار تكبيرات سعد إلا من خرج للطراد أو
تكتب مع القعقاع.
قال سعد: «الهم اغفرها له وانصره، قد أذنت له إذ لم يستذني. واتباه
سائر الليلة» (۱).
وأقر سعد أمام الناس ما فعل القعقاع وقال:
«إن الأمر الذي صنع القعقاع، فإذا كبرت ثلاثة فازحوا».
ثم كبر تكبير فتحب المسلمون للزحف ورحى الحرب تدور على القعقاع
ومن معبه.
وقام قيس بن هبيرة الرازي فقال:
«إن عدوكم أبي إلا المزاحفة، والراي رأي أميركم وليس بأن تحمل الحيل
ليس بها الرجالة [المشاة]، فإن القوم إذا زحوا وطاردوهم عدوهم على الحيل
لا رجال معهم عترووا بهم ولم يطبعوا أن يقدموا عليها، فتleursوا للحملة».
فتهروا وانتظروا تكبير سعد وهجوم المسلمين. حينذاك كانت نشاب
الفرس ما زالت تجوز صف المسلمين ورماة المسلمين برمونهم (۲).
وقام الأشمت بن قيس الكحالي فقال:
يا مشر العرب إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ولا
أصبى أنفساً في الدنيا. تنافصوا الأزواجه والأولاد لا تجزوا من القتلة فإنهم
أمانة الكرام ومنيا الشهداء».
وترجل عن فرسه (۳).
وقال حنظلة الكاتب [بن الربيع - من بني عمرو من تميم]، وأمراء الأعشار

(۱) الطبري ۳/۶٥۹ «عن النضر عن أبي الرافع عن أبيه عن حمزة بن أبي شجار».
(۲) «عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبه عن أبيه».
(۳) «عن عبيد الله بن الأعلى عن عمرو بن مورة».

۱۷۹
و ترجعوا أيها الناس وافعوا كما نفعل ولا تجزعوا مما لا بد منه فالصبر أحق من الفزع.

و فعل غالب بن عبد الله الليثي في بني حمامة وطبقة بن خويلد وحمالة بن مالك في بني أسد وأهل النجدة في كل القبائل ففعلوا (1) مثل ذلك. ونزل ضرار بن الخطاب القرشي. وكان كل المسلمين في أوج حمسهم وقامة مقوىهم فاستلموا تكبيرات سعد.

و زحفوا أخو بهزير إذن.

فما كبير سعد التكبير الثانى لم ينتظر عاصم بن عمرو التكبير الثالثة فحمل وانضم إلى القعقاع. ولم تنتظر أسد أيضاً فزحفت وحملت بالقعاع وسعد ينظر إليه من فوق قديس. قيل حملت أسد.

قال: "الهم اغفرها له وانصرهم، وأشدا الليلة.

وقسام دريد بن كعب النخعي وكان معه لواء النجع إحدى قبائل الميسرة فقال: "إن المسلمين قد تشهدوا الفزاحية فاستروا المسلمون الليلة إلى الله والجاهل. فإنه لا يسبق الليلة أحد إلا كان ثوابه على قدر سببه. يافوسهم في الشهادة وطيبوا بالموت فأنجز من الموت إن كنت تريدون الجحيم إلا فالآخوة ما أدركتهم" (2).

وحمل وحملت النجع قبل السعد: "حملت النجع.

قال: "الهم اغفرها له وانصرهم، واخذها سائر الليلة.

و كان أرطاة بن كعب بن شراحيل النخعي يحمل لواء النجع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقده له يوماً. تقدم به أرطاة فقتل فحمله بعده أخوه دريد [وقيل زيد] بن كعب فقتل ثم أخوه رضي الله عنهم (3).

(1) الطبري 3/ 660 و شمس عن عمرو بن محمد.
(2) 3/ 560 و عن المستور بن يزيد عن حديثه.
(3) أسد الغابة 2/ 188 - الإصابة 72 - 2395.
ثم حلت نجيلة فقال سعد: لَيْلَمَا إِغْفَرَهَا لَهُمْ وَانْصَرَهُمْ، وَإِجْيَانَاهُ،
وكان أمامه كندة قائد مجبوع يدعى ترك الطبري فقال الأشعث بن قيس:
«يا قوم ازحفوا لَهُمْ».
فزحف لهم في سبعات، فقال: «حملت كندة».
قال سعد: «وأكنداه».
وقتل الأشعث تركا فقال راجزهم (1):
نحن تركنا ترككم في المصطرعة، محتسبا من بحارهم الأبحر.
وقال الحارث بن سمي المداني (2):
أقدم أخافهم على الأسورة، ولا تهان لهروس نادرة.
فلكل قدرك موت الساهرة، ثم تعود بعدها في المغارة.
وتتابع أكثر الناس على الزحف فصوا سعدهم ولم ينظروا التكبير الثالث
إلا الرؤساء. ثم كفر سعد الثالثة فزحف الرؤساء بن انتظروا فلحقوا بصحائهم
وخلتصوا العجم المجوس وكان ذلك بعد أتي صالوا العشاء (3) فاستقباوا الليل
وقامت الحرب على ساق حتى الصباح واحتدم القتال بضربة وعفف، واجتذبوا
طوال الليل لا ينطقون، كلهم الهرير كأنهم يضحكون مثل الحبل ولذلك سميت
ليلة الهرير (4).
وكان نجاة جعفري [في المسيرة أيضا] كتيبة من كتائب العجم عليهم السلاح
النام، ودروع الحديد فزحفت جعفري اليهم والتحموا بهم فرأوا أن السيف غير
مؤثر ولا تعمل في الحديد فارتدوا عنها.

(1) الطبري 3/ 630 مث س عن مجالد عن الشعي.
(2) المصطرعة: المصاف، عوضيا: قاطعا. السبرة: عرق عنق.
(3) الإصابة 1919، وقائل الحارث بن سمي بن رواس بن دانان بن مصعب بن الحارث بن
مرهف. وقيل: إن هذا الرجح لمرهف.
(4) الطبري 3/ 626 مث س عن عمو عن النضير عن السري.
(5) عمو عن الأعور، ومحمد عن عم النضير عن ابن الرقيل.

181
قال: "لا يجوز فيهم السلاح.
قال: "كما أنت كثير أريكم.
وحمل على رجل منهم فداوره حتى دق ظهره بالرمح ثم النفت إلى أصحابه
يشرّهم ويشجّهم ويقول: "ما أرام إلا نموتون دونكم.
فحماو على طريقة حيضة فاز روهم" إلى مواطنهم الأول.

التحام رهيب

وقال أنس بن الحليس: "شهد ليلة الهير فكان صليل الحديد فيها كصوت
القرون [الحدادين] ليلهم حتى الصباح أفغع عليهم الصدر إقراراً وثابت سعد
بله لم يبت بثلاها وأرى العرب والعمام أثاراً ما سمعه مثله قط وانقطعت الأصوات
والأخبار عن رست وعن سعد، وأقبل سعد على الدعاء حتى إذا كان وجه الصح

في انقطاع الأخبار عن سعد كان يحمل في الظلم يحاول أن يرى شيئاً ويصيح
السمع يحاول أن يسمع شيئاً فكان أول شيء سمعه يثبت منذما يستدل به على غلبة
المسلمين صوت القمعاء بن عمرو في النصف الثاني من الليل يقول: (3):

نحن قتلينا وشيئاً وزائداً نحسب فوق البد الأساودا
أربعة وخمسة وواحداء
حتى إذا دعوا دعوت جاهداً
الله ربنا، واحترزت عامداً

ويجت سعد عن أحد عند لعبته فلم يجد إلا غلاماً يدعى بعبد فارس.

إلى الصف وقال له:

(1) الطبري 3 / 562 ش من عن محمد بن جرير العبدي عن عابس الجعفي عن أبيه.
(2) " 3 / 561 " عن محمد بن نورة عن عم أنس بن الحليس.
(3) " 3 / 562 " عن عمرو بن محمد عن الأخور بن بياض المنشاوي.

182
» أنظر ما ترى من حالهم».
فذهب ورجع فسأله سعد: ما رأيت أبي بني؟
قال: رأيتهم يلعبون.
فقال سعد مازحاً: أو بيدونون!! (1).

(1) الطبري 3/616 س من عن عمرو بن الريان عن مصعب بن سعد.

183
الباب التاسع

يوم ١ القادسية
الأحد ١٥ شعبان ١٩٣٦ (ايلول) م

الصبح المربع

تنفس الصباح وما زالت الملحمة الرهيبة دائرة، تلك الملحمة التي بدأت صباح أمس لم تنتخلها إلا فترة تجاوز قصيرة حين كسر طليحة من وراء الردم الذي على العتيق. هذا الصباح يطلق عليه الرواة اسم "ليلة القادسية" وآلا ندري لماذا قالوا عن الصباح ليلة. يقول الطبري (١) : 

"أصبحوا ليلة القادسية وهي صبيحة ليلة الهجرة، وهي تسمى ليلة القادسية من بين تلك الأيام ... ".

أصبحوا والناس كانوا متبعون لم يغضبس ولم يعد لهم جفن ليلتهم كلها. المسلمون والمجوس في ذلك سواء. ودخلت المعركة يومها الرابع وقعدت اشتدت خلافها ليلتين وما زالت تتراوح في الميزان. ومع ذلك فقد صار واضحًا أنها تقترب الآن من نهايتها. وأن هذه النهاية ستكون من صفر، فقد بلغ الجهاد من الفريقين وما هي إلا أن يحور أحدهما قبل الآخر أو يصير أحدهما بعد الآخر. ليس إلا هذا.

واس ترود نحو رستم

كان الفقهاء العظمي أكثر الناس لإدراكًا لهذا فسار في المسلمين يشدهم أزورهم

ويثبت الصبر فيهم ويقول لهم:

(١) الطبري ٣ / ٦٣٣ من شمس عن محمد وطلحة وزيد.
إن الدبورة [الهزلية] بعد ساعة من بدأ القوم [بالتخاذل] فاصبروا
ساعة واحدة، فإن النصر مع الصبر، فآثروا الصبر على الجزع.
وكان القمعاء مقتناً لما يقول فاراد أن يصنع شيئاً يشذ به أزهر المسلمين
ويعمل لهم به أسوة وقودة، ويبدأ به تجربة الفرس فقذ نضجت الطبيعة
بما فيه الكفاية، وصدق الله القمعاء إذ يقول عن نفسه:
يدعون قمعاء لكل كرية فيجب قمعاء دعاء الهاتف
فاجتمع إليه جمعة من الرؤساء فكانوا رأس حربة وجعلوا هدفهم وجههم
5 رسم، وشددوا عزائهم، وهو يتجه نحوه والفرس يدافعون بإعجاب، حتى قدر
ما يلبس من طاقتهم، حتى خالط القمعاء ومن معه جماعة رسم الذين يقفون
من دونه.

خريطة رقم (١٣) القادسية (٧)
٨٦
كان ذلك مع الصبح، ومنع هذا أن القعقاع ومن معه من تم ورباب
استنطروا فيها فدعنا في قلب الفرس، وأن يدعوا إسمياً يتقدم إلى الأمام
نحو رستم، وكان على المسلمين أن يعسووه ويتفقوا فيه.
ورأت القبائل ذلك فقام فيها رجال. قسم قيس بن عبد يغوث المرادي
والأشعة (1) بن قيس الكندجي وعمرو بن معدى كرب الزبيدي، وعبد الله بن
ذي السهمين الجنسي [كلهم في المسيرة] وقام ابن ذي البردين الهلالي، فقالوا:
ً لا يكون هؤلاء [تميم] أحدها في أمر الله منكم، ولا يكون هؤلاء القلائف (2)
[يقصد المجوس] أجراؤا على الموت منكم ولا أسنة من الدنبا الانتفاسوها.
فتحمل كل من جبهة حتى ضغطوا على من أمامهم. وقام رجال في ربيعية
- بكسر بن وائل وعبد القيس - قالوا:
"أنت أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم في مغت، فما يمنعكم اليوم أن
تكونوا أحراراً ما كنت بالجراة!"
فحملوا كما جمل غيرهم.
كان هذا الالتحام عندما منذ حوالي ثلاثين سنة دون توقف يذكر، فأي
جديد إذاً في قول القعقاع ومن حقذا حذوهم من أبطال المسلمين؟ الجديد أنه
استنثارة لهم وصلب لعذورهم وثب للصير فيهم. إنه تجديد حيوتهم حين كل
الجميع من جنس ومسلمين. هذا يعد هذا الجهاد المضني والاختبار الشاق
الصعب تظهر خواص وميزات العنصر البشري في المعركة. لقد عرضنا لذلك
في باب "أثر البيئة على الفرد العربي" من الجزء الأول من سكتاب "الطريق إلى
المدائن"، وسنعرض في باب خصامي لمواد نجاح الفتح الإسلامي، ذلك عن
جانب المسلمين. كذلك عرضنا للعنصر البشري للجانب الفارسي المجوسية حين
تعرضنا لطبقات المجتمع الفارسي وأثر ذلك على النظام الحربه عندهم. هذا وذالك

(1) نفس المصدر + فتوح البلدان ١٤٣.
(2) قلب الصبي: لم يختن. القلقة: جذوة عضو التناسل، والألقفل من لم يختن. أغلب
القلب لا يعي خيراً - المجد، والقصود به هنا المجوس.
بدأت آثاره تظهر على أرض المعركة في القادسية بعد أن طال انصهارها في بيئة Newton on the sabbath hour. في تلك الفترة

بدأت آثار هذه المواجهة الساخنة جدًا بين المسلمين والمسلمين والجو تظهر. فقد كان هناك استمرار في التصور أن يستمر هذا الالتباس إلى ما لا نهاية. كان عليه حتما أن ينتهي وأن يسفر عن شيء. هذا الشيء لم يكن يحكمه ما يظهر للعين المجردة من أعداد ضخمة ومن أعداد نظر يتغيب ومن فرسان ومشاة ودروع ورماح وسويون ورماح وتعرض وعندما يقدر ما كان يحكمه ما قرب في أعقاب كل من الفريقين من ميزات وخصائص. فمن المؤكد أن نتيجة أي معركة تحدد في قلب المتعاركين قبل أن تظهر على أرض المعركة.

الإيمان سلاح المسلمين

لقد كانت معنويات المسلمين تزداد علواً كما احتاج الأمر إلى ذلك، وهنا نستطيع أن نقول إن النصر في هذه المعركة كان الإيمان هو عده وأدائه.

ولقد رأينا كيف كان يقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون يقارعون التاريخ. إن النصر اليوم ليتمله وليصبح بأذنيه ليس من وراء أربعة عشر قرناً من الزمان حديث الجنساء لأولادها ومقالة المرأة النفسية التجوية الاسم لديها.

وكلمات أبطال المسلمين في مواقفهم في الميدان.

عبد الله بن أم مكتوم الفرجي صحابي رضوان الله عليه كان كفيفاً ضريباً. وهو الذي أرسل الله فيه قوله تعالى: « هب وثوب إن جاء الأعى »، وشريعة الله تقرر الجهاد على أعيى، « ليس على الأعيى حرج »، عبد الله هـ هذا شهد القادسية! يقول أنس بن مالك (1) صحابي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « رأيت يوم القادسية

(1) أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان غلامًا كابنًا، وقد كان الساق

محمرونه جهلاً فعمر المديرة بتعليقها بدر أرار ما كان عنده منها. وكان يخشب بلفربة

أو بداخلة بباروس على أقوال، وكانت له ذويها. شهد بدأ وكان عمره حين قدم النبي المدينة

عشر سنوات. وهو من المكانين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دعا لمبكرة

188
عبد الله بن أم مكتوم الأعيى وعلى دير عجرافاً وبعده راية سوداء، قال:

"هل لا يتعلم قصد أنزل الله عذرك؟ قال: بل ولكنني أخص المسالمين بنفسي!"

وقال: "فكيف بسوادي في سبيل الله!" (١).

ومر المسلمون على رجل يوم القادسية وقد قطعت يداه ورجله وهو يفحص.

ويقول: "مع الذين أنعم الله عليهم من النجوم والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفقة!".

فقال له رجل: "من أنت يا عبد الله؟" قال: "رجل من الأنصار!" (٢).

أرسلنا عليهم أضحاً.

وحنين قام قائّم الظهر ببدأ قطاع هرمزان يتراجع أمام ضغط قبائل اليمن من بني قحطان، كذلك تراجع قطاع بيرزان أمام ضغط بني بكر بن وائل.

هذين البابتين بعد تقدم القتال في القلب كانت بداية النهاية. تراجع هذين القطاعين حتى عادا إلى حافة الميمنة فثبتا مرة أخرى ثبوتًا أضلاعًا. واستطاع

= المال ولد، فولد له مال ولد ابنه ثمانين ولد، وله ولد، ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد، وله ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد ولد.

ولداً، وكان له بساتين يجمع مخلصة صفارًا ونشرًا وكان له حائط عليه فتش أسد رابض كان يقدر أسلات بالذهب. وكان أسد أخذ الريف الصبحين وكان نادم ولده، أنت بوما بين يديه وربا، وموهب فيهم بكثرة إصابته، وكان ينفخ الخز ومطعمه. أثار الحاجز إذا آله نفسه، فماتت خمسة من الصحابة. وتوافر فيها من عام سبعين وثلاث وتسعة على روايات هو آخر من توفي في البصرة من الصحابة وكان موته بقرص ودفع على فرسين من البصرة (أدم الغابة ٤٨) (١).

(١) القرطبي في تفسير آية ١٦٧ من سورة آل عمران، قوله تعالى: "قل السدي وابن جرير وغيرهما: "لقد كشفنا عنا فلتخافوا وصدوا عنا فكونوا دعاء ومقاماً للعدو".

(٢) ابن مأمون هو مؤذن الرسول (مثل بالبل)، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أولي زوجات الرسول، أسلم قديمًا بعكة ومن الهاجر من الأولين إلى المدينة مع مصعب بن عمير، استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، وله أحاديث عن النبي، وقد استشهد بالقادسية.

(الإيضاح ٤٤، الإيضاح ٥٧) (٢)

(الفاروق الفائد ٣٥ عن الخراج لأبي يوسف)
الفكرة أن يعرض الأسبين الذي دفقه ومنفرج قلب حيش رستم. كانت الرياح نشطة في اتجاه يحمل غبار المعركة ويلقي به فوق المجوس. ثم اشتدت وهي دور (1) وعصفت فاقتلت طيارة رستم عن سيرته وأطاحت بها فهوا في نهر العقيق. ومع اقتراب القتال من رستم ازداد الغبار تجاهه مع تعرضه للشمس فقام عن سيرته. وقدمت عليه يومًا بغال من المدافع بأموال فكانت واقفة خلف سيرته.

خريطة رقم (14) القادسية (8)

وفي معركة القادسية اجتاحت الريح اتجاهها من الغرب إلى الشرق مع نشاط شديد، وكانت مع المسلمين ضد الفرس من يوم أرماح حتى نهاية المعركة.

190
 على ضفاف الميقق، وقف رستم إلى جوارها يستظل بظل بلغل منها وحده، وكان يحمل عدّلتين [حليتين متساويتين على جانبيه] مصغرة رستم.

واختفى سرير رستم عن الأنظار حين طارت عنه الطيارة. وانتهى القعقاع وكتبته من تيم والباب إلى السرير فماروا به وقعد قام عنه رستم. واقترب هلال بن علقمة الثيمي [من تيم الباب] على صورة جواده من ذلك البلغ الذي يقف خلفه رستم وهو لا يشعر برستم، فضرب الجبال التي تحمل العدلتين بسيفه فقطعة ووقع أحد العدلتين [نصف حولة البلغ] فوق رستم فأصاب ظهره إصابة بالغة، يقول الرواة: "فأتزل من ظهره فتناول" وعاد هلال يضرب الحمل.

خريطة رقم (15) القادسية (9)
فنشق مسكاً. ومضى رسم نحو العتيق، وأبصر به هلال وعرفه فتوجه إليه فرماه رسم بنشبة أصابت قدماه وشكثها إلى ركب سره – وكان الركب يصنع من الخشب (1) – وهو يصبح بالفارسيه (2): «باباه» أي «كما أنت».

ومضى رسم نحو العتيق وراح يتفخس ما عليه فألقى عنه ثقل جمه من سيف ودروع ثم رمي بنفسه في العتيق. وأسرع هلال فاقتحمه ورآه وقد عام رستم وهلال قائم فيه على قدميه قد أدركه وأخذ بيده ثم جذبه خرجبه إلى البر وضرب جبينه بالسيف فقلق هامته وضرب (3) أنهه قتله. ثم جرح جثته حتى رمي بها بين أرجل البغال.

حدث هذا والجميع مشتبكون في ضراوة حتى أنه يبدو أن أكثرهم لم يلاحظ ما حدث فصد فلاد بن عقيلة السري وأتدي يقول:

«قتلتم رسم ورب الكعبة، إلى»

فأتقاوا به وهم لا يرون السري ولا يحسنون به وكبروا وتنادوا اتفتذوا من مكان هلال فوق سرى رسم بئرة تجمع، وانهارع عند ذلك قلب جيش الموسى وانهزموا، وبلغ الإسفين مداح حتى السري وما وراء السري إلى العتيق وانفصل ما بين ميمنة الفرس وميسرتهم.

(1) يرجع إلى الجزء الأول باب الخيل والفرسية من كتاب «الطريق إلى الدائن».
(2) الطبري 6/38 696 ش سعن المجادلان عن الشهابي وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عيسى.
(3) الطبري 3/38 697 ش س عن حيدر بن سلامة عن عمرو بن سلمى.
(4) الطبري 3/464 697 ش سعن شعبة عن عمرو بن سلمة.
(5) الطبري 666 697 ش سعن النضر عن ابن الرفيق.
وفي رواية ابن اسحق (الطبري 3/76) أن هلالاً احتتز رأس رسم فعله وهي تناقض سائر الروايات.

192
محاولة انسحاب

ووقف جالنوس على الردم ونادى المحم إلى عبوره للانسحاب. حينئذٍ كان يستحبل على مسيرهم أن تتراجع عبر الردم وقد أخذت تتم والرباب عليهم السبيل، وتمكن جالنوس وهرمزان [جنحاج الميمنة] أن يعبروا على الردم والمسلمون يقتلون منهم. وركب الرعب المقترنين في السلام - وهما طبيعي - فهافتوا في نهر المتقيق، وأدركهم المسلمون فخزوه بالرماح ف enumerable منهم أحد، أو ذلك كانواثلاثين ألفاً.

وصل ضرار بن الحطاب القرشي إلى ساري «درفع كابيان» فانزلها من عليها لآخر مرة فلم ترتفع بعد أبداً. هـذه راية فارس الكبرى التي رآها

خريطة رقم (12) القادسية (10)

(القادسية - 13)

193
المومنون مرة واحدة قبل هذه، فهي التي كان يرفعها يحيى بن جذويه في المروحه حين هزم أبو عبيد الثقفي وقتله يوم الجسر. هذه الرواية الجرارة ذات الشمس البنفسجية والقمر الذهبي، ودرسها كابيان، ولعلها أشهر رائحة في التاريخ وقد أوردنا وصفًا لها في الجزء الأول من كتاب "الطريق إلى المدائن".

وحاجة للحمود

واستحيا بعض العجم من الفرار فثبت بعد أن استبانت الجريمة بضعة وثلاثون كنيسة واستقلوا ولم يتبعوا الفرار، ولكنه كان قاتل شرّاذم. فنصدي لهم بضمّة وثلاثون من روؤساء المسلمين (1) فين معهم، فكان أولئك العجم على وجهين: فقُمهم من ثبت حتى قتل ومنهم من عاد وهرى.

فكان من هرب:

الهرمزان وكان أمام عطارد بن حاحب الظفيمي.

وأهود وكان أمام حنظلة بن الربعي الظفيمي، وهو حنظلة الكاتب.

وزاد بن بُهْبُه، وكان أمام عاصم بن غرو الظفيمي.

وقارن وكان أمام القعقاع بن عمرو الظفيمي.

وكان من ثبت حتى قتل:

فرخان الأهوازي وكان أمام بسر بن أبي رضم (2) الحميمي.

وحسن وشيوح الهذاني وكان أمام ابن الهذيل الكاهلي (3).

وابن الهرمز وكان نجم ذي النور عبد الرحمن بن ريمع الباهلي، مات عليهم عبد الرحمن وقد تكبدوا ونصبوا للمسلمين فطهروا جثتهما (4).

(1) الطبري 3/695.
(2) باسر ابن أبي دين، قبل الحميمي، وهو برصر بن أبي رشدة (ومن حيث كانت جند الأهوازي ممنة جيش، وهم الذين ينسبح البسام فرسخان فإن هذا يعني أن ميسرة المسلمين ومن ذلك نذره إلى أنه كان من خضم.
(3) في رواية أخرى لقصة الرواة عمرو وصيده، أن زدجرد هرب من حلون عام(2) الطبري 4/624.
(4) الطبري 3/695.

194
وشرير بن كنارا وكان حيا لسان بن نبيبة الباهرية، وقد أبصرهم سلمان تحت راية لهم قد حفروا لها وجلسوا تحتها وقالوا لا نبرح حتى نموت، فحمل عليهم، فقتل من كان تحتها وسلهم {١} وأخذ الراية. وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية وكان يقال: «لا سلمان أبصر بالفعل من الجزائر بفاصل الجزور» {٢}.

وكان سلمان من مدد الشام.

وكان مع رستم في القادسية أربعة آلاف من الفرس يسعون جند شاهنشاه.

كان كسرى برويز قد أتى بهم من الفرس حين وجه إليها الجوهرة فقدانوا خدمته وخاصته ثم ظروا على تلك المنزلة بعده. فما قتل رستم وانهزم الجيوش اعتزلوا جانبا وقالوا ما نقح كهولاء {الفرس} ولا لنا ملحة، وأدروا عندهم غير جمل، والرأي لنا أن ندخل معهم في دينهم فنفعهم، فاعتزلوا، وأبصروا بهم سعد فقال: ما هؤلاء ؟ فأثناهم المتصرف بين شعبة فسأئهم عن أمرهم فأخبروه بخبرهم وقالوا ندخل في دينكم. فرجع إلى سعد فأثناههم فاسلوا وحالفوا زهرة بن حوية فأنزلهم سعد بحيث اختراوا {٣}.

وكانا كلما كان لدى الفرس من معنوية وعز وأصابهم الانهيار التسام وركبهم الذل والهوان. قال رجل من بنى عبس {٤}:

«أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهمموا ما أصاب الناس قبلهم، فقناوا حتى أن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتي حتى يقوم بين يديه فضرب عنقه، وحتى إنه لايأخذ سلاحه فيقتله به، وحتى إنه ليأمر الرجليين أحدهما بصاحبه وكذلك في العدة» { يعني بايمر العدد منها فقتل العدد}.

{١} نص المصدر السابق + فتح البلدان ٤٥٤ عن الوافي.
{٢} الطبري ٣٩٦/٣ عن شن عن الغصن عن القاسم عن النبي أن النبي قال...
{٣} فتح البلدان ٤٤٦/٤ عن أحمد بن سليمان الباهري عن السهمي عن أبي سفيان.
{٤} الطبري ٣٩٦/٣ عن شن عن سعيد بن المنذر عن رجل من بنى عبس.

١٩٥
ولقد شهد شقيق بن سلفة الأسدي القادسية غلاماً بعد ما احتل (1) يوي (10)

فيقول: "فهزمهم الله، فلقد رأيتني أشرت إلى إسوار منهم فجاء إلي وعلى
السلاح الناس قبضت عقنه ثم أخذت ما كان عليه.
وفي رواية عن الأسود المتحري قال: "شهدت القادسية، فلقد رأيت غلاماً
منا من النجع يسوق ستين أو مائتين رجل من أبناء الأحرار، فقتلذ أذل الله
أبناء الأحرار" (3).

وتم تطهير ميدان المعركة الذي كان يعج منذ قليل بأكثر من مائتين وستة
وسبعين ألفاً من البشر من الطرفين، لم يعد فيه الآن إلا نحو من ثلاثين ألفاً من
المسلمين المنصرمين بخلاف أعداد من أسرى الفرس وقتالهم الذين ملأوا الميدان.

مطاردة قريبة

كان ذلك بعد الظهر ولم يبلغ العصر. فأمر سعد القعقاع بن عمرو بتطبيق
من سفل في هربه نحو الشرق وخرج معه في تلك المطاردة أخره (4) عاصم.
وأمر شرحبيل بن السلم بقوة من ميسرته بطحادة من علا في هربه نحو
الشمال والشمال الغربي وذلك في مطاردة سريعة غير سريعة فالفاول ما زالت
قريبة. وأمر خالد بن عرفطة بسلب القتلى ويدفن الشهداء.

نفر القتلى

ما أعطىها معركة. لم يتج للمسلمين منذ صباح أمس - عاصم - حتى بعد
ظهر اليوم - يوم القادسية - أن يجمعوا شهداءهم. لقد عملوا في الأيام السابقة
ألفين وخمسمائة. أما في يوم عباس وليلة الهجر ويوم القادسية فقد استشهد منهم

(1) الطبري 3/ 645 ش س عن عبيد بن شقيق.
(2) " 3/ 688 نفس السنة.
(3) " 3/ 676/ 5 عن ابن حيدر عن سمعة عن ابن اسحق عن عبد الرحمن بن الأسود النخعي.
(4) " 3/ 650 س عن محمد وطهية وزيد.

196
ستة آلاف استقبلتهم ملائك الرحمن بالبشرى والسلام. فذاتهم إخوانهم الذين لم يبلغوا بعد منزلتهم بين خندق ساور ووادي ً(1) مشترق. فكأنهم شهداء الهجر والقادسية ألفين وخمسةفانوا وراء الخندق تجاه مشترق ودفنتوا شهداء عمس ثلاثة آلاف وخمسةألف على وادي مشترق.

خرج صبيان المسلمين ونساؤهم ومعهم الآداوي [أوعية الماء] فأنسروا من العذيب مع العشاء يسقون من به رمق من المسلمين ويقتلون من به رمق من المشترقين. فأن أجى امرأة همام (2) بن الحارث النخعي قالت:

ه شهدنا القادسية مع سعد مع أزواجاً فلما أتانا أن قد فرغ من الناس شدنا علينا ثيابنا وأخذنا الهرار أو ثم أتينا الفناء، فكنا من المسلمين صياماء ورفعناه وما كان من المشترقين أجزنا عليه، وتبعتنا الصبيان نويلهم ذلك ونصرمهم به ((0.

أما المجوس فقد قتل منهم يوم عمس وليلة الهجر ويوم القادسية عشرة آلاف خلف من قتل في الأيام السابقة وخلف الثلاثين ألفاً المقترين بالسلاسل الذين تعاقدوا في العتيق.

جنة رستم

جمع خالد بن عرفطة الأموال والأسلوب، فكان شيئا لا يجمع قبل ولا بعد في ميدان القتال مثلا. وبروي الرفيل الفارسي قال:


(1) الطبري 644/3 ـ عن ابن خزيمة عن أبي كعب الطائي عن أبيه.
(2) 581/2 ـ عن سليمان بن بشير عن أم كثير امرأة همام بن الحارث النخعي.
قال: ألقينه تحت قوائم الأغلب.
قال: كيف قتله؟
فأخبره حتى قال: ضربت جبينه وأنفه.
قال سعد: فأذنا به.
فذهب هلال فجاج به حتى رماه أمام باب القصر.
قال له سعد: جرحه إلا ما شئت.
فأخذ هلال سلمه حتى لم يدع عليه شيئاً وكان قد تخفف حين ألقى بنفسه في مياه المطيع قباع هلال الذي كان عليه بسبعين ألف درهم [حوالي 2000 جنية مصرية] ووضعته قلنسوته فلم يعثر عليها. وملأها سقطت في المطيع فغرقته أو جرفتها النهر وكانت قيمتها وحدها مائة ألف لُفظر بها.
وجاء نفر من المباد [لعلم الفرس الذين أسمعوا] حتى دخلوا على سعد فقالوا:
«أرجه الأمير، أرجو أن تدمن على باب قصره وعليه رأس غيره».
وكان الضرب قد شوهد، فضحك سعد (1). [و هذا يناقض أن هلاً قد احتز رأس رستم وعلقها]
ثم مطاردة عميقة.
ورجع القمعاء وشرحبيل من المطاردة، فقال سعد للقمعاء:
(1) الطبري 3/ ۶۶ / ٥٦٦ من ش. عن النضر عن ابن الرقف عن أبيه.
وفي فتح البلدان ٤٤١. يقول: «وقتل رستم فوجد بدنه ملأه ضرباً وطمعاً فلم يعلم من قاتله. وكان قد مشى إلى مدرة بمعدى كرب، وطمعه بن خويدل الأسدي وفطر بن جاح العبدي، وضرباً بن الأمرور الأسدي، وقيل قتله زهر بن عبد خمص البجلي، وقيل عوض بن عبد شمس.
وقبل هلال بن علاء النسيم. وقد أخذ أباه من هلال بن علاء هو الذي قتله.
أولاً: تضافر الروايات على ذلك.
وثانياً: لا أتكب تفاصيلها.
ثالثاً: لاستحالة اقتناع الأفلاطونية الأخرى إذا ضامنها بواقع من ذكر مع مواقع المسلمين بالفاضية.
خريطة رقم (١٧) القاديمة (١١)
«أغاد فيا طلب شرحيل.»
وقال شرحيل:
«أغاد فيا طلب القمعاع.»
فقال القمعاع وسافر شرحيل حتى بلغا مقدار الجزيرة من القادسية، فقنان فر ولرسُم في كل قرية وأجأ وشاطئه نهر، ورفع، ففُنِسا سعد المسلميين وأثنا على كل حي خيراً. جميل من سعد ألا يُنسى تهيئة جنوده وهو القائد المنتصر.
ثم أمر سعد زهرة بن الحوية أن يخرج في آثارهم في مطاردة أكثر عمقاً. فنانى زهرة في القدامات وانطلق حتى إذا أتينوا الرد ووجد الجيوس بقفو خلفهم ليوقفوه المسلميين عن طلبيهم. وكان زهرة على حصان ذكر، فقال ليكير بن الشداخ: (1) اللذي: «يا بكير أقدم». كان بكير على فرس أثنا اسمه أطلال.
وقد أُشتهر به فعرف بفارس أطلال، فضربه بكير وصاح بها:
«ثني أطلال.»
فتجملت ثم وثبت وكان البثق واسعاً واجتزائه، وأوثب زهرة حصانه خلفهما وكذلك سائر الخيل فاقتتحمته ونتابع على ذلك ثلثمائة فارس يخترون تلك العوجة، ولم تستطع كل الحيل ذلك ولأحظى زهرة أن بعض الخيل کاعت.
فنادي:
«خذوا أيها الناس على القنطرة وعارضونا.»
ثم مضى بالثلثمائة ومضى الآخرون يتبعونهم عبر القنطرة.

(1) الطياري ۳/۶۶۶ ش. ۶۶۶ ش. عن محمد وطهية وزيد.
(2) وقيل كان اسمه بكير بن شهد بن شهد بن عامر بن الملوح بن يعمر وهو الشداح (3).
(3) العالمري، في رجل الشداح:
وذهب ابن شهاد بتلك من قوعان، وانتقل على كوعة من شدة الحور أو عفر فمضى على كوعه.

۲۰۰
ثبع جالنوس

كان جالنوس قد بلغ الخرازة جربياً (1) بين فرقه، وبعضهم تجاوزها،
كان جالنوس في أخواتهم يحمي فرارهم. ويعمل على حرس الموتى، ونزلوا
لحرازة فقطعوا ونشروا الجمر! ثم قاموا يتبعون من نتيجة هذه المعركة، وأن
مهم وقاتلهم لم يؤثر في المسلمين، ورفعوا جالنوس كمرة برميها بالنشاب
شغله فيها، وهم على ذلك دهم زهرة ومن معه فحمل على جالنوس وهو لا
مره، فقطعها فاختيافة ضربان ثم قتله (2) زهرة وانهزم عن جالنوس أصحابه
أخد زهرة سلب، كان عليه يارفان (آساف تلسي في الغضب) وقلب، قرطن، وإن حصن زهرة يومما عنانه إلا حبل مضفر وما حزامه إلا
شعر منسوج.
وقتل زهرة في هذه المطاردة من وجد من الفارين بين الخرازة إلى السلاحين
م آمن حتى بلغ النجف، بينما كان هرمزان يجد في فراره فاستطاعت بعض
لك الفارين أن تصل إلى دير قرة (3). ورجع زهرة وأصحابه حتى بانتوا لبيتهم
القادسية (4)، ثم أصبحوا وقد اجمعوا جميعاً لا ينتظرون أحداً من جندهم.
وحدث حين حانت الصلاة أن وجدوا المذنب العبد في الشهداء، فاختياف
لناس على الأذان حتى كادوا أن يعتدوا بالسيوف، فأقرع سعد بينهم فخرج
سهم رجل فاذن (5).

(1) الطبري 3 / 675 في سعد بن الرزوان.
(2) الطبري 3/676 عن ابن حذافة عن سعد بن سعد بن السعد بن السعد بن أبي حذافة مولى
فجاعة عن قيس بن أبي حذافة.
(3) الطبري 3/679 عن إبراهيم بن كنصل، وهو أن للرزوان ثم جالنوس ويفقال قتله.
(4) الطبري 3/682 عن عبيد الله بن عبد الرازق.
(5) في سعد بن السعد عن شقيقه (6) خير بن شقيق (7) سعد بن السعد وفقد
شدها.)

201
بين سعد وزهوة

(1) عاد زهوة من المطاردة التي خرج فيها كان قد تدرع بما كان على جالنوس فعرفه الأسرى الذين كانوا عند سعد وقالوا: "هذا سلب جالنوس". فقال له سعد: "هل أعانك عليه أحد؟". قال: "نعم". قال: "من؟". قال: "الله".

وكان زهوة يومنه شابًا له ذرابة وقد سوّد في الجاهلية وحسن بلاله في الإسلام. وغصب سعد أن تسرب زهوة فلبس ما كان على جالنوس واستكدره عليه فنزعه عنه وقال: "ألا انظرت إذن؟ لا عليك يا أخي من سعد إلى عمر (2)

أما بعد، فإن الله نصرًا على أهل فارس ومنحنهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم. بعد قتال طويل وزكال شديد. ولقد لقوا المسلمين بعضًا لم ير الأرواح مثل راهبها فلم يفعلهم الله بذلك بل سلمهم ونقله عنهم إلى المسلمين واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجسام وفي الفجاج. وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد الفاروق، (3) وفلان وفلان... ورجال

من المسلمين لا نعلمهم، الله يهمهم، كانوا يذوون بالقرآن إذا جنب عليهم

(1) الطبري: 3/675 م ش س عن سعيد بن الزبان.

(2) "عن عبيد بن إبراهيم.

(3) "عن عبيدة عن عصمة.

(4) "عن محمد واللباب وطلاقة.

(3) انظر ترجمته في آخر الكتب تحت عنوان: "ترجمة مشاهير قادة الفتح".
الليل دوّي النحل. وهم آسان الناس لا يشبههم الأسود. ولم يفضّل من مضى
منهم من تَقَيَ إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم ». كتب سعد هذه الرسالة إلى عمر صباحاليوم التالي، يعني كان تاريخها الاثنين
17 شعبان 150 هـ (18 سبتمبر / أيلول 1436 م) بشهره فيها بالفتح وقدسة من
قتلوا ومن أصيب من المسلمين وسمى لعمر فيها من يعرف. وكتب أيضاً بما كان
من شعان زهرة وسلب جالوس. كذلك كتب زهرة في هذَا الشأن إلى عمر.
وكان سعد بن عميرة الفزاري هو رسول سعد بالفتح إلى عمر.
وكان عمر ما زال يخرج إلى ظهر المدينة حين يصبح يستخرج الركان عن أهل
القادسية فإذا انصف النهر رجع إلى أهل ومسجل. فلما لقي البشير سعد بن
عميرة سالىه : » من أين؟ 
قال : » من القادسية 
قال : » يا عبد الله حدثني 
قال : » هزم الله العدو 
هذا وسعد على ناقته لا يعرف عمر وعمر يحب معه ويستخبره حتى دخا
المدينة وهم على ذلك فإذا الناس يقولون لعمر : » السلام عليكم يا أمير المؤمنين 
فقال سعد : » فهل أخبرتي رضح الله أنك أمير المؤمنين! 
فجعل عمر يقول : » لا عليك يا أخي » (1) 
وقام عمر في الناس فقرأ عليهم كتاب سعد بالفتح ثم قال :
و.. إن حريص على أن لا أدع حاجة إلا أسدتها ما أتبث بعضنا لبعض 
فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاف.

(1) الطبري 3/563 ش ش س عن مجالد بن سعيد.
الإصابة 3676.

203
ولوددت أنكم علّمت من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم، ولست معيِّنكِم

إلا بالعمل.

إني والله ما أنا بمُنْكِ فأعمِدكم وإنما أنا عبد الله عرض على الأمانة فإني
ابتنى ورددتها عليكم وانتسبتكم حتى تشييعوا في بيوتكم وترثوا سماوتكم.
وإنما حملت واستعنتكم إلى بِيتي شتات ففرحته فلما وحنت طويلة
وبقيت لا أقال ولا أرد فأنتسهباً (١).

واعتمع عمر كثيراً لمصاب سعد بن عبد وقال: "لقد كاد قتله ينفص عليّ
هذا الفتح" (٢).

من عمر إلى سعد

وكان جواب عمر إلى سعد في شأن زهرة:
٥٠ آنا أعلم بزهرة منك، وإنما زهرة لم يكن ليُنير من سلب سلبه شئًا،
فإن كان الذي سمي به الملك كاذباً فلتقاه الله مثل زهرة في عَصْدَتِه باردان.
تعمد إلى مثل زهرة وقد صلى مثّل ما صلى به وقُدت برقي عليك من حربك
ما بقي تقشر قرنوّه وتغمس قلبه؟

أمضن له سلب وفاضلته على أصحابه عند العطاء، جمعتائه.

وإذا قد نفتث كل من قتل رجلاً سلبه،
ردَّ عمر إلى زهرة اعتباره بهـذا، وردَّ سعد إليه ما كان نزعه منه فقاعة
بسبعين ألف درهم [حوالي ٤٠٠٠ جنيه مصري] .

وفي معركة القادسية قطعت يد زيد بن صوحان العبدي، فقد روى من عدة
وجه أن النبي ﷺ كان في مسيرة له إذ كَوْم [التهويج أول النوم] فجعل
يقول: زيد وما زيد، جندب وما جندب، فعنى عن ذلك فقال: رجلاً من

(١) الطبري في ٣٠٤ ٥٨٤ ٤ عن محمد وطلحة والهلب وزيد.
(٢) فتح البلدان ٢٦١٤.
أمي، أما أحدما فتعجمه يده إلى الجنة ثم يتبعهما سائر جسده، وأما الآخر فيضرب ضربة تفرقة بين الحق والباطل. فكان زيد بن صوحان قطعته يده يوم جالولاء (1) وقيل بالقادسية، وقتل يوم المجل. وأما جندب فهو الذي قتل الساحر عند الوليد بن عقبة - نقول إن يده قطعت بالقادسية لأن بني ربيعة كا سوف نرى لم يكونوا في جيش جالولاء -.

(1) أنف السابة 1848. وقال زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث بن الهجرس بن صبة ابن حدرجان بن عباس بن ليث بن حداد بن ظال بن ذهل بن عجل بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس. ( انظر ترجمته في آخر الكتاب تحت عنوان: ترجمة مشاهير قادة الفتح ).

205
بعد المعركة

مهرجان الشعر

انتهت المعركة الحاسمة في القادسية، وقت الطاردة بعدها وتنفس المسلمون الصداع، فراحوا كامئتهم يسجلون انتصارهم شعراً.

قال عمرو بن سأس الأنصاري (1) :

"أجلبُ لِلْحِلَفِ مِنْ أَكْنَافِي عَيْنَيَّ ۖ وَالْحَضْنَوْنَ أَيَامًا طوالًا (2) ۖ وَدَاوَيَةً بِفَارسِ ۖ فَدَأْ تَرَكْنَا ۖ فَكَحْلَتْ كَلِمَتِهِ رَأَتُ الْحِمَالَ ۖ فَنَبِذَ السَّعْوَةَ وَبَنِي فَسَرَ ۖ فَكَرَتْ مَنْ مِنْهُمْ ۖ كَيْسَتُهُ قَيَامًا ما يَرِدُونَ ارْتَحَالًا ۖ وَفَرَّ الْبَيْرَانُ وَلَمْ يَجَارَ ۖ وَكَرَتْ أَحَدُ الْحِزَابِ ۖ وَكَرَتْ الْحِلَفِ ۖ وَكَرَتْ عِبَادَيْنِ ۖ وَكَرَتْ عِبَادَيْنِ ۖ وَكَرَتْ عِبَادَيْنِ ۖ وَكَرَتْ عِبَادَيْنِ ۖ وَكَرَتْ عِبَادَيْنِ ۖ وَكَرَتْ عِبَادَيْنِ ۖ وَكَرَتْ عِبَادَيْنِ ۖ مَّوَصَّةُ عِجَالَ ۖ

وقال أسعد بن عبد الحجر (2) بن سراقة العامري الكلازي، وكان شهر الحيرة مع خالد القادسية مع سعد :

(1) الطبري 3/ 343، (2) الراجل: الجامعات المفرقة واحدها رواية الكامل للبرد. 81، (3) الأقسام: يقصد أقسام العراق وأنغامها، الشجو: ده وجنز، جميع الصحاح، (4) فتح البلدان 7/ 645. وقد ذكره ابن حجر باسم عبد الحجر بن سراقة وقال: يغلب أنه

لم يترك على اسمه في الإسلام - الإصابة 365. 707
وما عقيرت بالسليحيين مطية فنس أمرؤٍ بياي عليٍ برهته
وقال قيس بن المكشور:

جلبته الخيل من صنعا تردى إلى وادي القرى فديار صلب وجينا القادسية بعد شهر فناضنا هنالك جمع كسري فلما أن رأيت الخيل جالت فأضرب رأسه فهو صريفاً

وقد أتبين الله هنًا خيراً.

وقال عصاص بن المقتصر:

فلو شهدتني بالقوادس أنشهرت أضرب بالخشبوب حتى أفتيه.

وقال طليحة بن خويلد:

اتهديت يسبسب سهيب طرقت سلمي أرحل الركب
إني كلمت سلام بعد كرم لو كنت يوم القادسية
أبصرت شداي ومنصرف فانزلتهم بمشد عضب وإقامتي للعناء والضرب
وكان أبو مغزور السود بن قطب شاعر المسلمين في تلك الأيام وهو القائل:

لا بلغنا عني الغريب رسالة فقد قست فيها فيو الأعجام

(1) فتح البلدان ٨٤٧.
وردت علينا جزية القوم بالذي فككتنا به عنهم ولادة المعاصم (1).

وقال جندب بن عمار الطائي (2) :

زعم الموالد أن تأمه جندب نلوي القرية عربت وأجت باقادسة قلنا لج وزلت رجل أحسن: إذا ترمتم حشت.

وقال النصير بن ديم (3) العجيلي : كان قائقد الطالع يوم البويب :

لقد علمت باقادسة أنتي صبور على اللواءي عف المكاسب.

وقال منفع بن الحصين (4) : وكان له فرس اسمه جناح شهد به المعركة:

ما رأيت الخيل زيل بينها طمان ونشاب صبر جنحا فطاعت حت عنز الله نصره وود جنح لو قفأ فارحا كان سيف الهند فوق جبينه مشرق برق في تهامة لاحا.

وغير هؤلاء كثير من الشعراء مثل رععي الذهبي (5) السدوس والريبيع بن مطر بن بلال النحيمي (6) وربيع بن محرم العباي (7) من الرباب. وفي غمرة ذلك

(1) الإصابة ٥٦٠.
(2) الإصابة ١٢٢٥. وقال: جندب بن عمار بن نعيم بن شهاب بن لام بن عمرو بن طوف.
(3) الإصابة ٧٧٧ - ٨٦٠.
(4) الطبقات الكبرى ٤٣٧. وقال منفع بن الحصين النحيمي السعدوي من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من سكان البصرة واختلف بهداه. أيها النبي: أنتي بصدق أبلغيني فنعمه يقول: "الله لا أحل له أن يكذبوا علي". قال المنفع: قدما أحد الحديث عن النبي صلى عليه وسلم إلا إن حديثا نطق به كتاب أو جرت به سنة، يكذب عليه في حياته فكيف بعد موتة.
(5) الإصابة ٢٢٢٣.
(6) ٢٢٦٩.
(7) ٢٢٧٦.
التسجيل الشعري ذكر بعضهم مسألة بنائه سعد في القصر فلم يبق شاعر إلا
عبره بها.

قال رجل من بني أسد بن بني من أقوذ الشعر:

تقاتل حتى أنزل الله نصره
وسعد باب القادسية "معصي"
فأتني وقد آمنت نساء كثيرة.
وشهد سعد ليس فيهن أيمن.

فدارت على ألسن الناس. وقال جربور بن عبد الله الباجي:

أنا جربور كنتي أبو عمرو
قد نصر الله وسعد في القصر
وبلغ سعدا ما يقول الناس فأشترف عليهم وأراهم ما به من الفرح في فخذيه.

وإليته فعذر الصلدون، وقال سعد نجيب جربور:

وأما أرجو بحيلة غير أني
أوجّل أجّرها يوم الحساب.
فوق ذلك ناس خليفة، فعهدتظم خيولك.
فإن دلقت بعرّضتهم فويل.
فإني جمع قصاصين عن عروق
هم منعوا جمعكم بطن.
ولولا ذلك أقلمتهم رعّاعا.
وإنما يفعل من أزعمهم
يقول قيس بن أبي حازم الباجي: "ه... لم يكن سعدفعمري يجبن."

(1) الطبري 3/677 عن ابن حميد عن سلمة عن عبد بن أسحق عن احنايل بن أبي خالد.
(2) مولى بحيلة عن قيس بن أبي حازم الباجي وكان من شهد القادسية.
الطبري 3/408 عنNF عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدى عن عياث.
(3) 679/3 عن عبد الملك بن عمرو عن فضيحة بن جابر (الأسدي).
(4) 3/580 عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدى عن عياث.
(5) ابن رجب السعدية.

210
وقال عثمان بن رجب السعدي: كان سعد بن مالك أجرأ الناس وأشجعهم.

فإنّه نزل قصراً غير حضين بين الصفين لأسّر من البراءة، وتوعدوا الصف.

فوقاً تمامًا أخذ برمتته، فوالله ما أكرهه هول تلك الأيام ولا أفقهه.

أسر الفهداء.

أمر آخر ما كان بعد المعركة ولعله من أبرز الظواهر في معسكر المسلمين، وذلك أن هجوم الفرس بالأفواج يوم أرمان على بيجيل ومن جاورها قصد أصابها بكثير من الضحايا، وفي بعض الروايات

هلم يكن من قبائل العرب أحد أكثر أسرة يوم القادسية من بيجيل والنجم.

وكان مع الناس نساءهم وفي النجم سبعوناً أسرة فاخرة وفي بيجيل ألف، فصاح

هؤلاء ألف من أحياء العرب وهؤلاء سبعون، وكانت النجم - بيجيل - تسمى

أصهر المهاجرين - أو أخوان المهاجرين.

المهاجرون هم المجاهدون هنا. ونعتقد أن عملية المصادرة هذه لم تتم مباشرة بعد المعركة ولا بد أن تكون قد امتدت زمنًا هو على الأقل عدة التوقيع عنها زوجها (أربعة أشهر وعشرة أيام) ولا يمنع أن تكون قد بدأت في أعقاب المعركة بالنظر في أرايل الشهداء من بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم، وهو علاج

اجتياحي سلبي لمشكلة من مشاكل الحرب فيجوهما حسماً كريماً. وفي بعض

الروايات عن نساء النجم أن المجاهدين تزوجوهن قبل الفتح وبعد الفتح حتى استوعبهن فصاراً لهن سباعات أبناء العرب.

وعن حنش بن الحارث بن لقيط النجعجي عن أبيه قال:

"... فأتيني القادسية تقتل منا كثير ومن سائر الناس قليل، ففضل عمر

عن ذلك فقال: إن النجم وَلْنَا عظمة الأمر وحده.

(1) الطبري 3/ 816 س، عن عطية وهو ابن الحارث من أدرك ذلك.

(2) عن محمد والهلب وطلمحة.

(3) الاصابة 72.

211
و كانت هفيدة بنت عامر الهلالية هلال النجع امرأة القمعاء بن عمرو، فخطب أختها أروى يوم القادسية بكير بن عبد الله البيشي وعثبة بن فرقد السليحي، ومهاك بن خرشة الأنصاري [وهو خلف أبي دجانة] وذلك بعد الفتح. فطلبت أروى من هفيدة أن تستشير لها القمعاء فيمن ختان منهم، فقال القمعاء:

إن كنت حاولت الدراهم فانكّحي سماكًا أخا الأنصار أو إبن فرقد وإن كنت حاولت الطبان فيشيّم بكسيّراً إذا ما الحال جالت عن الرؤي وكلهم في ذروة المجدد نازل فضانك إن البيان عن الغد الغالب والمغلوب.

وفي الأيام التالية للمعركة راح المسلمون يقوّمون أقضائهم ويرمون أمورهم. وهذا ووجود حبب خالد العائدة من الشام تصل تباعًا بعد أن شهدوا اليموك وفتح دمشق، بدأ وصولهم مع القمعاء يوم أو ليلة، ثم يوم عاشر. وعند الزمن الماردة، مصرك المعركة والضغوط بعضهم أدرك معركة فنشرك فيها وبعضهم لم يدركها. فكتب سعد إلى عمر يسأله عما ينبغي أن يسير به فيهم. وكان هذا هو الكتاب الثاني بعد الفتح أرسله مع نذير بن عمرو وما يأتي به بعد جواب الكتاب الأول.

سعد يسأل

ويبدو أن سعداً استمر يكتب كل يوم إلى عمر، فكان كلما عرضت له قضية كتب بها إلى عمر. كتب كتابًا آخر أرسله مع أسس بن الجليقي يقول:

«إني أقويهم من أهل السواد ادعوا عهداً.

(1) الطبري 3/584 س أس عن محمد وطلحة والمهلب وزيادة.

212
ولم يقيم على عهد أهل الأيام لنا ولم يبق به أحد علمان إلا أهل بانقيا ومسا
واهل أهلّيئ السّلرة.
وادعى أهل السّلورد أن فارس أكرههم وحشرهم فلم يحلقوا الينما ولم
يذهبوا في الأَرَض.
وكتب إيضاحا أكثر مع أبي الهبة بن مالك الآدي:
"إن أهل السّلورد جلوا، فجاءنا من أمسك بهده ولم يجلب علينا فتمتنا لهم
ما كان بين المسلمين قبلا وبينهم، وزعموا أن أهل السّلورد قد تلقوا باللدائن.
فتأحرث الينا: [فيهم تم. على الوفاء بالعهد وهم أهل بانقيا ومسا وأهلّيئ السّلرة].
1 - وفيهم جال.
2 - وفيهم جل.
3 - وفيهم ادعى أنه استكره وحشر فهرب ولم يقاتل أو استسلم.
فإنا بأرض رغبة والأرض خلء من أهلها وعندنا قليل، وقعد كثير أهل
صلحنا، وإن أعملها وأوهن لعدونا تأتاخمهم.
فقيام عمر في الناس فقال:
"إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه.
ومن يسَل السّننة ويتنع إلى الشرائع ويلازم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله
لأهل الطاعة أصاب أمره وظفر بِجَحَب، وذلك بَاربَر الله عز وجل يقول:
"وبوجه ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا."
وقعد ظفر أهل الأيام والقوادس بما يليهم، وجلاء أهل، وأفاه من أقام على
عهدهم.
فما رأيكم فقين زعم أنه استكره وحشر؟
وفيهم لم يدع ذلك ولم يقيم وجلا؟
وفيهم أقام ولم يدع شيئا ولم يجلل؟
وفيهم استسلم؟"
313
لا رخصة في العدل

فأجموا على الوفاء، فلأقام وكف لم يزده غليبه إلا خيراً.

وأنا من أدعى دعوا مصدقوها فيها أور وفي فينغلتهم، وإن لم يصدقوه.

أعادوا ملحهم.

وأنا يفعل أمر من جلا اليم، فإن شرووا وادعواهم وكنوا لهم دمئة، وإن شرووا ظلوا على جلاهم ومنعوا من أرضاهم ولم يعطوه إلا القتال، وإن يشروا.

فمن غد أقام واستسلم فعله الجزية و إلا فاغلاه وكذلك بالنسبة للفلاحين.

وكتب عبر جواب الكتاب الذي قدمه أسس بن الحيليس:

«أما بعد. فإن الله جل وعلا أرسل في كل شيء رخصة في بعض الحالات إلا في أمرين: العدل في السيرة، والذكر.

فاما الذكر فلا رخصة فيه في حالة ولم يرض منه إلا بالكثير.

وأما العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد ولا في شدة ولا رخاء. والعدل إن رأى في من الجوز ورافع للباطل من الجوز وإن رأى شديدة فهو أنهكش للكلف.

1- فمثًّ عهده من أهل السواد ولم يعنى عليك بشيء فلم الذمة.

وعليهم الجزية.

2- وأما من أدعى أنه استكره من مخالطهم اليم أو يذهب في الأرض فلا تصدقهم. بما أدعوا من ذلك إلا أن بشروا فإن لم تشاوروا فانبذ اليم وأبلغوه منهمه.

وكتب رداً على الكتاب الذي جلبه أبو الحمّاج بن مالك الأسدي:

«أما من أقام ولم يجلي وليس له عهد فعلى ما له العهد يمليهم لكم، وكم بمهم علماً إماً، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك. وكل من أدعى ذلك فصدى فهم الذمة، وإن كعثوا فأرسلهم.

وأما من أعان [عليكم] فوافق ذلك أمر جعله الله لكم فإن شتم فادعوه.

314»
إلى أن يقيموا لله في أرضهم ولم يظلموا وعليهم الجزية. وإن كرهوا ذلك فاقسموا ما أفاء الله عليهم منهم.

فلا قدتمت كتب عمر على سعد والمسلمين عرضوا على من يلهم من جل وتنحى عن السود أن يتراعوا ولم يظلموا وعليهم الجزية، فتراعوا وصاروا جزءاً ثقيلاً على عده إلا أن خراجهم أغلق، وأنزلوا من أقام منزلة ذي العهد وكذلك الفلاحين. ولم يدخلوا في الصلح ما كان للآسرى ولا ما كان من خرج مسالم ولم يجعلوه إلى واحدة من الاثنين الإسلام أو الجزية، فصارت هذه فيما من أفاء الله عليه، وكان سائر السود النذمة.

واخذوه بخروج كسري وكان على رؤوس الرجال على مسا في أيديهم من الحصة والأموال. وكان ما أفاء الله عليهم ما كان للآسرى [ البيت المالك ] ومن انخازهم وعليهم من فائل منهم وأمواله وما كان نيوت النيران [ معابد الجويس ] والآجام والمستنفق الماء وما كان موقفاً للسكاك، وكان ذلك متفرقًا في كل السود فلم يأت قسمته، ولذلك تركوه يقوم به لأهل الفيدي من وثقوا به وترضاوا عليه. وقد أكثركوا المصادر والمؤلفات في ذكر النظام المالي الذي وضعه عمر والمسلمون لما فتح الله عليهم وأفادوا في ذلك بما يغنينا عن الاستطراد وراءه اكتفاء بها ذكرنا.

الأنفال
وقسمت الغنائم على المجاهدين فكان نصيب الراحل أليفين ونصيب الفارس ستة آلاف. وقد أمر عمر بعد أن يفضل أهل البلاء عند العطاء فزادهم سعد خمسة لكل منهم وكانوا خمسة وعشرين رجلًا منهم (11) زهرة وعصفة الضب.

(1) الطبري ٥٦٨/٣ ٥٢٨ م عن عبيدة بن إبراهيم وعامر.

٣١٥
والتكالج [هؤلاء ذكرهم الرواة، ولا بد أن كان منهم الفعاقع وعاصم والربيع بن عمرو وسوسان بن مالك]. كذلك أمره أن يعطي من خلق بعده من جيش الشام من لم يدرك القتال.

وزرع سعد وأعطى ثم بقي عنه شيء كثير فكتب إلى عمر بن عبد الله، فأمره أن يعطي جملة القرآن، فجازه عمرو بن معدوي كرب وبسر بن أيب رم [وهو بسر بن ربيعة بن عمرو الجحيمي]، فقال سعد لعمرو:

و ما معلك من كتاب الله تعالى؟

فقال عمرو إنه أسلم ثم شغل الجهاد عن حفظ القرآن، فلم يعطه شيئاً.

وسأل بسرأ يا معه من القرآن فقال: «بسم الله الرحمن الرحيم». فلم يعطه شيئاً فقالاً أبنا اهجوه بيا.

فقال بسر

وقد جعلت أول التجويم تغور حجازية إب الهل شطره ومن دونهما رغن أن يزل وقور ومن دونها رغن أن يزل وقور وسعد بن وقاص علي أمير طولبël الشَّيْطَان كابي الزنا قصير بباب قداسة نافقي وسعد أمره شره دون خيره تذكر هذاك الله وقعت سيفنا عشية وذ القوم لو أن بعضهم إذا ما فرغنا من قرباع كتبة

(1) فتوح البلدان 447،869.

الإصابة 768 – 869.

616
وعند أمير المؤمنين نوافل، عند الثني فضية وحمراء.

وقال عمرو بن معدبد كرب:

إذا قتلتنا ولا يبكي لنا أحد، قالت قريش ألا تلك المقداد، ولا سويا إذا تعطى الدنانير.

وكتب سعد بذلك إلى عمر فأجابه عمر: أن أعطهما على بلائها.

(1) جوفها: قطعها، جوم الشيء، قطع وسطه.

الرعن: أنف الجيل، والأرعن طويل الأنف وهو أيضًا الأخم.

الشذى: الشرح والأشيء.

يقال: فلان وارى الزند أي فلاح مخلب، وفلان كابي الزند أي الزند أي خاص.
خريطة القادسية

لقد أتسمتنا كثيراً بما ذكرنا في شرح مراحل المعركة على الخريطة التي رسمناها للقادسية ولواقع الوحدات فيها. وهي خريطة أنشأناها ولم ننقلها عن سوانا، تشمل أوضاعقوات الفريقين ثم تطبيق هذه الأوضاع على طبوغرافية المكان.
وشرح هنا الأسات التي بنينا عليها تفاصيل هذه الخريطة.

أولاً – الاسم الجغرافي

1 - ان القادسية بين الحدائق والعابق كذا ذكر سعد لمجرد. وقد أخذنا موقع القادسية من خريطة العراق الأثرية وصناها عن خريطة غير مطبوعة مرسومة بمقياس 1:000 وافتراها مسكونة مدرية الآثار العراقية ببغداد.

2 - وقد أسس حصنعلى الحدائق كان يقال له أيضاً "قصر قدس"، وهو الذي اتخذه سعد مقره له يشرف منه على المعركة. ذلك القصر نذهب إلى أنه كان من ثلاث طوابق على الأقل، أخذنا ذلك مما جاء في حادث أبي مجدل إذ ساعد من خمسة إلى سعد ليستريحه. فلما ساعد سعد إلى مجدل، فلما وافقته سامي على فقين قد فتح البلقاء، يفيدنا هذا أن سجن أبي مجدل كان طابقاً فوق الأرضي وأن سعدا كان في سطح فوق ذلك.

3 - أضيفنا إلى الخريطة من المعالم الهامة وفق الأوصاف التي وردت في
المصادر التاريخية مما لم نجد فيها بين أيدينا من خرائط. وقد كان هذا يكشفنا من الناحية العملية، ولكن رغبة منا في زيادة الاستدلال وفي إشراك خبراء من أهل العراق، فقد أعدنا الخريطة بعد الإضافات التي أدخلناها إلى مدونة الآثار العراقية في بغداد للعرض وإبداء تأييدها لما اضفتنا إلى خرائطنا الأصلية أو نقده مع بعض استفسارات منا ونتعب على الهيئة العلمية ان لم تواكننا بأي رد في هذا الشأن.

وهل نجد الخندق في خرائط القادسية لما ذكرت عنه المصادر التاريخية؟

كانت هناك قناة صناعية غربي نهر الفرات، وهي نهر كردي ساعد المسماحة خندق ساور الذي نسب بعض المؤرخين حفره إلى نبوخذنصر وهو الذي حضر داعيا لمراقبة البادية والهولاوة دور تخريج الفلاحة في النهر. وقد شيد في ضفته الشرقيا جداراً ضخماً مبنياً بالحجارة. ويتم هذا النهر أو الخندق من مكان جنوبي هيت يأخذ سبعة عشر كيلومتراً ويتم على طول الحدود الغربية لأرض العراق السهلة وينتهي في البحر قرب نهر بوبان وهو مصب نهر الفرات الواقع على بعد حوالي ثلاثين كيلومتراً إلى الغرب من شتات العرب [خور عبد الله الحلبي بين البصرة والزبير] إلى الشرق من جبل سنام. وقد أحياء المسلمون بعد تحرير العراق فسمي نهر كردي ساعد [نسبه إلى ساعد بن عمرو بن حرام] الذي أمره سعد ابن أبي وقاص يكثر فيه [حفره] ويبلغ طوله حوالي تسعة كيلومتر ويسلك الريفية الغربية لبحيرة الخفاسية فيجل ساعد فوادي أبي فروخ ثم ينحدر إلى الجنوب الشرقي حتى يصل أكائ اف كرّياء من ناحية الغرب حيث يتصل خندق ساور بقربي الخفاسية الكثافة الغربي الفرات ويستمر في سيره نحو الجنوب ماراً بغربي آثار خورفتين النهرين ثم ينحدر إلى الطرف الشرقي من بحر النجف الذي جف الآن. وهنا تسكت المصادر عن سير الخندق بجهة القادسية ولكنها
تعود فتقول ثم ينتمي على طول الجانب الغربي من هور الحمار [المنطقة البصرة]
فيمتد جنوباً غربي هور عبد الله قريباً من ميناء أم قصر. وعندما كان نهر كرية
سعدها عماراً كانت منطقة هور الحمار أيضاً عامة بالزراع والقرى وما زالت
آثار الأنبوب القديم قائمة في منتصف البحيرة كتل شعب وأم الساح وأبو زركي
وأبو صلابخ. [عن تقرير مديريت الآثار العراقية]

4 - ونهر العتيق لم نجد له أثراً على أي خريطة ولكننا وجدنا في خريطة
مديريت الآثار المذكورة وادٍ يمر شمالي القادسية مباشرةً هو وادي مصب، لم نجد
أي معالم أخرى بالمنطقة يمكن أن تكون وقعت أوصاف نهر العتيق سواء من
حيث موقفه ومن حيث مساره فاعتبرناه هو وكان ذلك مما عرضنا على الآثار
العراقية ثم نقلنا جواباً. وعند القادسية يقترب العتيق من الحدائق حيث يكون
بين القنطرة التي عليها وبين قديس مسافة ميل [والميل 1848 متراً].

5 - هذه القنطرة لم تكن تجاه قديس وإنما كانت أعلى من مكان الردم.
دليلنا على ذلك أن رسم بعض بلغ العتيق - في الموضع الذي رميه بعد ذلك -
سافر العتيق نحو حفوان إلى الجنوب الشرقي ينظر إلى المسار على بلغ منقطع
عسكريهم، ثم رفع وصعد حتى بلغ منقطع عسكريهم، ثم رفع وصعد حتى
بلغ القنطرة.

6 - عن يمين القادسية وعن يسارها فيوض من بطائح العراق التي خلفها
فيضان الفرات فينخفض من الأرض، فمن يسارها منخفض الجرف يتبج نحو
الحيرة والنجف وعن يمينها ببطيئة طويلة تصل إلى الوجهة - كذلك وصفها سعد
لعمر في خطابه - وهي البطيئة العظمى، فكانا كانت القادسية معبأ جافاً
يجتز تلك الفيض بين الصحراء والسواد. [الطبري 3/ 492]

7 - قدمنا عن خطوط الفرس بحوالي مائتي مت. قدمنا ذلك من أن هاشم
ابن عبيد وقف أمام صف المسلمين ونزع سهم فأصاب أذن فرسه، قال: أن
تركون سهمي كان بالغًا؟ فقال: العتيق إذا كان بين موقف هاشم أمام صف

290
المسلمين والمعركة دائرة ويبين العتيق وهو آخر صفوف الفرس مرمينهم. ولقد كان المرمي المؤثر للسهم مائي ذراع [حوالي مائة متر] وتفترض أن أقصى مدى للسهم يتجاوز المدى المؤثر بقدر الضعف.

- في موضع آخر وجدنا نشام الفرس يجوز صفوف المسلمين والمعركة دائرة، ومن ثم هذا أيضاً أن عمق صفوف المسلمين كان نحوًا من ذلك، وحين يتراقص الطرفان فلا بد أن يكون ما بينهما من مسافة يكفي أن يكفل حد الآمن وذلك بأن يتراقص مدى الرمي بالسهام، وإذا كانت بين الحدود والعتيق [أي بين قنديس والردم] حوالي 600 متر.

- بقيت القنادية بين خيلين من خيول الفرس وخيوط المسلمين.

- كان ردم العتيق تجاه قديس. هذا الردم كان المعبر الوحيد الذي يصل جيش رستم بتقاعدته، وقد انسقط الموس، حتى كان آخر صفوفهم على شفا العتيق. فلم يتسع خلف صفوفهم مكان لمواصلتهم حتى وجدنا طعام رستم كان يبر أمام الصفوف. ومن ثم هذا أن الفرس تركوا بماً أمام الردم إلى أمام صفوفهم كما رسمها بالخريطة.

- كانت الجبهة بطول ميل بين الصفين وبطولة.

- ثانياً - تعينة رستم.

- 12 - هرمزان على اليمنة، وجالوس بينه وبين القلب.

- 13 - مهران على الميسرة، وبرزان بينه وبين القلب.

- 14 - بين جاذوه بين رستم وجالوس منذ كانوا بالنجف فجعله بالقلب. ويبدو أن رستم اطمأن إليه منذ انتصر يوم الجسر على أبي عبيد.

16 - أفيال الفرس كانت 30 في رواية و 33 في رواية أخرى. رواية
ثالثة تفسر لنا هــذا التعارض بأنها كانت 30 فيلا للفتال و 3 للمهاك تركبها
لا تقاتل. وضع رسم 18 فيلا منها بالقلب [إذا منها واحد غير مقاتل ] و 8
في المينة [إذا منها واحد غير مقاتل ] و 7 في الميسمة [إذا منها واحد
غير مقاتل ] [ الطبري 4 / 113 ] مع كل فيل 504 مقاتل من الفرسان
والمشاة. وهكذا ينضبط تعداد جيش الفرس المقاتل 30 فيلاً × 504 مقاتل =
1500 مقاتل. ذهبنا إلى أن نصفهم من الفرسان ونصفهم من المشاة.
إذا كانت فرقة هرمزان [ الميمنة ] = 7 × 400 = 2800.
و كانت فرقة مهران [ الميسرة ] = 6 × 400 = 2400.
17 - يوم أرمان وجه الفرس إلى الوجه الذي به جلالة [في ميسمة الميمنة]
32 فيلا، منها 7 أفيال منهم الخاصة بهرمزان، وإذا كان معها 5 أخرى من
أفيال القلب هي أفيال جارية في موقفه، جالنوس.
إذا كانت فرقة جالنوس = 6 × 400 = 2400.
18 - هذه الأفيال السادسة كانت من عدد أفيال القلب السبع عشر. ومعنى
هذا أنه يبيت منها أحد عشر فيلا تحت قيادة بيرزن ومهم. وإذا كان رسم
قد جعل في بيئ القلب ستة أفيال [ جالنوس ] فإن المنطق يقضي بأنه وضع في
يسار القلب ستة أفيال أيضًا [ بيرزان ] وبقي لبهم خمسة أفيال.
19 - كان صف الفرس على حيافة العنق، فوضعنا فرهم على الخريطة
بأبعاد تناسب مع تعداد كل فرقة.
20 - كان جالنوس أول من دعا الجويس إلى عبر العنق للانسحاب،
وعبره فكان الردم خلفه أو على الأقل يكون قريب يسمح له أن يكون أول من
عبر. ثم عبر بعده هرمزان.
222
نالن – قبيلة سعد

21 – عبد الله بن المعلم العباسي على اليمنة – عبس من قبائل عيلان، إذا كانت قيس عيلان في اليمنة.

22 – شرحبيل بن السقط الكندي على اليمن، كندة من قبائل اليمن القحطانية. إذاً كانت سائر قبائل قحطان في اليمنه. يدعم هذا

ا – أن النجع تُقَبَّل بجولة في كرنامة شهداءها فكانت تجاورها وتدور الدائرة عليها معها حين طحتها الأفعى يوم أرماط.

ب – رواية قيس بن أبي حارثة الأحمدي البجلي [من بحثه] قال، مرينا عمرو بن معد حزب بن الزبيدي وهو يحضر الناس بين الصفين [الطبري 3/537].

ج – وروايته أيضاً أن الأعاجم وجبه إلى وجه الذي فيه صحيلة 13 فيلا، إذا كانت موافقة زيد بن هزيم من اليمنيين القحطانيين قريبة من صحيلة وزيد من صيد العشيرة.

د – أن الأشعث بن قيس قسام في سني كندة يدفع عن صحيلة. وكندة أيضاً من اليمنيين القحطانيين – عشيرة شرحبيل بن السقط، قائد اليمن.

تقدعا كل هذه الأدلة وأمثالها أن القحطانيين جميعًا قد اجتمعوا في اليمنية تحت قيادة شرحبيل بن السقط، ومن ثم بدأ زيد معين يدح لنا بدقة موقع موافقة بين القحطانيين وتبناهم وفق تجاور مساحاتهم حسب ما ذكرنا عن ابن خلدون في الجزء الأول من كتاب «الطريق إلى المدائين».

23 – أرسل سعد يوم أرماط إلى بنى أسد أن برزوا هجوم الفرس عن صحيلة [الطبري 3/538]. وإذا فقد كانت أسد تجاور صحيلة في مواقعها. وكانت أسد من ولد عدنان ولم تكن من القحطانية، ومعنى هذا أنها لم تكن عن يسار صحيلة حيث تدور الدائرة مع قبائل القحطانيين وإنها كانت عن يمينها حيث

233
لم تكون المعركة قد امتدت إليها بعد، فبدنا هذا أيضاً أن مجيء كانت متتلى
بين القحطانية.

24 - وجدنا غالب بن عبد الله الليثي يخرج مع فرسان بن أبي ديفع عم
سبيها، وليث من كنانة وكان كنانة ثلاثمائة فقط في المعركة - يدلنا هذا على
انضمام كنانة إلى أسد، وقد كان أسد وكنانة أخوين وهم انضمام كنانة إلى
ابن إلياس بن مضر. فكان انضمام كنانة إلى أسد في المعركة هو انضمام القليل
لإخواتهم الآخرين عدداً.

25 - وجه الفرس ضيفهم يوم أميرات على أسد، فوجهوا اليوم جالوس
ويهن [الطبري: 443 / 540]. يوافق هذا تعبئة الفرس فيها تواجه بالنسبة لوقعة
أسد من الجبهة.

26 - رده عاصم بن تم أفيال الفرس عن أسد، وإذا كانت تم إلى اليمين
فمن أسد فقد كانت مجيء هي التي عن يسارها. وصل هذا مواقف المسلمين ان
تقع تم في صم قلب المسلمين أمسام القصر وفي مواجهة قلب جيش الفرس.
يؤيد هذا:

أ - أنه عند التبة أدخل سعد مقدمة زهرة ومصيرة عاصم - وكلها
كان من تم - في الوسط.

ب - أمر عاصم بن عمرو التيميمي يوم أميرات البغل الذي يحمل طعام رستم
وبطبيعة الحال كان مكان رستم في قلب الفرس يواجه قلب جيش
المسلمين.

ج - بارز القعقاع بن عمرو التيميمي يهمن جاذوته، وكان مكانه في القلب
من جيش رستم.

د - تم بارز بيرزان وكانت مواقفه إلى جوار يهن.

ه - انتهى القعقاع ومن معه يوم القادسية إلى سير رستم، فكان إذاً
قابله.

274
و - هلال بن علقة النبي تتم الرضب قتل رستم و تتم أبناء عمومه و تتجاور مساكنهم في جزيرة العرب، وبعض الناسة يجمّل الرضب من تيم ما يجعل من المعقول أن تكون مواقفهم مع تيم.

27 - سقطت "درفش كابان" في يد ضرار بن الخطاب الفهري [القرشي]. وفره من مكانة و مكانة كانت مع أسد. ومن البديهي أتى ينصب رسم رأيته الكبير إلى جوار سيره و نرى أن ذلك كان ألا يمن السير حيث يواجه موقف مكانة.

28 - توزيع قبائل المسلمين على طول الجبهة بعدد يتناسب وعدد كل قبيلة يستناد مع كل ما سبق.

29 - لم نجد في الروايات ما يدلنا على مواقف 1000 من قضاء و 1000 من طبي، وكان هناك لذلك أحتلال من الرين، إما أن يكونوا اتخذوا مواقفهم في الميمنة بحكم تجاور مساكنهم في شبه الجزيرة مع عبس وذبيان من قبائل عيلات - وفق تحليل ابن خلدون - وإما أنهم كانوا في الميمنة بحكم أنهم قحطانيون [كانوا أصلًا من قحطانية اليمن ثم نزحوا شمالًا]، وقد رجعنا الاحتلال الأول واختياره لأنه هو الذي يتفق به أن تكون سائر القبائل في مواقفها تلك التي رسمناها على الخريطة فاستفقت بذلك، ولو وضعنا طبيًا وقضية في الميمنة لأننا تحت كل من جبيلة وأسد وتم إلى اليمن مسافة تباعد مواقفها بعض الشيء، كما آممنا من تعبئة الفرس التي تجمعت مماها.

على هذه الأسس رسمنا خريطة تعبئة القادسية التي أعانتنا كثيرًا على تسيع سير المصايف وفهم مراحلها وأحداثها في أيامها كلها ويجاد في كل جزء منها مواقف لكل ما ذكرته روايات المصادر.

ونرجو أن تكون قد وقفتنا في ذلك الي عين الصواب.

(القادسية - 15) 275
توضيحات الأحاديث عن توقيت وقعة القادسية والأيام السابقة لها. وقد جمعنا كل شيء وجدنا من ذلك ثم قمنا بالنظر فيه ومقارنته ببعضه وطابقته على الأحداث حتى خلصنا إلى النتيجة التي أخذنا بها:

1 - كانت وقعة القادسية في أول محرم 14 هـ.
2 - بدأ توافد المسلمين لهذه الحملة على المدينة في أول محرم 14 هـ. فأنزلهم عمر بصرار.
3 - كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة خمسة عشر.
4 - كان بعض أهل الكوفة يقول كانت وقعة القادسية سنة خمسة عشر.
5 - قال [لا ندرأ من] والثبت أنها كانت في سنة أربعة عشر.
6 - وأما محمد بن إسحق فإنه قال كانت سنة خمسة عشر.
7 - في آخر سنة خمسة عشر. قتل الله رستم بالعراق، وشهد أهل الإرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص، وذكر أن سعد أخذ حسر

---

(1) الطبري 3/508 من س. ش في إسحاق بن أبي خالد.
(2) 3/480 « عن محمد وطهية ويزيد بابن خادم.
(3) 4/590 الطبري 3/90 عن الواقدي.

326
عن الشنء سار من شرفاء يريد القادسية، وفي رواية ابن اسحق أن البرموق
كانت في رجب سنة خمسة عشر (1) . [الطبري ٤ / ١٣٦] .

٨ – نزل سعد زرود أول الشتاء (٢).

٩ – أقام سعد بزورود [الثعلبية] ثلاثة أشهر حتى حلق به أصحابه ثم قدم
النذيب في ١٥ هـ (٣).

١٠ – أقام سعد بالقادسية شهراً ثم كتب إلى عمر: "لم يوجه القوم الينا
أحداً" (٤).

١١ – أقام رستم بين الحيرة والسليمين أربعة أشهر لا يقسم على المسلمين (٥).

١٢ – كان بين خروج رستم من المدائن وعسكرته بسماط وزحفه إلى أن
لقي سعداً أربعة أشهر (٦).

١٣ – كان بين قتام العراق ونزل سعد القادسية سنن وشيء، وكان
مقام سعد بها شهرين وثمانية حتى ظفر (٧).

١٤ – خطب سعد يوم أرماث وذلك يوم الاثنين في الجم ١٢ ه فكان مما
قال: "... وقد أباحها لك من ذي ثلاث ححج ..."

وقال عاصم برهما لقومه: "... وأتمت تناول منهم منذ ثلاث سنين..." (٨).

١٥ – كان مقام سعد بالقادسية بعد الفتاح شهرين في مكانة لعمر، ثم ارتجل

١( الطبري ٣ / ٨٠٥ عن ابن اسحق: عن رهام بن كيسان عن عبد الله بن الزبير .
٢( الطبري ٣ / ٨٧٦ عن محمد وطغنا عن ماهان وزيد بإسناده .
٣( فتح البلدان ١٣٣.
٤( الطبري ٣ / ٤٩٤ عن عبد الله بن مسلم العكيلي، والمقدم بن أبي المقدم عن
أبيه عن كرب بن أبي كرب العكيلي .
٥( فتح البلدان ١٣٤.
٦( الطبري ٣ / ٥٠٠ عن محمد وأصحابه وشاركم النذر بإسناده .
٧( ٣ / ٣٠٢ "عمر عن الشمالي .
٨( ٣ / ٣٠١ "عمرو عن عبد الله بن مسلم بإسنادهم .

٢٢٧
إلى برس لأيام بقين من شوال 15 ه - كذلك أورد الطبري برس ضمن أحداث
عام 15 ه (1).

16 - علم سعد بخيبة أمل العسكر فارسل اليه طبيعة بن خويلد فعبر
منها العتيق إلى خلف عسكر الفرس وراء الردم (2).

17 - كان قتال القادسية يوم الخيس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهجر (3).
من جملة هذه الروايات توجد لها أشخاصاً واحداً إذا استثنينا من بينها
القليل الشاذ. فنن كان بعد توافد المسلمين على المدينة في أول محرم 14 ه
فإنهم ينظفون أن تكون القادسية في أول محرم 14 ه. والذين قابوا إن القادسية
كانت عام 15 ه مختلفون مع الثابت أن فتح المدن كان في صفر 16 ه وكانت
بين القادسية والمدن من الزحف والم المعارك ما لا يتعسر له ما قبل صفر من عام
16 ه، كما سئر في الكتاب التالي.

أما الرواية التي تقترن أن سعداً نزل زرود أول الشتاء، فكأنها تقرر أن ذلك
كان في أوآخر شعبان 14 ه فهو الذي كان يوافق منتصف أكتوبر (تشرين
الأول) 135 م الذي يمكن اعتباره أول الشتاء، ويكون مسيرهم وزولهم زرود
قبل حلول شهر رمضان، وهو أول شتاء جنبي بعد عرض 14 ه. يتفق مع
هذا، الرواية التي تقول أن سعداً سار من شرفا حين حصر عنه الشتاء، يعي
في مارس (آذار) 136 م الموافق صفر 15 ه، وهو ما يتفق أيضاً مع بقاء
سعد في زرود ثلاثة أشهر و كانه أقام في شراف حوالي شهرين في عملية تنظيم
لقواته، وبطابق هذا الرواية التي حدثت قدومه على العذيب في عام 15 ه.
لقد توفي الملك وسعد الزرود وترجع سعد سامى قبل خروجه من شراف. بين
نزول سعد الزرود وبين خروجه من شراف يتحتم أن يكون قد انقضت عدة

(1) الطبري 3 / 219 - 220 عن محمد والهاب وعمرو وسعد.
(2) 57 / 575 ، 576 عن محمد وطلحة وزيد.
(3) فتح البلدان 142. 646.

228
المتوفى عنها زوجها وهي أربعة أشهر وعشرة أيام. ولكن سعداً كان في زرود قبل وفاة 형ى بثمان لا تذكره المصادر، ومن حيث كان كل منها ينتظره قوم الآخر فلم يكن ذلك الانتظار ليطول بين الرجلين دون أن يكابلا تحديد مكان اللقاء، كما لم تكن تلك الأيام لتقصر حتى ينتهي مفهوم الانتظار. ولربما يكون بعد قد أقام بشراف أيامًا بعد زواجه من ملما. والتأريخ الذي قدراه للمد يعده من شرود وقد سعد من شراف يجعل تلك المدة كثرة أشد ونصف من زعوله زرود وهي مدة معقولة ومنطقية مع هذا التدريج، بل إن نقصانها أو زيادة كثيرة عن ذلك يخرجها عن حدود المعقولة.

لقد نزل سعد بشراف وكتب إلى عمر بما منازل الناس فكتب له عمر بتنظم جيشه وقوم سعد بإجراء ذلك التنظيم ثم كتب إلى عمر بذلك فأجابه بخطته لحركة القادسية وأمره بالسير إليها. وإذا فلا بد أن يكون الزمن الذي أقامه سعد بشراف يتنس لانتقال البريد بينه وبين المدينة أربع مرات علامة على ما اقتنصه عملية التنظيم، ووفق تقديرنا أنه أقام بشراف حوالي شهرين.

بناء على ذلك قدرنا نزول سعد القادسية في حوالي 16 صفر 15 هـ.

مارس (آذار) 26 م على أساس أن بين شراف القادسية مسير ثلاثة أيام، وأقام سعد القادسية شهراً قبل أن يعين يزجرود رسم جزء المسلمين ثم عينه بعده ذلك وسار ذلك السير البطيء الذي استغرق أربعة أشهر على روايتين، إحداهما تقول من خروجه من المدائن والثانية تجعل الأربعة أشهر بين الحيرة والسيلحين.

يضاف إلى ما سبق الاعتبار الآتيين:

1 - أن ارتحال سعد إلى برس من القادسية بعد أن أقام بها شهرين بعد المعركة كان لأيام بقية من شوال 15 هـ.

2 - في رواية انسحاق أن اليرموك كانت في رجب 15 هـ وأهل اليرموك حين فرغوا منه شهدوا القادسية.
يجملنا هذا وذلك تضع القادسية من أحداث شعبان 15 ه.

يؤيدا في هذا كافة الروايات التي تجعلها في عام 15 ه. ويويدا أيضا خطة
سعد في القادسية التي قال فيها: "وقد أباحنا لكم منذ ثلاث حجيج". وخطبة
عاصم التي قال فيها: "وأنت تنالون منهم منذ ثلاث سنين". ومن حيث
بدأت حمات فتح العراق منذ عام 12 ه. فلا يتفق فوات ثلاث حجيج إلا في
عام 15، أما في عام 14 فتكون حجتان فقط وعام 13، وأما في
عام 16 فتكون قد بلغت أربع حجيج.

وإلا مش من عبور طليحة بن خوبدة نهر العتيق خوفاً أن الوقت لم يكن
وقت فيضان بل كان زمن تجاربه. ولقد وافق شبان 15 ه. شعبان (أيلول) 33 ه وهو ما يتفق مع ما ذهبنا إليه.

وإلا يدعم مما ذهبنا إليه أيضاً الخطة العامة للقادسية، فقد كان لما كتب
عبير إلى سعد:

"إِنْ مَنْ كَفَّارَ اللَّهِ أَذْهَبْهُمْ فَلَا نَذُوعُ عَنْهُمْ حَتَّى تَفْقِحُ عَلَيْهِمْ المُدَادَنَ فَإِنَّهُ
خَراَبَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"

يعني أن الخطة انبثت على معركة حاسمة بالقادسية يعقبها انسحاب خاطف
إلى المدافن. وقد كان فتح يهزر والمدافن في صفر 16 ه. مما لا يقتضي معه
أن تكون القادسية عام 14 ه. وإذا ما يطلب أن تقع في شعبان 15 ه.

ولو أن سعداً كان حاد البصر، إلا أن رؤيته أبا محجج والبلقاء ليلاً السواد
يُدبِّرنا على أنهما كانت ليلة مظلمة صافية، ولا تنصور أن يراه على الصورة التي
مرت بنا ليلة السواد في غير إضاءة قريبة واضحة. وفي فتح البلدان 1442 أن
قتل القادسية كان يوم الخميس والجمعة وليلة السبت وهي ليلة الهولر. وبالراجع
إلى تقوم شعبان 15 ه استطعنا أن نتائم ذلك في الليالي المظلمة مع أيام
الخميس 13 شعبان والجمعة 14 شعبان - 20 سبتمبر (أيلول) 33 ه وهي ليلة
رؤية أبي محجج، والسِّبَت 15 شعبان.

230
أما الرواية التي تذهب إلى أنه كان بين قدم خالد العراق ونزل سعد القادسية سنتان وشيء وأن مقامه بها كان شهرين وشيشا حتى ظفر، فإنها تنضبط إذا قسمنا ذلك على خروج خالد من العراق في صفر 12 ه، وليس على قدومه إليه في محرم 12 ه. ولعل الراوي أمكن قد التبس عليه.

على ذلك نكون قد أخذنا بكافة الروايات السبعة عشر وأعملناها فيما عدا أرقام 1 و3 و5 منها فقد نقضناها.

نفرغ ما سبق في النتائج الآتية:

1. صمم في 24 فبراير 1235 ه بدأ تجمع الجيش ببصرة.
2. حوالي 12 شعبان في 1 أكتوبر بلغ زرود مع أول الشتاء وأقام بها ثلاثة أشهر.
3. خرج من زرود بعد أن حق به سائر جبه.
4. 36 ذي القعدة في 14 يناير 1236 ه.
5. 8 ذي الحجة في 22 مارس في 13 صفر، بلغ القادسية وأقام بها شهراً قبل تولية رستم.
6. 33 ربيع الأول في 4 مايو، تولى رستم حرب سعد.
7. 16 شعبان في 16 سبتمبر.
8. 19 محرم، أرماة - ليلة الهداة.
9. 20 محرم، أغوات - ليلة السوداء.
10. 14 جمادى الآخرة.

231
السبت 15 شعبان 15 هـ 22 سبتمبر 1336م عداد - وليلة الهرير.
الأحد 16 هـ 22 د يوم القادسية.
حوالي 21 شوال 15 نوفمبر د خرج من القادسية إلى وسئان
ثم برز ثم بابل.
4 ذي الحجة 18 يناير 1337 نزل على بيرسيرا وبدأ حصارها.
7 صفر 16 مارس د فتح بيرسيرا بعد حصار دام
حوالي شهر.
14 لإ 27 د فتح المدائن.
القادسية معركة

بعد هذا الاستطراد الطويل لمنا لاحظنا أن القادسية قد أخذت شكلا خلاف معارك الحملات السابقة. في تلك الحملات كانت المعارك سريعة متلاحقة في أقطات سريعة وحركات خاطفة نهلت وراء خالد بن الوليد أو المنى بن حارثة لتابعتها والإلحاق بها. أما في القادسية فقد اتخذت وضعا مستقرا في أرض تم اختيارها قبل ذلك بفترة طويلة عن دراسة سباق وإصرار ورصد حتى لكاننا كنا نستحثيم على إنجاز المعركة من طول ما انتظرنا. فهي مثال للتدبير الريفي الذي لا يعتجل الأمور ولا يستعمل النتائج. فإذا ذهبنا نتأمل مزايا معركة القادسية وصفاتها تبين لنا الآتي.

دراسة الموارد المتاحة للمعركة

1- أن أمير المؤمنين عمر لم يبادر إلى الدخول في المعركة قبل أن يتم الفعل. حشد كل القوى المستطاعية، وان تقدم جعد نحو القادسية كان بطيئاً أبطأ من أي تقدم سبق، فقد نزل المسلمون زرود في أواخر شعبان 14 هـ. بينما لم يصلوا القادسية إلا حوالي منتصف صفر 15 هـ. أي بعد خمسة أشهر ونصف. انقضت هذه الشهور في عملية حشد وتوجيه وتنظيم للموارد، بعبارة أخرى أن عمر بدأ حربه مع فارس بدراسة واقعية للموارد المتاحة للمعركة الطالبة، وعرف جيداً كم من الجند تحت يده، كما كان يدرك نوع هؤلاء الجندي مشاركتهم وفرسانهم.
وإمكاناتهم المادية والمنوية. وقد اهتم اهتمامًا خاصًا بمشهد الخطباء والشعراء
ورؤساء القبائل لما هؤلاء من أثر معنوي في الحرب عند العرب.

جندية ممتازة

2 - لقد كانت هذه المنوية من أكثر العوامل ظهورًا في المعركة، معنوية
لا تعرف الخوف والرجل قامت على إيمان حق لا يتزعزع أفغ في أصحابه على
درجات الشجاعة... أي جرأة تلك التي تدفع صاحبها إلى مهاجمة قبل مدرع
ومدرب، عليه طاقم مسلح بالقسي والرماح والطيرانات... هذه الجسرة
النادرة استطاع أن تخترق من المعركة ثلاثين فيلا مرتين، مرة في يوم أربع
ومرة أخرى يوم عباس، فأحدث ذلك أثراً مذهباً إذ ارتذى المسلمون منها وهم
كانت تعمل كسلاح له فاعليته كم جفع خروجها الفرس، وقد كانوا يعتمدون
عليها ويعتبرونها سلاحهم الرهيب الذي ينتكر عليه دون أعدائهم.

هذه الجندية الممتازة لم تواجه الأثقل فحسب وإنما واجهت أيضًا تلك
الأعداد المهولة من المشاة الفرسين المقتربين في السلسلة وغير المقتربين، وفرسانهم
الدارعين الذين يفوقونهم عدًا وعدة. ولكن المسلمين كانوا يمتازون بلقبة بدنية
وعلابة ساوكية أكبر، تجلب هذا وذلك في ذلك الصحراء حيث على القتال ساعات
طوال دون خور، فإذا شرعوا بالعب شرعوا معه أن عدوهم أيضًا قد يعب وأن
النصر من صبر، ويتمالون قوله تعالى:

فإن تكفنون تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون
كذلك ساهمت النساء والصبيان في تزويج الجرحى وحفر القبور لثانية آلاف
وخسارة شهيد وفي سقي المصابين وأعمال التشطيب بعد الفراج من صلب المعركة.

لقد هدفنا من وراء ترداد المواقف الفردية لأبطال المسلمين إلى تبيان نوع تلك
الجندية التي كان الواحد منهم ينتقده أشد مواطن الخطر ليجد فيها بنفسه عن
إخوانه وينكون له مندودة لو لم يفعل. فهذا يسأل أي الموت أشد، وذلك

٢٣٤
بوت ليلغ مكان رستم وثاث يتلقى ضربة الطيبرين في وجه ليضرب خرطوم الفيل .. وهكذا.

وفي أثناء ذلك يجري الشعر على ألسنتهم عدباً بيد ببطولاتهم ويسجل مواقعهم في فخر صادق لا زيف فيه ياهله أهل. هي مساحة فوق دلالتها على شجاعتهم وإيمانهم واحساسهم أنفسهم الله كانت تدل على مهارة في القتال وكفاءة تدريبية، بكل تأكيد لم يكن الفجر مميز لها.

دراسة واعية للعملية

3 - واذا دحرت عم مواردها فيد درس أيضاً العملية المطلوبة، وكانت رسائل الكثيرة إلى سعد ورسل أن سعد إليها دراسة لاحتياجات المرزنه ودراسة المنطقة وطبيعتها وطبوغرافيتها ومداها ومسافاتها. وبناءً على ذلك كان يرسم خطة المعركة في مواقعها وخطة إمدادها بما يلزمها من إمدادات وتوزيع سواء من القاعدة الأصلية في شبه الجزيرة أو من الميدان نفسه.

من تلك الرسائل يتبين أن عم كان يعرف الكثير عن جغرافية الميدان، وكان يطلب المزيد من سعد فيما وصفاً طبوغرافياً استطعا منه أن ترسم خريطة اليوم. تocht موقع المعركة وذلك المختار وما لتشوه به من صفات كان هو خريطة القديسة وعلى اعتبارها.

مزايا مارد القديسة

4 - كانت أرض القديسة كما سبق أن ذكرنا عند القضاء الصحراء بالسودان، وراءها صحراوات العربي وأمامها أنهار السواد وبطائحة الممورة بلياء وزروعه ونخيله، فإذا دارت الدائرية لصالح المسلمين انحصر الفرس بين الأنهار ولم يكن انصحاب قواتهم كبيراً العدد سهلاً ويكون أصواتهم في المطاردة هيناً. أما إذا دارت لنير صالح المسلمين فخط رجعتهم مفتوح وراءهم إلى صحرااتهم التي يتوه فيها خصصهم.

235
5 - سبق المسلمين الفرس إلى أرض المعركة واتخذوا مواقفهم فيها قبل أن يعبر الفرس. ثم لم يتركون لهم اتساعاً مناسباً يستوعبهم استيعاباً مرين. كانت الجبهة بطول ميل [والميل 1848 متر] وكان عرض ما يشبهه المحيط في حدود مائتي متر. وإذا فقد كانت مساحة ما يقف عليه جيش فارس حوالي 27000 متر مربعًا، فإذا أخذنا في اعتبارنا أن جيش الفرس والتبس بلغ 24000 لكان نصيب الفرد منهم من مساحة أرض المعركة مترًا ونصف متر مربع ليقف ويتراكب فيها، فإذا أدخلنا في اعتبارنا وجود خيل وأفيال وأقاليل ومناع لكان نصيب الفرد منهم أقدر من ذلك. وقد يقال على سبيل الحس والتخييم الذي لم يقل به أحد من الرواة أن التربع ربما كانوا من وراء المبتدئ حيث يرتفع حيز الفرد إلى أقل من ثلاثة أمتار مربعة. فأي ضيق ذلك الذي وضع فيه جيش فارس نفسه، أو الذي وضعه فيه سعد؟ وكيف يتسنى لجيش هذا وضعه أن يتحرك وأن يقاتل وأن يتأمر؟

هذا بينا لنا أن نفترض - محققين في افتراضنا - أن المسلمين أخذوا من مساحة أرض الميادن حاجتهم على الأقل لأنها كانت في أيدهم إبتداء، وإذا فقد كان لهم أن يتحركوا وأن يرحبوا ويجيروا بينا حركة المحيط مقيمة. وهكذا تنقلب الكثرة العددية الثقة في غير صالح أصحابها. وربما ساعد هذا على أن يفسر لنا كيف عجز الأئنان وخمسون ألفاً من المجوس معهم ثلاثة عشر فيلاً أن يطعنوا ألفين من بحارة حين شروا هجومهم عليهم يوم أرامات.

اتجاه الشمس

6 - نظرية إلى خريطة القادمة بين لنا أن صفوف المجوس كانت إلى الشمال والشمال الشرقي وأن صفوف المسلمين كانت إلى الجنوب والجنوب الغربي. ومعنى هذا بعبارة أخرى أن وجوه المجوس كانت تتجه إلى الجنوب والجنوب الغربي بينما وجوه المسلمين كانت تتجه نحو الشمال والشمال الشرقي. وإذا فقد كانت
الشمس من شروقها إلى غروبها تقابل وجه الجوسيه بينا هي في ظهور المسلمين.

بطبيعة الحال لم يكن هما عن اختيار من المسلمين وتمدله حين اختاروا موقع القادسية ولكنها الصدفة التي تحدث أجانبًا أو ما يطلقون عليه في الحرب « عنصر المظلمة»، وهو ضرب من الع lại والقدر كان من نصيب المسلمين.

وانجاز الريح

٧- حظر آخر أو قضاء آخر حالف المسلمين في مواقعهم تلك بالقادسية، ذلك هو اتجاه الريح، والريح السائدة على العراق شمالًا غربيًا تتجه من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي معظم أيام السنة (١) ولكن يتعرض الجو شتاء للأعاصير فيقلب اتجاه الريح. وقُضِد حدث ذلك في أيام القادسية فنشبت الريح الدرب في اتجاه من الغرب إلى الشرق، ولا بد أنها كانت أكثر ميلاً عن تسامته غرب شرق، فكانت أقرب إلى أن تهب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي حتى اقتبست طياره رست وألفت بها في نهر الشقاق. فكل غبار المعركة كانت تسقيبه الريح في وجه الجوسيين وتفعل فعلها لا سيما وأنها قادمة من منطقة صحراوية، في حين كانت الرؤية في أوضح حالاتها للسماويين وبصفة خاصة لسعود الجاثم فوق قصر قدس القادسية يشرف منه على ميدان المعركة ويصدر أوامره وتوجيهاته ويجرح وفق ما يرى قواته.

كان قدس برجة للعراقية مختارًا، والمسمى والريح والفرج كانت من جنود الله في هذه المعركة شاركت فيها لصالح المسلمين. وقبلها سنوات عشر حين تنبأ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قصور الحرية والمدافن وصنعاء والشمالي في أيدي المسلمين، أنزل الله في مثل ذلك من غزوة الخندق قوله تعالى (٢):

«يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاؤتم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا».

(١) جرافيا العراق الطبيعية ١٠٠ - ١٠٠. جاسم محمد الخلف.
(٢) الأحزاب : ٩.
وفي القادسية كان كثير من شهد غزوة الهند ثالث في العسام الخامس من الهجرة وتلقوا نبوءة النبي وشهدوا نزول تلك الآية القرآنية، شهدت سعد وسليمان الفارسي وغيرهم من المهاجرين والأنصار، وليس هذا فقط بل شهدوا أيضاً من المسلمين الأبرار الذين يقولون اليوم في القادسية من كان لا زال كافراً مع قريش وأسد وعطفان يريدون اقتحام المدينة على رسول الله ومن معه من المؤمنين، شهدوا ضرارة بن الخطاب القرشي وطليبة بن خويلد الأسدي وغيرهما، شهدوا غزوة الأحزاب كافرون وشهدوا القادسية مؤمنين.

اختبئ المؤامرة بصفاته السالفة إذا كان هو أساس الخطة لمعركة القادسية فاعتمدت على مزايدها كلها واستفادت منها، لأنه كان محاوراً لم يكن يسع خط المواجهة لأكثر من عدد معين تفقد الكثرة منها مزيتها، إذ إذا يصعب أو تفكك الذين مخلف الصحف الأول؟ فإداً عن ذلك فإن وجود العتبة خلف ظهور الفرس حورمهم بالفعل من قرصة الانسحاب منظم فكان كارثتهم محقة.

ولولا موقع العتبة ذاك لاستطاع رست أن ينجى بنفسه وقد كان لرسم وزنه في دولته وكان يمكن أن يعود عليه في استمرار الحرب بشكل أكثر فاعلية. ولولا موقع العتبة لما غرق فيه ثلاثون ألفاً من المقترين بالسلاسل. ولولا موقع العتبة لاستطاع عدد أكبر من تناولهم رماع المسلمين وسبهم أن يجدوا طريقًا لانسحاب أفضل.

قيادة ممتازة

- وكما توفرت الجندية الممتازة والأركان التي رأينا جهودها، كذلك توفرت للمسلمين كفاءة القيادة.

لقد كان سعد مثالاً للحزم الذي ينبغي لقائد في الميدان ونموذج للهدوء والرذالة والآثرة بالرغم مما أصابه من مرض وعطل وضعته في موضع حرج للغاية، ولكن ماذا كان يستطيع أي فائد مماليك أن يصنع أفضل مما جمع سعد؟ إن كلة القندسة اليوم والمشهد لهم منهم يفعلون أكثر من ذلك دون مرض فقيودون.
معاركهم من مناطق في خارج ميادينها. لقد كشفت لنا هذه المعركة عن أم ميزات القائد الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص ومدنه النفس، وهي الأعصاب الهادئة، فلم يصدر قراراً واحداً يظلم بالرعتة أو النزق، بل وجدناهم وبركة المعركة على قيد أمان من كان يصنع بأنه ليس مطلوباً منه شيء، وجدناهم يذهبون فينام! لقد كان سعد رضي الله عنه في هذا صورة للحديث الذي رواه هو نفسه عن رسول الله ﷺ، حيث قال:

"النذوة في كل شيء. خير، إلا في عمل الآخرة.
ومن هنا كان تباطؤه في التكبيرات التي كانت أوامره بالتحرك والالتحام، فكان يؤثر الروية للنظر والرؤية، وحين يجهد عدوه وينظر ما عنده.
وبعد دراستنا حوور خالد والثني في عهد أبي بكر لعل منها الآن من يتوقع من سعد أن ينادي في جيشه للزحف نحو المدافن والاشتباك السريع بأي قوات بحوسية تكون على الطريق. إن كان كذلك فقد نسينا إذا الفارق بين ثانائي، أبا بكر - خالد، وبين ثانائي عمر - سعد. لقد كان أبا بكر طبيعته فاختار لها القائد الذي يناسبها، وكان لعمر طبيعة أخرى فاختار لها أيضاً القائد الذي يناسبها. فماذا حدث؟ لقد أقام سعد المسلمون في القادسية في انتظار بلوغ سعد بن عقيل إلى المدينة ثم ما يأمّر به عمر.
وليس هدوء الأعصاب هو الذي تجلبه سعد فحسب، فلا شك أن شجاعته كانت تدعو إلى إعجاب أكبر وما إقامته بالقصر مع مما به من علة تنمه من مباشرة القتال إلا إفراط في الشجاعة. فلكيًا ذكر الرواية عيان بن رجا السعدي:

"ولو عرّاه الصف فوق فوافق ناقة لأخذ برمه، فولاه ما أكره هول تلك الأيام.
ولا أفقه."
سعود صبور مصر على ما عزم عليه حتى زجر من كل من المسلمين في اقتحام العراق ما دام الفرس لا يحضران. وبذالك من ذلك راح سعود يضغط على الفرس حتى يعبرهم على الخروج اليه حيث هو وذلك بالغارات التي كان يشنها على أنحاء العراق.

قیادات جديدة

- وأخيرا لنا ملاحظة تلقت نظر المتأمل للحملة سعد ابن أبي وقاص وهي التقدير الشامل للقيادة والأركان السابقة التي حملت المسؤوليات، سواء في حملة خالد بن الوليد لفتح العراق أو في عمليات المثنى بن حارثة. ابن الأفرع بن حابس وأبوبكر بن يعبد بن عبد بن يزيد وأبو ليلى والزرقاء بن بدر وشير بن الخصاصية وشجرة بن الزعفر بن جعفر بن النبي وفرات بن بلي و(ab حسان وحرملة بن مريوط وسلس بن النهص وفرات بن حسان ومطر ابن فضة واللول بن حسان وحرملة بن مريوط وسلس بن النهص وفرات بن بلي وغيرهم؟ هذه الأسماء التي لم تثبت في الحملات السابقة لعل أصحابها كانوا موجودين في القادسية أيضا ولكن دون ذكر أو ضحيج، ويعتبر سبع يظهر مرة أخرى في قيادات مع استمرار الفتوح، ولكنهم في القادسية ظهرت بدلًا عن قيادات شابة أخذت الأمواج مثل زهرة بن الحوية وشرمبل بن السمط وجمال بن مالك والربيل بن عمرو، فماذا كان هذا التقدير؟

لعل البعض منه كان راجعا إلى عمر بن الخطاب شخصيا، فقد رأينا يتدخل في كل شيء ولا يترك للقائد العام في الميدان إلا أقل بكثير مما كان يمنح أبو بكر قواده من سلطات. وإذا نحن ذلك من خطاب عمر إلى سعد عن زهرة قوله: 

"أنا أعلم بزهرة منك، فجرب ترجم أن اختيار من زهرة إذا كان اختيارًا من عمر ولم يكن اختيارًا من سعد. وسوف يكون ذلك أكثر وضوحا فيما بعد حين وسوف تتطورت الفتوح إذا كان عمر هو الذي يعني كافة تعبئة الحملات ويجدها وجوها.

440
من أرض الله. لا ندري على وجه القطع واليلين تعلُّم تلك الظاهرة ولكنها ريا
رجعت لأسباب مثل تلك التي عزل عمر خالداً من أجلها وأتي عرضناها في
الجزء الثاني من "الطريق إلى المدائين".

وهل هناك من الشواهد أيضاً ما يجعلنا نرجو أن الآخرين كانوا اختياراً من سعد
المحاصصة السابقة,h ، ومعرفته الشخصية لهم. فلا نتضح أنه كارث من قبل
نصيحة البحث أن يكون اختيار خالد بن عروفة رديفاً لسعد إذا علمنا أن
خالداً كان قبل الهجرة في مكة حليفاً لبي زهرة عشرة سعد بن أبي وقاص،
ولربما كان يفتش من شعره في اختيار خالد بن عروفة أن كان ذلك ظناً منهم
أنه اختيار راجع إلى تفضيل شخصي مع وجود من هو أولى وأكثر ظهوراً من
ابن عروفة.

أدوات الفرس للمعركة

١١ - ولا يفوتنا في معرض هذا التعبير أن نضع أمام الأنظار أنه كانت
لدى الفرس مزايا وأدوات:

أ - كان في جوانب القدر الفوضوية الساحقة.

ب - أفضلية العدة والسلاح ونوعيته.

ج - سلاح الأفعى الرهيب الذي لم يكن لدى المسلمين مثه.

د - ستون ألفاً من الفرسان.

ه - أعلى درجات الكفاءة البدنية والجوية والسياسية في الدولة التي تمتلك
في رستم وأركانه هرمزان وجلانوس وهم صادرون وبرزوان ومردان
غيرهم.

و - تمنع الدولة الساسانية باستقرار داخلي توقف في المنازعات الداخلية
واجتمع الجميع على يد جرد ملكاً لا ينزع، مع توقف حروب
الدولة في أي ميادين أخرى مع الروم أو غيرهم.

( القادسية - ١٦) ٢٤١
ز - كان الفرس يقاتلون قريباً من ديارهم وعلى بعد نحو مائتي كيلومتر من عاصمتهم.

ومع ذلك كله فقد انتصرت القلعة المؤمنة المسلمة على كل تلك الإمكانات،
وصدق الله العظيم: "... قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين" (۱).

(۱) البقرة: ۲۴۹.
خاتمة

ذكرنا في أول هذا الكتاب أن معركة القادسية تقع على قمة المعارك الحاسمة
في تاريخ العالم باعتبار أنها المعركة التي انتهت على آثارها أرباب العراق وفارس،
والتي من عهدنا استطاد النصر الساحق للمسلمين فاستطاد معه السقوط
الساسي سياسيًا وحربيًا والسقوط المجوسي دينيًا وعقائديًا.
ثم درسنا المعركة بكافة تفاصيلها ابتداء من الإعداد لها إلى متابعة أحداثها
يوماً بفول وساعة بساعة حتى تمّ انتزاع النصر من الجووس ليتوج به هام المسلمين.
والآن صار واضحًا أن معركة القادسية لم تكن تستهدف احتلال موقع أو
اكتساب أي أرض كانت ، وإنما كان هدفها الجليّ الذي حافظ عليه سعد هو
تحطم الجيش الضخم لأمبراطورية فارس ، فإذا ما تحطم فقد انتهت بعد ذلك
الأرض ودالت الدولة.
ولقد رأينا في "الطريق إلى المدائن" نظراً عاملاً من العمل الحربي يستطيع
أن نصفه بأنه نصف أبي بكر - خالد ، ثم رأينا في القادسية نظراً آخر يمكن أن
نصفه بأنه نصف عمر - سعد . ثم كانت القادسية منطقةً لما بعدها من فتوح حتى
تمام سقوط دولة الفرس واستيلاء المسلمين على آخر شبر من ترابها على نفس النمط
والأسلوب الأخير.
هذا بكامل تفاصيله، طبقةً لم نهجنا في البحث الذي نشأناه في "الطريق إلى

٢٤٣
المدانين، وفي القادسية، هو موضوع بحثنا الذي ضمّته كتابنا التكليفي
(تحت الطلب)، الذي سيتناول سقوط المدانين وما بعد المدانين.

موضوعنا التالي سوف يبدأ بتحرك جيش سعد بعد القادسية واشتباكاته مع
قاذف الجويس في برج ثم في بابل مع فتح جبهة جديدة في قطاع الأبلاء. ثم
معركة مُظلمة سابقة، وحصار بسرير إحدى المدانين السبع غرب دجلة حتى
سقوطها. أعجب عملية عبور في التضاريس الجريئة لفتح المدانين، مركبات
المسلمين البرمائية. كتبة الأهوار، معركة العبور، إيوان كمرى يسقط
في أيدي المسلمين مع وصف كامل لإيوان، غنائم المدانين، سمو المسلمين
وأمثالهم. حلول، عاصمة مؤقتة لزبدجرد، معركة جلولاوة في الطريق إلى
حلول، عمر يُبكي على غنائم جلولاوة. ومعالمة الجويس كاهل الكتاب.

الجهات الأخرى. تكريت، ثم الوصول ونجد، هي وقاريس، ماسبزان، البيلة، الأهواز، ثورة أنبرقاذ، إنشاء قاعدة الفوهة. فتح
الجزيرة، ورطة المسلمين في طارس، هرمزان الأسير عند عمر، عمر يحاكم
هرمزان، فتح السوس، جندسي ساور، فتح الفتوح بنهاودن، النعيم بن
مقرن تامين سعد، الله جنود من عمل، سقوط هذان، انسحاب المسلمين من
البصرة ومن الكوفة حتى حدود السند [باكستان اليوم]. البائس يزددجرد
الثالث ابن شريار.

ثم أَعْقَبْنا ذلك بفصل ثلاثة لابد منها عن الباعت على حركة الفتح
الإسلامي، وعن مشروعية القتال في الإسلام، وعن عوامل نجاح الفتح.

٢٤٤
ترجمة مشاهير قادة الفتح (1)

ابو محبس النقيFI

أبو محبس بن حبيب الثقفي، اختلف في اسمه فقيل مالك وقيل عبيد الله وقيل اسمه كتبته وعلى أي حال فقد اشتهر بأبي محبس، بن حبيب بن عمرو بن عمرو بن عوف بن عقيلة بن عبد الله بن عوف بن قصي وهو ثقيف. كان من الأبطال الشجعان في الجاهلية والإسلام ومن أولي البأس والنجدة من الفرسان لهم وله مواقف. في حصار تقيف بالطائف كان مشركاً ورمي عبد الله بن أبي بكر بسهم ودخل الحرج حتى عاد وانقض عليه في شوال 11 فيات [الطبري 3/ 221]. ثم أمر أسلم بن محبس حين أسلم تقيف وسمع من النبي وروى عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أخوه ما أخاف علي أمني من بعدي ثلاث: إيمات بالنجوم وتكذيب بالقدر وحليف الأمة.

وكان شاعراً مطبوعاً كريماً، غير أنه كان منهما في الشراب لا يكاد يقلع عنه ولا يرثه حد ولا لوم لائمه. كان أبو بكر يستعين به وجلسه عمر في الجهر.

(1) نورد هنا تراجم مشاهير القادة الذين لم ترد أسماؤهم وتراجمهم في كتاب "الطرق إلى المدائن".

٢٤٥
مرأةً، عن ابن جريج قال: بلغني أن عمر بن الخطاب حدث أبا محجن بن حبيب
في الخمر سبع مرات. وقال قبيصة بن ذويث: ضرب عمر بن الخطاب أبا محجن
الثقفي في الخمر ثماني مرات. وقال ابن سيرين: فما أكثر عليهم سجنه وآوتهما.
شهد حرب العراق مع أبي عبيد بن مسعود الثقفي وكان من هاجم الفيل معه
قضبه على عرقوبه، ثم كان مع الملك يوم أليس الصغرى وانصرف منها.
وكان زعيم تكسن الطائف وقد كان ذو بساتين وثلث وكرم، فنفاه عمر
بسبب إدمانه الخمر إلى جزيرة في الخليج الفارسي حيث لا كرم، وبعث معه
حارساً يدعى أبو جهراء البصري كان أبو بكر يستمع به ورجال آخر ليحملوه
في البحر إلى تلك الجزيرة، فرأى الرجل سيفًا مع أبي محجن فخافه، وقيل بل
هايم أبو محجن بقتله فهرب أبو جهراء وهرب منه أبو محجن ولحق بسعد بن أبي
وقاص بالقادسية.
وتختلف الروايات حول سبب حبس أبي محجن في قصر القادسية، فرواية
تذهب إلى أنه كان من شعب علي سعد حين استخفه خالد بن عروفة. وتذهب
رواية أخرى إلى أن أبا جهراء لحق بعمر حين هرب منه أبو محجن فكتب عمر
إلى سعد بسجنه. ورواية ثالثة تقول إن أبا محجن هو امرأة من الأنصار يقال
لها شمس فحاول النظر إليها فلم يقدر قاجر نفسه من بنغة كان يبني بيته تجاوب
منزلاً فأشرف عليها من كوة وأنشد:
ولقد نظرت إلى الشموع ودونها
حرج من الرحمن غير قليل-
فاستدمى زوجها عمر فنيفاه وكان ذلك سبب قصة أبا جهراء. وتقول رواية
رابعة أن سأله سألت أبا محجن بعد أن عاد ليلة السواء، ففي أي شيء حسكة
هذا الرجل؟ قال: أرم الله ما حسبنا يحرام أكلته ولا شربته ولكن كنت
صاحب شراب في الجاهلية وأنا المرء شاعر يدب الشعر على لسانى يبعثه على شفتي
أحباني ففُسِء لذلك ثلاثين ولذلك حبى، فلقت:

246
إذا مَتَ فادفَنًى إلى أصل كُرْمَة ِ
أُخَاف إذا مات أنت لا أذواقها
وُترّي جُمرَ الحُسُن جَيَّد فَإَنَّى
وفي هذه القصة أن سعداً قال له بعد بلائه ليلة السوداء:
"لا أُجَلِّدك في الحَر أبداً "
فقال أبي معجن: وَأَنَا وَالَّه لا أَشريها أبداً. قَد كنت آنف أن أَذيعها من
أَجْل جَلَّدك.
فلم يشربه بعد. وحكاية أخرى أن سعداً دعا به فأطلقه وقال:
"اذْهِب فَأَنَا مَا أؤخِذك بِشىء تقوله حتي تفعله".
قال: لا جرم والله لا أجيب لسانى إلى صفة صبيح أبداً.
و نستطيع من بين هذه الروايات الأربعة أن تستبعد الروايتين الثانية والثالثة
التي ذهبنا إلى أن حبس أبي معجن كان بأمر من عمر بسب الحرة أو بسبب
الشمس، فإن المأمور كذلك ما كان من سلطة سعد أو سلوكه إن يفرج عن
أبي معجن قبل أمر بإراج عمر. كذلك تستبعد الرواية الرابعة الأخرى التي
تدعى إلى أن سعداً حببه في الحرة أو في شعره فيها وأنه قال لا أُجَلِّدك في الحَر
أبداً، أو ما أنا مأوم ذلك بشيء تقوله حتى تفعله. هذا وذاك غير مقبول في شرع
الله وحُكَّم أن يسحق له سعداً هذا أو ذاك وليس في سلطته شرعًا أن يفعل. لذاك
أخذنا بالرواية الأولى، رواية الشَغَب على خالد بن عرفطة.
وفي الأخبار أن ابناً لأبي معجن دخل على معاوية بن أبي سفيان فقسَلال له
معاوية: أبوك الذي يقول: إذا مات فادفَنَى إلى جانب كُرْمَة ...؟ الخ.
فقال ابن أبي معجن: لو شئت ذكرت أحسن من هذا من شعره.
قال: وما ذاك؟
قال: قوله.
لا تسأل الناس عن مالي و كثرته
اليوم أعلم أنني من سراهم
قد أركب الهول مسداً عناكره
أعطي السنان عداة الروح حنصته
وعلاء المحمود أرويه من الملك
وإن ظلما شديد الحقد والحنق
وقد أكره و راه المكلف الفرّق
وقد تسوب سوف العجز الحق
و يكتسي العود بعد البيس بالورق.
[][]

مسداً عناكره كثيرة لا تخترق، أحكم سير من أحمي بضرب موزذه.
قال معاوية: لا لن كنا أساأنا قول فلحمه إن كله الف النقل.
و أجهز جائزته وقال: إذا ولدت النساء فلتحدهن مثلك.
و يذهب بعضهم الي أنه كَان عبيد بن أبي مسعود وأن ذلك كان مع عبد الملك.
ابن مروان.
قال هيثم بن غني إني أخبره من رأي قبر أبي مسعود الثرى بإذربيجان أو
قال في نواحي جرجان و قد نبت عليه ثلاثة أصول كرم و قد طالت وأثرت
و هي معرّش علي قبره ومكتوب على القبر ها هذا قبر أبي مسعود الثرى.
قال: فجعلت أنجيح وأذكر قوله إذا ما تفاذهل الفنجه من جنب كرمته (البيت).

الأسود بن يزيد النخعي

الأسود بن يزيد بن قيس النخعي من كبار التابعين من الكوفييين وهو صاحب
عبد الله بن مسعود. روى عن أبي بكر و عمر وكان فاضلاً عابداً. كان يصوم

٢٤٨
الدهر وكان يصوم في اليوم الشديد الحر الذي إن الجمل الجلد الأحمر ليرنح فيه،
وحتى كان يسود لسانه من الحر وكان يصوم في السفر حتى يتفجر لونه، وقد ذهبت
إحدى عينيه من كثرة الصيام، وكان علقمته يقول له: ما تعذب هذا الجسد،
ف يقول: إني أريد للراحة. وقد طاف الأسود بالبيت ثمانية ما بين حجة
وعمرة. وكان يقرأ القرآن في ست وروي أنه كان يقرأه في رمضان في ليلتين.
وعن عائشة أنها قالت: ما بالعراق رجل أكرم علي من الأسود. وكانت أمه
مقدمة. وكان أصغر الرأس واللحية وعامتها سوداء يرسلها من خلفه. وحين
حضرته الوفاة عام خمس وسبعين قال لرجل كان عنده: إن استطعت أن تلقتني
حتى يكون آخر ما أقول لا إله إلا الله فافعل ولا تجعلوا في تقديرا جراً ولا
تنصوني بصوت. [*الطبقات الكبرى ٤٦/ ٦ - الاستيعاب ١/ ٢٥*]

زيد بن سوحان

أسلم في عهد النبي وصحبه، وفي الاستيعاب أنه لا يعلم له صحة. وكانت
فاضلاً دينياً خيراً سيداً في قومه، وهو إخوته. شهد يوم الجمل وكان معه رابعة
عبد السلام وجعل يحمل من المرارة وقد أبلغته الجراح فقال له أصحابه هنيئاً
لك الجنة يا أبا سالم. فقال: وما يدريكم؟ غزونا القوم في ديارهم وقتنا إمامهم
في لينتنا إذ ظلمنا صبرنا ولد مند عنان على الطريق. ثم مات، وسمعته عائشة
أم المؤمنين صوت خالد فقالت: خالد بن الراحمة؟ قال: نعم. قالت: أنشدك
الله أصابي أنت إن سألتك؟ قال: نعم وما يمنعني ؟ قال: ما فعل طلحة؟
قالت: إن الله وإله راجعون. قال: بل نحن الله ونحن إله راجعون على زيد
وأصحاب زيد. قالت: زيد بن سوحان؟ قال: نعم. فقالت: خيراً. فقال:
والأمر لا يجمع الله بيننا في الجنة أبداً. فقالت: لا تقل فإن رحمة الله واسعة وهو
على كل شيء قدير.

٢٤٩
سعود بن عبيد الانصاري

الذي جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل أبو زيد غيره فكان أحد أربعة من الأنصار جمعوا القرآن في حياة النبي وكان يسمى القراري، ولم يكن أحد يسمى القراري غيره وكان يُؤمّن في مسجد قباء في زمن النبي. كان ثاني من تطوع حرب الفرس بعد أبي عبيد الثقفي وذلك بعد وفاة أبي بكر حين قدم النسي إلى المدينة يطلب المدد [ارجع إلى الجزء الثالث من كتبه الطريق إلى المدائن].

هرب يوم الجمر فكانت الوجهة تعرض عليه بعد ذلك في أبي إلى العراق ويقول: إن الله جلّ وعزّ اعْتَّصَمْ عَلَيْهَا بَقِيرًا فَلَعِبْتِ أَنْ بَرَّيْهَا فِي كَرِهِ. روى البخاري في تاريخه عن طارق بن شهاب قال: شهد سعد بن عبيد القادسية فقال: هُنا مستشهدون غداً فلا تكفونا إلا في شيبان التي أصبت فيها. فاستشهد، وهو ابن أربع وستين سنة. وهو سعد بن عبيد بن النعيم بن قيس بن عمرو بن زيد ابن أمية بن ضياء بن زيد بن مالك بن عوف الأثري. وكان ابنه عمر ولي عمر بن الخطاب على الشام. [الإصابه 3۷۶ - الاستيعاب ۲/۸۷، ص ۹۳]

طليحة بن خويلد

طليحة بن خويلد بن نوبل بن نضلة بن الأشتر بن جهوجان بن فقيس. بعَدًّ، شهرين من غزوة أحد بلغ النبي أن طليحة وأخاه سلطا على رأس بنى أسد يحضزانهم ومن أطاعهما لمهاجنة المدينة فأرسل النبي إليهم أبا سلطا بن عبد الأسد في سرية من مائة وخمسين فهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وأسید ابن حضير وأمرهم بالسير ليلا والاستخفاء نهارًا وسلاوك طريق غير مطروق حتى فاجأوه ففررا وطاردوهم ثم رجعوا ومعهم غنمًا. وكان طليحة زعيم بنى أسد مع الأحزاب يوم قدموا يريدون غزو المدينة فما عصفت الريح ونهل الطر ووصف الرعد شقيق له أن المسلمين انتهزوا الفرصة ليبرعوا عليهم الجنده فقالم ونادي: إن همداً بدأكم بشر ففالجاة النجاة. وقام أبو سفيان يؤيد الانصار.
فانصرفوا. ثم وفد طليحة على النبي ﷺ في وفد بني أمية وكان معه ضرار بن الأزوور وآخرون فأسلموه. وقبل وفاة رسول الله ﷺ ارتدّ طليحة وأدعى النبوة حتى أوقع به خالد بن الوليد في بزاحة من منازل بني أمية عام 11 هـ وهرب طليحة إلى الشام ثم عاد إلى الإسلام وأحرم بالحج ورأى عمر فقَسَال له: «إني لا أحبك بعد قتل الرجلين الصالحين عكاشة بن محسن وثابت بن أقرم» وكان طليحة في حرب الردة فلقها طليحة وسمية فقتلاهما. قال طليحة لعمر: «هما رجلان أكرمهما الله بيدي ولم يهنِي بأيديهما». وحسن الإسلام طليحة وكان من الفرسان الأبطال، شهد القادسية ونهانده ويقال استشهد بها.

251
مراجع البحث المهمة

الإصابات في تعيق الصحابة (1939)
حسن التكاؤس
أسف القابضة في معرفة الصحابة
أتباع الأشراف
الاستماع في معرفة أسماء الصحابة
بداية ونهاية في التاريخ
البيان والتبين
بلاغ الأرب في معرفة أحوال العرب
البخلاء
تاريخ بغداد
تاريخ الأمم والملوك
تاريخ العرب العسكري
تهذيب التهذيب
الجامع لأحكام القرآن
جغرافيا العراق الطبيعي
جغرافيا العراق الحديث
الجغرافيا العسكرية
خريطة العراق الأثرية

ابن حجر العسقلاني – التجارب
المقدسي
ابن الأثير – دار الشعب بالقاهرة
البلادي
يوسف بن عبد الله القرصي – التجارب
أبو الفداء ابن كثير
الجاحظ
محمود شكري الألوسي
الجاحظ
الخطيب البغدادي
الطبري – دار المعارف بصر
محمود الدرة
ابن حجر
القرصي – دار الكتب المصرية
د. جاسم محمد الخلف
هاشم السعدي
طه الحاشمي
مديرية الآثار العراقية ببغداد

529م
د. شكري فيصل
قدامة بن جعفر - 1889
دار المعارف
أحمد عبد البر
النعيان عبد禹 العالي القاضي - القومي
شرح الكرماني - المطبعة المصرية
أحمد مسعد
أحمد قطبية - دار الكتب المصرية
البلدري - نشر صلاح الدين المجد
لؤلؤ محمد شيت خطاب - دار الشعب
محمد فرج - دار الفكر العربي
سيد حنفي - سلسلة إقرأا رقم 211
لؤلؤ محمد شيت خطاب - دار القلم
أحمد حجراً
أحمد الأنور
محمد رضا كحالة
طه الحاشي
أحمد بن حنبل
ياقوت الجموي
أحمد خردزية
أميل لود فيج
أحمد خلكان

الفتح الإسلامي في القرن الأول
المراجع وصفة الكتابة
د. قيس الشاخي بن ضرار
الدرر في اختصار الغزاة والسير
شعر الفتح الإسلامي في صدر الإسلام
صحيح البخاري
الطبقات الكبرى
عيون الأخبار
فتوح البلدان
الفاروق القائد
الفتح العربي للعراق وفارس
الفرسية العربية في العصر الجاهلي
قادة الفتح العربي للعراق وفارس
لسان الميزان
الكامل في التاريخ
معجم القبائل العربية القديمة والحديثة
مفصل جغرافيا العراق
مسند الإمام أحمد
معجم البلدان
الممالك و탱لون
وفيات الأعيان

The Memoirs Field Marshal Viscount Montgomery.

254
فهرس الخرائط والأشكال

أ - الخرائط

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>رقم</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>منطقة التحركات</td>
<td>1</td>
<td>28</td>
</tr>
<tr>
<td>حشود شبه الجزيرة جيش القادسية</td>
<td>2</td>
<td>38</td>
</tr>
<tr>
<td>صنى (1)</td>
<td>3</td>
<td>48</td>
</tr>
<tr>
<td>تحرك رستم</td>
<td>4</td>
<td>85</td>
</tr>
<tr>
<td>مواقع الجيشين قبل المواجهة</td>
<td>5</td>
<td>90</td>
</tr>
<tr>
<td>مواقع ما قبل المعركة القادسية</td>
<td>6</td>
<td>100</td>
</tr>
<tr>
<td>» (1)</td>
<td>7</td>
<td>120</td>
</tr>
<tr>
<td>» (2)</td>
<td>8</td>
<td>136</td>
</tr>
<tr>
<td>» (3)</td>
<td>9</td>
<td>138</td>
</tr>
<tr>
<td>» (4)</td>
<td>10</td>
<td>140</td>
</tr>
<tr>
<td>» (5)</td>
<td>11</td>
<td>143</td>
</tr>
</tbody>
</table>

(1) ورد رقمها (5) ص 84 خطا يرجى تصحيحه.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>رقم</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>القادسية (7)</td>
<td>12</td>
<td>167</td>
</tr>
<tr>
<td>(7)</td>
<td>13</td>
<td>166</td>
</tr>
<tr>
<td>(8)</td>
<td>14</td>
<td>190</td>
</tr>
<tr>
<td>(9)</td>
<td>15</td>
<td>191</td>
</tr>
<tr>
<td>(10)</td>
<td>16</td>
<td>193</td>
</tr>
<tr>
<td>(11)</td>
<td>17</td>
<td>199</td>
</tr>
</tbody>
</table>

ب - الأشكال

- تمبئة المسلمين | 1 | 177 |
- تمبئة الفرس | 2 | 178 |

ج - اللوحات

- فروع قحطان | 1 | 37 |
- فروع عدنان | 2 | 37 |
- الهيكل التنظيمي لجيش سعد | 3 | 40 |

256
<table>
<thead>
<tr>
<th>فهرس الاعلام</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>ازاثردرد بن إراضيه 29 49 44 79</td>
</tr>
<tr>
<td>آزرميدخت 57</td>
</tr>
<tr>
<td>الأسود بن يزيد النخعي 94 196 248</td>
</tr>
<tr>
<td>الأسود بن قطبية 208</td>
</tr>
<tr>
<td>أسامة بن عبد الحجر 207</td>
</tr>
<tr>
<td>الأشمع بن قيس الككندي 35 265 268 187 179 139</td>
</tr>
<tr>
<td>الأعرج بن الأعلم العقيلي 153</td>
</tr>
<tr>
<td>أكيمدر (ملك دومة الجندل) 68</td>
</tr>
<tr>
<td>أم فروحة بنت أبي فحافة (اخت أبي بكر) 28</td>
</tr>
<tr>
<td>عسيرة بن دؤيب 35 196 29 41 45 60</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبيد الثقفي 30 194 23 33</td>
</tr>
<tr>
<td>أمين مارسلين 178</td>
</tr>
<tr>
<td>انس بن عبد الله السلمي 150</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو عبيدة بن الجراح 44 150</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو الهياج بن مالك الأسدي 214 213 214</td>
</tr>
<tr>
<td>أبو محجن الثقفي 160 245 159</td>
</tr>
<tr>
<td>أروي بن عامر الهلالية 212</td>
</tr>
<tr>
<td>أطاه بن كعب النخعي 33 24</td>
</tr>
<tr>
<td>أوص بن مغراء 129</td>
</tr>
</tbody>
</table>

( القادسية - 17)
جبر بن قشعم الكيندي ۴۱
جبر بن عبد الله البجلي ۸۰ ۱۲۷ ۷۵ ۴۰ ۳۰
جشنیسکه ۴۳
جندب بن عمار الطائي ۲۰۹

ح
 حاجب بن زيد الانصاری ۱۴۹ ۱۶۵
الحارث بن حسان الدؤبی ۸۵
الحارث بن قوم عنیزی ۱۰۶
حذيفة بن محصن ۱۰۴
حسن بن نصير السکویی ۲۵
الخطیبی ۱۲۹
جمال بن مالک الاسدی ۴۱ ۱۳۷
۱۸۰ ۱۷۱
جمال بن جویجی الكینانی ۲۵
حمیضه بن العمان بن حمیضة الباقری ۲۳ ۱۸۲ ۹۲
حسن بن الحارث بن لقیط الیخمی ۱۱۱
حنظلة بن الربيع الیخمی (حنظلة الكاتب) ۶۵ ۱۷۹ ۱۹۴

خ
خالد بن عرفة ۳۹ ۱۲۶ ۱۵۹ ۱۰۶
۲۰۸
د - ر

دربيد بن كعب النخيمي 180
ربيع بن نبهان السدوسى 209
ربيع بن عامر 131 104
ربيع بن البلاد السعدي 130
الربيع بن مطر بن بلخ التميمي 209
ربيع بن عثمان بن ربيعة 133
ربيع بن مقوم الضبي 209
الربيل بن عمرو 158 161
رمز بن السيحد 98 60
87 83 101 114 140 177 197 233
328
231
الرقيق 108 171
رومل 162
ز
زاذ بن بيش 90 194 91 26
ع
عامر بن عمرو التميمي العجمي 39
37 68 130 92 128
141 108 172 177
244 194
عبد الله بن المعم 125 39
عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ( ذو النور ) 41 194
عبد الله بن أم كلثوم 188
عبد الله بن الزبير 26
عبد الله بن ذي السهمين الخثعمي 35
187 177 41
عبد الرحمن بن عوف 16
عبدة بن الطيب 129
عبدة بن الحارث 18
عبادة بن فرقد السلمي 212
عبادة بن غزوان 18
عبادة بن النهاش 29
عبات بن ذمي بن عتاب 152
عبتان بن رجاء السعدى 211
عبتان بن عفان 26
عدي بن حاتم 27
عدي بن سهل 25
320
شيروان بن علامة العبدي 169
34
شاد بن ضيهم 24
شريحيل بن السقط بن شريحيل الكندي 139 196
333
شريح بن عامر 31
شقيق بن سلامة ( الأسدي ) 137 196
الشامان بن ضرار 129
شجر براز 166
شجرار بن كنارا 195
شيروان بن المخل التميمي 50
شيروان بن آزادبه 49
ص
صلوبا بن نسطونا 55
ض
ضرار بن الخطاب القرشي 180 193
238 225
ط
طليعة بن خوبلد الأسدي 137
137 180 175 174
158 208
228 238 250
عرفة بن هريرة 35
عفيان بن عبد الله 76
عطارد بن حاحب المميمي 194
عفان بن حرب 174
علي بن جخش العجلي 153
علقة بن هودة 50
علي بن أبي طالب 19 16 15 14 13 12 11 10
عمر بن ياسر 18
عمر بن الخطاب 14 13 12 11 10 9 8 7 6
عمر بن معد xr 5 4 3 2 1
عمر بن وهر 35
عمر بن الحارث الفهري 80
عمر بن شأس الأدبي 144
عمر بن شبيب بن زناب 108
عمر بن الهيثم 33
عمر بن عبد الله الأدبي 133
غلاب بن عبد الله الليثي 32 21 20 19 18 17 16 15
غلاب بن أبي حازم البجلي 210
غلاب بن أمية بن الأسمر 50
كناري 90
261
<table>
<thead>
<tr>
<th>اسم</th>
<th>نسب</th>
<th>تاريخ</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>مالك بن ربيعة التميمي</td>
<td>80</td>
<td>77 - 300</td>
</tr>
<tr>
<td>المثنى بن حارثة</td>
<td>19</td>
<td>43</td>
</tr>
<tr>
<td>محمد بن حذيفة بن اليان</td>
<td>24</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مDBGون بن عدي العجلة</td>
<td>104</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المساور بن النعيم التميمي</td>
<td>80</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مسعود بن مالك الأسبدي</td>
<td>177</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مسلم (الفارسي)</td>
<td>96</td>
<td>176</td>
</tr>
<tr>
<td>المضارب بن قزيد العجلة</td>
<td>104</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>معاوية بن خديج</td>
<td>25</td>
<td>268</td>
</tr>
<tr>
<td>مبعيد بن مرة العجلة</td>
<td>104</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المعور بن سويد (الأسبدي)</td>
<td>137</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المغيرة بن حارثة</td>
<td>29</td>
<td>43</td>
</tr>
<tr>
<td>المغيرة بن زرارة بن النباش الأسبدي</td>
<td>76</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>المغيرة بن شعبة</td>
<td>31</td>
<td>76</td>
</tr>
<tr>
<td>السيد بن عرو</td>
<td>190</td>
<td>69</td>
</tr>
<tr>
<td>المقداد بن عرو</td>
<td>18</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>منفع بن الحصن</td>
<td>209</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>النذر بن حسان</td>
<td>36</td>
<td>132</td>
</tr>
<tr>
<td>مهران بن هرام الرزاز</td>
<td>81</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>231</td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مونتغومري</td>
<td>162</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>
فهرس المواقع والبلدان

أ
الأبود 31 4 125
الأعاص 25
أليس الآخرة 262
الأبرار 54
الأهواز 31
إيران 31
أبابة 125

ب
بابلي 332
بانقا 313
برس 4 268 333
بسكنا 313
البسطة 27
البصرة 31 36
ط
دارس 31
دير الأغور 86
ع
المشي 189، 222
عذيب القوادس 44
عذيب الهجادات 44
العذيب 39 47 166 228
العراق 22 24 30 32
عين التمر 91
غ
س
سابط 61 71 227 244
السراة 33
سوى 67
ميراف 28
السليح بن 227 ش
ش
الشام 24
شراش 30 39 229 231
ق
القادسية 16 29 44 45 77 180 197 218 227 233 237 239 244
قديس (الحصن) 99
فس النافذ 50
القططانة 31 36
ص
الصفح 33
صرار 12 22 231 235
صنين 47
النجر 12 نيسان 9988 89
النجف 44 نيسان 88 92
النفوذ 27
البارق 87
نهر كرسي سعدون 219

السان 232
همدان 57
هيات 219

المدائن 1960 4530 2613 227
و وادي مشرقي 26 818
المطار 31
مشرقي 149197
مكة المكرمة 42
ميسان (بين البصرة وواسط) 53

ي يرثب 18
اليرموك 68
السعف 44
تحتوي الكتاب

الموضوع

الصفحة

تحت قطعان
34

الباب الثاني

الصفحة

تحت قطعان
43

الباب الأول

الصفحة

تحت قطعان
9

المعايير الجامعية

الصفحة

تحت قطعان
16

المنطقة الندوية

الصفحة

تحت قطعان
34

الجاهزية الندوية

الصفحة

تحت قطعان
23

التجمع

الصفحة

تحت قطعان
7

تحت قطعان

الحاد

الصفحة

تحت قطعان
12

تحت قطعان

الحاد

الصفحة

تحت قطعان
266
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>المراسالات قبل ذهاب الوفد</td>
<td>71</td>
</tr>
<tr>
<td>رسالة إلى عمر الوفد في أعين الفرس</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>اجتماع بيزدجرد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>النعمان يتكلم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مقالة الغيرة بن زرارة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>جواب بيزدجرد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تهويش الوفد يعود</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الجيوس يشامون</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>يوم الحيتان</td>
<td>79</td>
</tr>
<tr>
<td>الباب الرابع</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>رسم يتحرك</td>
<td>81</td>
</tr>
<tr>
<td>جيش رسم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>هواجس رسم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>رسم يتباطأ</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>اغتصاب متهمون</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بات مع الملائكة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ثبات على الخطة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>زحف السلاحف</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>وصية الدنيى</td>
<td>46</td>
</tr>
<tr>
<td>أوامر عمر خطة القادسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تزول الحملة القادسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>جاسوس بالقادسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أسر والزفة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>انتظار بالقادسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>فيها فجاهد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>غارات تونسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>يوم الأبقار</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>رسم في مواجهة سعد مراسالات</td>
<td>55</td>
</tr>
<tr>
<td>من رسم حتى تجبي المعركة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الباب الثالث</td>
<td>60</td>
</tr>
<tr>
<td>دمّيم الملك وبيديا الفيلسوف</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>دولة تنبع التنجيم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>قائد بالإكراه</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>دعوة إلى الإسلام</td>
<td>65</td>
</tr>
<tr>
<td>وفد إلى بيزدجرد من هؤلاء الوفد</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الباب الخامس</td>
<td>الباب السابع</td>
</tr>
<tr>
<td>-------------</td>
<td>-------------</td>
</tr>
<tr>
<td>ليلة الهذل</td>
<td>أرغوان</td>
</tr>
<tr>
<td>ربيعي بن عامر</td>
<td>جيش خالد يعود</td>
</tr>
<tr>
<td>حذيفة بن خصين</td>
<td>القمعاع في المعركة</td>
</tr>
<tr>
<td>لماذأ أرماش</td>
<td>مسرع بعم جاذو</td>
</tr>
<tr>
<td>وصلت السجفاة</td>
<td>التراب والمبارزة</td>
</tr>
<tr>
<td>بين رست وزهرة</td>
<td>قمعاعية جديدة</td>
</tr>
<tr>
<td>رسل إلى رست</td>
<td>جوائز من عمر</td>
</tr>
<tr>
<td>أرماش</td>
<td>ليلة السود</td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الباب السادس</th>
<th>الباب السابع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>نهاية المفاوضات</td>
<td>أرغوان</td>
</tr>
<tr>
<td>عبور</td>
<td>جيش خالد يعود</td>
</tr>
<tr>
<td>سلاح الإشارة</td>
<td>القمعاع في المعركة</td>
</tr>
<tr>
<td>مصاف</td>
<td>مسرع بعم جاذو</td>
</tr>
<tr>
<td>أرماش</td>
<td>التراب والمبارزة</td>
</tr>
<tr>
<td>ربيعي بن عامر</td>
<td>قمعاعية جديدة</td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>الصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>وأرسلنا عليهم ريحًا</td>
<td>165</td>
</tr>
<tr>
<td>مصرف رستم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>محاولة أمسح</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>محاولة للصمود</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مطاردة قريبة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>دفن الشهداء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>جفة رسم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ثم مطاردة عميقة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>مصرف جالنوس</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بين سعد وشهداء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>لا عليك يا أخي</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الباب العائم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>بعد المعركة</td>
<td>177</td>
</tr>
<tr>
<td>مهرجان الشعر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أسر الشهداء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الغالب والغلوب</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>سعد يسأل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>لا رخصة في العدل</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الأطفال</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>خريطة القادسية</td>
<td>218</td>
</tr>
<tr>
<td>1- الأساس الجغرافي</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>أبو معيج في المعركة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>سعد ينام في المعركة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>لماذا أغواه</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الباب الثامن</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>عباس</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الشهداء والقتلى</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ثم جاء هاسم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>رجوع الفيلة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>التزاح والبازرة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الأقبائل في المعركة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الزحف بعد الظهر</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>تصرف من طبيعة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>لماذا يعاس</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ليلة الهمير</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>زحف بغير إذن</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>التحام رهيب</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الباب التاسع</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>يوم القادسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الصباح المريع</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>رأس حرية نحو رستم</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الإيان سلاح المسلمين</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>الصفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------</td>
<td>---------</td>
</tr>
<tr>
<td>قيادة متزئدة</td>
<td>243</td>
</tr>
<tr>
<td>قيادات جديدة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أدوات الفرس للفرقة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>خالقة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ترجمة مسمايرة قادة الفتح</td>
<td>245</td>
</tr>
<tr>
<td>مراجع البحث المهمة</td>
<td>252</td>
</tr>
<tr>
<td>فهرس الخرائط والأشكال</td>
<td>255</td>
</tr>
<tr>
<td>فهرس الأعلام</td>
<td>257</td>
</tr>
<tr>
<td>فهرس المواقع والبلدان</td>
<td>276</td>
</tr>
<tr>
<td>محتوى الكتاب</td>
<td>270</td>
</tr>
<tr>
<td>تصويبات</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>توقيت القادسية</td>
<td>236</td>
</tr>
<tr>
<td>القادسية معركة</td>
<td>233</td>
</tr>
<tr>
<td>دراسة الموارد المتاحة للمعركة</td>
<td>445</td>
</tr>
<tr>
<td>جنديا متزئدة</td>
<td>453</td>
</tr>
<tr>
<td>دراسة واعدة للعملة</td>
<td>567</td>
</tr>
<tr>
<td>مزاييا أرض القادسية</td>
<td>587</td>
</tr>
<tr>
<td>ضيق وسعة</td>
<td>673</td>
</tr>
<tr>
<td>اتجاه الشمس</td>
<td>766</td>
</tr>
<tr>
<td>واتجاه الريح</td>
<td>770</td>
</tr>
</tbody>
</table>
عملاً الإمام مالك (رواية بحر بن يحيى البليتي) : تحقيق أحمد راتب عروش.
مسند عبد الله بن عمر (تخرج أبي أمية الطرسوسي) : تحقيق أحمد راتب عروش.
الفضل بيني على عقد الجوهري النور (في علوم الحديث) للقاسمي.
تحقيق عاصم البيطار.
الفوائد , ابن قيم الجوزية , تحقيق أحمد راتب عروش.
الانصاف في بيان أسباب الاختلاف (للذهبي) تحقيق أحمد راتب عروش.
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الرشيدة للدكتور محمد حمدي الله.
البيان في آداب حملة القرآن (للثوري) تحقيق الشيخ عبد العزيز السيواني.
مختصر سيرة ابن هشام : تحقيق غميف الرعي وعبد الحميد الأحذب.
نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر الفاسي.
عبري الأسلام في أصول الحكم، الدكتور مثير العجلاني.
تاريخ الدولة العثمانية لمحمد فريد، تحقيق د. احسان حقي.
معجم لغة الفقهاء، الدكتورين محمد روان قلعة جي وحامد صادق قنبي.
الفترة وقودة الحبل، رواية سيف بن عمر، إعادة أحمد راتب عروش.
دلائل النبوة، للأصبهاني، تحقيق الدكتور محمد روان قلعة جي والدكتور عبد البر عباس.
سلسلة فقه اللفظ، الدكتور محمد روان قلعة جي.
سلسلة استراتيجية الفتوحات الإسلامية، أحمد عادل كمال.
سلسلة مشاهير قائدة الإسلام، باسم العملي.
سلسلة مشاهير الخلفاء والأمراء، باسم العملي.
صدورة عن دار النضالات للمؤلف

- استراتيجيات الفتوحات الإسلامية
  1- الطريق إلى المدائين
  2- القادسية
  3- سقوط المدائين ونهاية الدولة الساسانية
  4- الطريق إلى دمشق
- جداول التقويم الهجري المقابل للتقويم الميلادي في سبي الفتوحات الإسلامية.

رقم: 7312
272